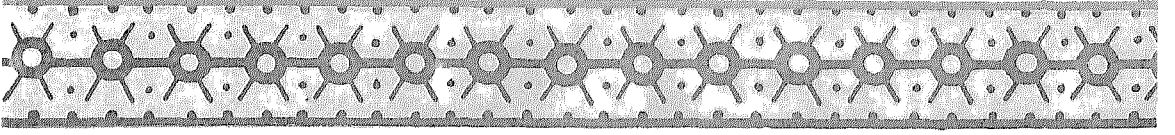
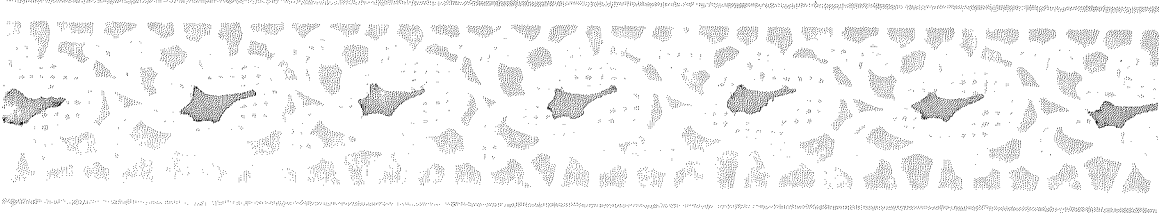


أحمد عبد الوهاب



حَقِيقَةُ التَّبَسُّيرِ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ



الناشر
مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون : ٩٢٧٤٧٠

مهندس
أحمد عبد الوهاب

حَقِيقَةُ الْبَشِيرِ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون : ٩٢٧٤٧٠

الطبعة الأولى

شعبان سنة ١٤٠١ هـ - يونيو سنة ١٩٨١ م

جميع الحقوق محفوظة

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاطوغلى) القاهرة
ص ٠ ب ٥٨ (الدواوين) - تليفون : ٢٢٠٧٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين . . .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى اخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وعلى صحابته الأولين من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، إلى يوم الدين .

وبعد :

لعل هذا هو الكتاب الوحيد الذى أتوجه به أولاً وأخيراً إلى المسلمين ، أعرض فيه العناصر الرئيسية والحلقات الهامة التى تقوم عليها قصة التبشير منذ ظهرت المسيحية حتى اليوم .

ولا أريد أن أسبق بفكر القارىء ، فأحدثه عن خطورة التبشير المسيحى فى عالم الإسلام ، باعتباره يتصدر الآن قائمة الأعداء الخطرين ، فليترك ذلك لحينه . ولكن مهما كان الحال ، فلا خير فى علم لا يعقبه عمل ، خاصة إذا كان الأمر متعلقاً بغزو صامت يتعرض له المسلمون اليوم ، لعله أخطر بكثير من ذلك الغزو الصاخب ، الذى يتمثل فى الحرب التقليدية ، التى يتعرضون لها بين الحين والحين . إن الغزو الصاخب قتال فى النور ، أما الغزو الصامت فهو قتال فى الظلام ، وهو بذلك شر أنواع القتال .



بعد ذلك أقول إن الكتاب حوار مع المبشرين ، يقوم على معتقداتهم الدينية بوجه خاص ، وتاريخ الحركة التبشيرية بوجه عام . ولو أن مواقفهم

من مثل هذا الحوار معروفة سلفاً ، لأنها مواقف حددتها الأحكام المسبقة والمقولات المتوارثة ، وهذا وحده يكفي للقول باستحالة عدالة تلك الأحكام أو العدول عنها . إن للمبشرين حساسية نشطة لكل ما يكتب عن حركتهم ، وهم لذلك يندعون العالم الإسلامي ذهاباً وإياباً ، يلمتطون الأخبار ويرقبون الاتجاهات الدينية والفكرية ، من أجل تقييم المواقف وتطوير الأساليب .

وإن لدى المبشرين كبرياءً—تكشف عن نفسها أحياناً— تتجلى في نظرهم لكل ما يصدر عن العالم غير المسيحي متعلماً بالعميدة والسلوك والأخلاق. ولا يزال بينهم — بل وفي قياداتهم — إلى الآن من يتصور خداع المسلمين والالتفاف حولهم ، باختلاق مختلف الأسماء والشعارات البراقة . لقد حدثني بعضهم عن أن في مصر جمعية « للإخاء الديني » ، وأن على رأسها من يتصدرون قيادة العمل الديني والاجتماعي في مصر ، وكان ذلك قبل أن تعلن تلك الجمعية عن نفسها في الصحافة المصرية بسنتين . إلا أنه كان صريحاً في قوله ، إن مثل هذه الجمعيات تساعد على تقريب المسلمين من الفكر المسيحي .

★

ومهما يكن من أمر ، فليسترك القارئ والكتاب ، بعد أن أرجو التنبيه إلى أنه يعتمد أساساً على مراجع تمثل الفكر المسيحي والتبشيري تمثيلاً تاماً ، وأن الفقرات المقتبسة من تلك المراجع قد وضعت — كالعادة — بين علامات الاقتباس حتى يسهل التمييز بين كلام المؤلف وكلام المصدر الذي ينقل عنه . وقد أشير إلى كل مصدر برقمه وفق قائمة المراجع الرئيسية المذكورة في آخر الكتاب .

وإذا كانت بعض نقاط البحث قد ذكرت في كتب سابقة للمؤلف ، فإن الاعتذار عن هذا يرجع إلى أن الدراسات الدينية سمها التكرار ، خاصة إذا لم يكن هناك ضمان بأن القارئ قد اطلع على تلك الكتب السابقة .

★

وأخيراً ، أرجو من القارئ المسلم ، الذى قد لا يسعنه الوقت أو المزاج لقراءة الكتاب كله ، فلا أقل من قراءة نصفه أو ثلثه الأخير ، فتلك أمانة أضعها بين يديه .

« إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوماً جهولاً . ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويترب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفوراً رحيماً . » (١)

صدق الله العظيم

أحمد عبد الوهاب

(١) سورة الأحزاب : ٧٢ ، ٧٣

- ٥ -

الباب الأول

المسيحية والتبشير

- التبشير المسيحي الحق: قى
- التبشير المسيحي الصليبي
- مسيحية : بولس أم المسيح ؟!

الفصل الأول

التبشير المسيحى الحقيقى

التبشير بالملكوت المقرب :

فى يوم من أيام الله المباركات ، ولدت امرأة النبى زكريا ابناً فى
فى شيخوختها اسمه يحيى ، وما هى إلا بضعة شهور حتى ولدت قريبتها مريم
العدراء ابناً المسيح عيسى ، بعد أن حملت به إثر نفخة من الروح القدس .

لقد نشأ يحيى وعيسى متعارفين متآلفين ، حتى إذا ما اشتد العود
وقوى الساعد ، اعتزل يحيى فى البرارى ، وكان « يلبس وبر الإبل ومنطقة
من جلد على حقيقه ويأكل جراداً وعسلاً برياً - مرقس ١ : ٦ » .

وكذلك اعتزل المسيح عيسى سنوات طويلة صممت عنها الأناجيل ،
فلم تذكر شيئاً من أخباره إلا بعد أن حمل الرسالة وبدأ دعوته وله « نحو
ثلاثين سنة - لوقا ٣ : ٢٣ » .

وقد اختلف العلماء فى تتبعهم للمسيح خلال تلك الفترة الطويلة التى فقدت
فيها أخباره ، إلا أن اكتشاف « وثائق البحر الميت » عام ١٩٤٧ بدأ يلتقى
الضوء على تلك السنوات الصامتة من حياة المسيح ، مما دفع بعض العلماء إلى
القول : « لقرون عديدة ، كان دارسو الكتاب المقدس من المسيحيين
يتساءلون عن حقيقة المكان الذى عاش فيه يسوع ، وماذا كان يفعل خلال
تلك الفترة التى تعرف بالثمانى عشرة سنة الصامتة من حياته ، والتى تمتد منذ
بلغ الثانية عشرة إلى أن صار عمره ثلاثون عاماً . إن الوثائق التى تثير الدهشة
والإشفاق ، التى تختص بمكتبة طائفة الأسينيين (من اليهود) والتى وجدت
فى كهف تلو كهف قرب البحر الميت ، قد أعطتنا الإجابة أخيراً .

لقد بدأ يتضح للعلماء أن يسوع خلال تلك السنوات المفقودة كان تلميذاً في هذه المدرسة الآسينية ، كما أنهم بدأوا يقرون تدريجياً بوجود مماثلة مفزعة بين تعاليمه وألفاظه وبين نظيرتها التي قالها الآسينيون وزعيمهم الذي عرف باسم : معلم البر . « (١) »

★

وأخيراً بدأ يحيى رسالته ؛ فكان « يعمد في البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا . وخرج إليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم واعتمدوا جميعهم منه في نهر الأردن معترفين بخطاياهم - مرقس ١ : ٤ - ٥ . »

ثم كانت بشارته باقتراب ملكوت الله الذي يأتي بعده « قائلاً :
توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات - متى ٣ : ٢ » .

ثم كان التمهيد لكي يبدأ المسيح دعوته ، « ففي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا في الأردن . وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلا عليه »

وللوقت أخرجه الروح إلى البرية . وكان هناك في البرية أربعين يوماً يجرب من الشيطان - مرقس ١ : ٩ - ١٣ . »

« ولما أكمل إبليس كل تجربة ، فارقه إلى حين - لوقا ٤ : ١٣ . »

ثم ما لبثت سلطات الظلم أن قبضت على يحيى وأودعته السجن ، جزاء تنديده بعلاقة آئمة بين هيرودس الحاكم وزوجة أخيه .

« ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم انصرف إلى الجليل »

من ذلك الزمان ابتداء يسوع يكرز ويقول : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات »

Rev. Dr. Charles Potter : THE LOST YEARS OF (١)
JESUS REVEALED, Fawcett Publications, New York.

وكان يسوع يطرف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب - متى ٤ : ١٢ - ٢٣ .



لقد كانت رسالة يحيى دعوة إلى التوبة والاستقامة ، ثم التبشير بملكوت السموات المقرب .

وكذلك كانت رسالة المسيح دعوة إلى التوبة والاستقامة ، وعملا من أجل التخفيف عن الشعب الإسرائيلي بعض معاناته المادية والروحية ، ثم التبشير بملكوت السموات المقرب .

لقد قال كلاهما نفس الألفاظ : «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» .

وتذكر الأناجيل بوضوح اهتمام المسيح بالتبشير بالملكوت المقرب ، واعتباره العمل الرئيسي الذي جاء من أجله . فلقد « كان الجموع يفتشون عليه فجاءوا إليه وأمسكوه لئلا يذهب عنهم . فقال لهم إنه ينبغي لي أن أبشر المدن الأخر أيضاً بملكوت الله لأنني لهذا قد أرسلت . فكان يكرز في مجامع الجليل - لوقا ٤ : ٤٢ - ٤٤ » .

وكان التبشير بالملكوت المقرب عملا رئيسياً أوصى به تلاميذه وحوارييه . فلقد « عين سبعين آخرين أيضاً وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو زمعاً أن يأتي فقال لهم أية مدينة دخلتموها اشفوا المرضى الذين فيها وقولوا لهم قد اقترب منكم ملكوت الله - لوقا ١٠ : ١ - ١٠ » .



حقيقة الملكوت :

في حوار ساخن بين المسيح وكهنة إسرائيل كان قوله لهم : «لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أعماله - متى ٢١ : ٤٣ :

فإن الواضح أن ملكوت الله الذي كان في بني إسرائيل ثم نزع منهم ،
لم يكن سوى النبوة والرسالة وما يرتبط بها من وحي وكتب سماوية ، وكلها
كانت الشيء الوحيد الذي تميز به بنو إسرائيل على العالمين حيناً من الزمن .
وحين ظهر يحيى بن زكريا كان اليهود ينتظرون ثلاثة من الأنبياء ،
ولذلك سألوهم قائلين : « ما بالك تعتمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا
النبي - يوحنا ١ : ٢٥ » .

ولقد بيّن المسيح لمن حوله أن إيليا المنتظر قد جاء في شخص يحيى ،
فقال : « إن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي - متى ١١ : ١٤ » .
فلقد كانت بشارة الملاك لزكريا أن ابنه يحيى : « من بطن أمه يمتلئ
من الروح القدس ، ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم ، ويتقدم
أمامه بروح إيليا - لوقا ١ : ١٥ - ١٧ » .

ولما كان المسيح قد جاء وبلغ الرسالة ، فلم يبق - إذن - في سلسلة
النبوة الكريمة إلا « النبي » الذي يجب أن ينتظره اليهود بعد المسيح .

ولما كان اليهود قد اشتهروا بظهور الأنبياء فيهم ، فإن تسمية هذا النبي
المنتظر الأخير باسم « النبي » تعنى ولا شك أنه نبي ولكن ليس ككل الأنبياء .
لأنه نبي أمره جليل ونبأه عظيم .

وحتى بعد ظهور المسيح ، استمر الذين آمنوا به وقبلوه في الخلط بينه
وبين النبي المنتظر . ففي موعظة له في العيد « كثيرون من الجمع لما سمعوا
هذا الكلام قالوا هذا بالحقية هو النبي .
وآخرون قالوا هذا هو المسيح ... »

فحدث انشقاق في الجمع لسيبه - يوحنا ٧ : ٤٠ - ٤٣ » .

★

لقد كان المسكوت الذي جاء يبشر به المسيح وتلاميذه يعنى الرسالة الإلهية التي تنتظرها البشرية جمعاء ، فتخلصها من شرور الحياة وتخفف عنها آلامها وتضمن لها السعادة والأمن في دنياها وأخرها . وهي رسالة كاملة نبيها عظيم قال عنه المسيح لتلاميذه في ساعاته الأخيرة معهم : « الحق أنه من الخير لكم أن أنطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ومتى جاء ذاك يبكت العالم

إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذاك روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل بكل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمر آتية - يوحنا ١٦ : ٧ - ١٣ » .

ولقد بين يوحنا في رسالته الأولى أن روح الحق هو إنسان ضايق ، فقال : « نحن من الله فن يعرف الله يسمع لنا ، ومن ليس من الله لا يسمع لنا . من هذا نعرف : روح الحق ، وروح الضلال - ٤ : ٦ » . ومن قبل أن يكتب يوحنا إنجيله ورسائله بقرون عديدة ، تنبأ أشعياء في سفره عن ذلك النبي المختار المبعوث للامم جميعاً ، فكانت ملامحه الرئيسية التي يذكرها الإصحاح الثاني والأربعون تقول عنه :

١ - اشتهر بأنه عبد الله ورسوله : « هوذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى . وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم » .

٢ - يسود الدين وتكتمل الشريعة التي جاء بها في عهده ، لا من بعده : « لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض ، وتنتظر الجوائز شريعته » .

٣ - يعصمه الله من الناس فلا يتمكن منه أعداؤه : « أبا الرب تد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم » .

٤ - ينتسب إلى إسماعيل بن إبراهيم : « لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التي سكنها قيذار » . وقيذار هذا هو الابن الثاني لإسماعيل .

٥ - أعداؤه المنهزمون عبدة أوثان وأصحاب أصنام : « يخزي خزيًا المتكلمون على المنحوتات ، القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا » .

٦ - رجل حروب مقدام ينتصر على أعدائه : « الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويتموى على أعدائه » .

٧ - في دينه هتاف من رؤوس الجبال وتسييح وتكبير : « من رؤوس الجبال ليهتفوا ، ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسييحه في الجزائر » .

٨ - الشعب الذي ظهر فيه كان متخلفاً ضعیفاً طعمة لكل آكل : « شعب منهب ومسلوب ، قد اصطيد في الحفر كله وفي بيوت الجبوس اختبأوا . صاروا نهباً ، ولا منقذ . وسلياً ، وليس من يقول رد » .

٩ - ولكن بعد أن جاءهم النبي قادم من الظلمات إلى النور ، فخرجوا إلى العالم مستنيرين أقوياء : « لتفتح عيون العمى ، لتخرج من الحبس المسورين ، من بيت السجن الجالس في الظلمة » .

« أسير العمى في طريق لم يعرفوها . في مسالك لم يدروها أمشيهم . أجعل الظلمة أمامهم نوراً والمعوجات مستقيمة . هذه الأمور أفعالها ولا أتركهم » .

١٠ - حقاً إنه نبي البر الذي اشتهر بالشريعة السمحاء : « الرب قد سر من أجل بره ، يعظم الشريعة ويكرمها » .

ولما كان قد سبق الخليل بثىء من التفصيل عن البشارات بمحمد خاتم النبيين (٢) ، الذي جاء بعد المسيح « رحمة للعالمين » ، فنكتفي الآن بترديد قول المسيح في الإنجيل : « من له أذنان للسمع فليسمع » .

★ ★

دائرة التنبيه :

١ - قبل أن تحمل مريم العذراء بابنها المسيح كانت بشارة الملاك إليها تبين أن رسالة المسيح تختص بالشعب الإسرائيلي فقط ، إذ قال لها :

(٢) راجع كتاب المؤلف : النبوة والأنبياء - ص ١١٩-١٦٤

« ستحبين وتلدن ابناً .. يعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه . ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون الملكة نهاية - لوقا ١ : ٣١-٣٣ »

ومن المعلوم أن المسيح لم يملك على بيت إسرائيل يوماً واحداً ، لأن ملكته لاتعنى سوى رسالته وسلطانه الروحي ، فقد قال بوضوح :
« مملكتي ليست من هذا العالم - يوحنا ١٨ : ٣٦ » .

٢ - ولقد حدد المسيح لنفسه وتلاميذه مجال عمله ودائرة التبشير التي ينبغي التجول فيها ، فبين بكل وضوح أن رسالته تختص بالشعب الإسرائيلي فقط ، فقال قولته الشهيرة : « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة - متى ١٥ : ٢٤ » .

٣ - وكان ذلك هو أمره المشدد إلى تلاميذه « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة - متى ١٠ : ٥ - ٦ » .

ومن الملاحظ أن المسيح قد أخرج السامريين من دائرة عمله ، رغم أنهم يؤمنون بموسى والتوراة ، كما سبق أن أخرج الأميين الذين ليسوا إسرائيليون ولا يؤمنون بموسى والتوراة .

٤ - وإذا ما انتضت هذه الحياة ، ثم جاء يوم القيامة ، فإن دينونة المسيح وتلاميذه تنحصر في أسباط إسرائيل الاثني عشر . فقد سأله بطرس :
« ها نحن قد تركنا كل شيء ، وتبعناك ، فماذا يكون لنا ؟ »

فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده ، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر - متى ١٩ : ٢٧ - ٢٨ » .

ورغم هذا الوضوح في تحديد دائرة التبشير المسيحي الحقيقي ، فإننا نجد إنجيل مرقس ينسب للمسيح قوله لتلاميذه ، كتعليم أخير : « اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليفة كلها - مرقس ١٦ : ١٥ » . وقال مثل ذلك إنجيل متى في خاتمه (٢٨ : ١٩) ، وكذلك إنجيل لوقا (٢٤ : ٤٧) .

فكيف يتفق هذا مع ما سبق أن أعلنه المسيح وعمل به وعلمه لتلاميذه ،
وهو حصر رسالته في بنى إسرائيل ؟

إن الإجابة على هذا السؤال تستدعى التعرف على الأناجيل ، وخاصة
الفقرات التي اختتمت بها ، وما إذا كانت من عمل المؤلف الأصلي أم أنها
إضافات أدخلت إليها فيما بعد .

وهنا نضطر إلى التذكرة — باختصار — ببعض ما سبقت دراسته بشيء
من التفصيل (٣) .



إنجيل مرقس : يعتبر أقدم الأناجيل ، وقد كان مصدراً رئيسياً نقل
عنه كل من متى ولوقا الشيء الكثير . وفي هذا تقول دائرة المعارف
البريطانية :

« إن القول بأن متى ولوقا استخدموا إنجيل مرقس ، أصبح على وجه
العموم مسلماً به .

ولكن بجانب إنجيل مرقس فلا بد أنهما استخدماً وثيقة أخرى . .
إننا لا نعلم ما هي الأشياء التي أغفل ذكرها هذا المصدر ، كما أننا
لا نعرف خواصه ومحتوياته التي انفرد بها ولم ير فيها كل من متى ولوقا
ما يناسبه لكي يضيفها إلى إنجيله » (٤) .

ويقول فريدريك جرانت : « لا يزال ما يرويه بايياس هو نقطة البدء
فيما يتعلق بالتحليل الكافي للنواحي التاريخية والأدبية في إنجيل مرقس ،
إذ يقول : في الواقع أن مرقس الذي كان ترجيحاً لبطرس قد كتب بالقدر
الكافي من الدقة التي سمحت بها ذاكرته ، ما قيل عن أعمال (يسوع)
وأقواله ، ولكن دون مراعاة للنظام . ولقد حدث ذلك لأن مرقس

(٣) راجع كتاب المؤلف : المسيح في مصادر العقائد المسيحية — ص ١٥—١٢٤

(٤) المرجع ٢٩ : ج ٢ — ص ٥٢٣

لم يكن قد سمع (يسوع) ولا كان تابعاً شخصياً له ، لكنه في مرحلة متأخرة قد تبع بطرس «(٥)» .

وبالنسبة لتاريخ كتابة هذا الإنجيل « فإنه غالباً ما يحدد في الجزء المبكر من الفترة ٦٥ - ٧٥ م . . ويعتقد كثير من العلماء أن ما كتبه مرقس في الإصحاح ١٣ قد سطر بعد عام ٧٠ » . (٦) أى أن ما ذكره الإصحاح ١٣ عن هدم الهيكل قد سطر بعد وقوعه على أيدي الرومان .

ولقد وجد العلماء أن هذا الإنجيل - كغيره من الأناجيل - يثير عدداً من المشاكل ، منها الاختلافات التي تظهر في مختلف النسخ . « فلقد زحفت تغييرات تعذر اجتنابها ، وهذه حدثت عن قصد أو بدون قصد . ومن بين مئات المخطوطات - أى النسخ التي عملت باليد - لإنجيل مرقس والتي عاشت إلى الآن ، فإننا لا نجد أى نسختين تتفقان تماماً » (٧) .

وثمة مشكلة أخرى هامة وخطيرة ، ألا وهي خاتمة الإنجيل ، ذلك أن نهاية هذا الإنجيل - كغيره من الأناجيل وخاصة إنجيل متى - غير متفق عليها في النسخ المختلفة . إذ أن الإصحاح ١٦ - وهو الأخير - من إنجيل مرقس يحتوي على ٢٠ عدداً ، لكن الأعداد من ٩ إلى ٢٠ « بالرغم من ظهورها في أغلب المخطوطات الموجودة إلى الآن من إنجيل مرقس ، إلا أن النسخة القياسية المراجعة للكتاب المقدس كانت على صواب تام في معاملتها لهذه الأعداد (من ٩ إلى ٢٠) على أنها غير شرعية ، ولذلك نقلتها من الأصل إلى الهامش . إن هذه الفقرة لا يمكن تحديد تاريخها الزمني بالضبط ، ولكنها قببات كجزء من إنجيل مرقس حوالى عام ١٨٠ م ، كما أن مؤلفها غير معروف البتة » (٨) .

(٥) المرجع ١٣ : ص ٧٣

(٦) المرجع ١٤ : ص ٤٢

(٧) المرجع ١٤ : ص ١١

(٨) المرجع ١٤ : ص ٤٤٩ - ٤٥٠

مما سبق يتبين أن أحسداً من علماء المسيحية لا يدري حقيقة الخاتمة التي انتهى بها إنجيل مرقس ، وإن الغموض الذي يحيط بخاتمته لا يختلف كثيراً عن الغموض الذي يكتنف شخصية مرقس الذي التصق اسمه بهذا الإنجيل .

★

إنجيل متى : لا يتسع المفاصل هنا للحديث عن هذا الإنجيل - وغيره من بقية الأناجيل - من نواحي الغموض الذي يحيط بكاتبه وتاريخ تأليفه والمكان الذي كتب فيه ، فيكفي التذكرة باعتماد كاتبه - وكاتب إنجيل لوقا أيضاً - على إنجيل مرقس ، واعتباره مصدراً رئيسياً . ولكن يهمننا الحديث فقط عن خاتمته التي يشك فيها العلماء ويعتبرونها دخيلة عليه . فهي تنسب للمسيح قوله لتلاميذه : « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس - ٢٨ : ٢٩ » .

ويرجع السبب في ذلك الشك - كما يقول أدولف هرنك - إلى الآتي :

« ١ - لم يرد إلا في الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ما يتكلم عن المسيح وهو يلقى مواظب ويعطى تعليقات بعد أن أقيم من الأموات ، وأن بولس لا يعلم شيئاً عن هذا .

٢ - إن صيغة التثنية هذه (التي تتكلم عن الآب والابن والروح القدس) غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ في عصر الرسل ، وهو الشيء الذي كانت تبقى جديدة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصياً » (٩) .

★

إن هذا الذي عرفناه عن الأناجيل ، يحدد بوضوح أن الاعتماد على ما جاء في خاتمتهما من مثل دائرة التبشير من بني إسرائيل إلى أمم

(٩) المرجع ١٧ : ص ٢٩

العالم الأخرى ، لا يتفق والحقيقة . فكل تلك الأقوال وما شابهها لا تعدو أن تكون إضافات إلتحمت بالأنجيل ، وحدثت في القرن الثاني من الميلاد بعد أن انقطع الأمل في عودة المسيح سريعاً إلى الأرض ، فيما يعرف بالخبث الثاني ، وهو الشيء الذي بشرت - ولا تزال تبشر - به الأنجيل فهي تقول :

فيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا متى يكون هذا ، وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر .

فأجاب يسوع وقال لهم : انظروا لا يضلحكم أحد . فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح ويفضلون كثيرين

وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء وقوات السماء تنزعزع . وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان (المسيح) في السماء . . . ويبصرون ابن الإنسان آتياً هلى سحاب السماء . . .

الحق أقول لكم ، لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله - متى ٢٤ : ٣ - ٣٤ .

لقد قرر إنجيل متى هنا أن نهاية العالم وعودة المسيح إلى الأرض تحدث قبل أن يفنى ذلك الجيل الذي عاصره في القرن الأول من الميلاد . وهو قد قرر ذلك في مواضع سابقة فأكد على عودة المسيح ثانية إلى الأرض قبل أن يكون بعض معاصريه قد ماتوا ، فقال على لسان المسيح :

« الحق أقول لكم أن من القيام ههنا قوم لا يدوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته - متى ١٦ : ٢٨ » .

وأكثر من ذلك وأهم هنا هو تأكيد على عودة المسيح ثانية قبل أن يكمل تلاميذه التبشير في مدن إسرائيل ، فهو يقول :

« هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : إلى طريق أمم
لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف
بيت إسرائيل الضالة .

إني الحق أقول لكم لا تكلمون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن
الانسان - متى ١٠ : ٥ - ٢٣ » .

والسؤال البدهى هنا ، والذي يفرض نفسه على كل القائمين بالتبشير
المسيحى - قديماً وحديثاً - هو : إذا كانت عودة المسيح إلى الأرض
ستتم بتلك السرعة وقيل أن يكمل تلاميذه التبشير في مدن إسرائيل
المتجاورة الحدودية ، فكيف يمكن الحديث بعد ذلك عن التبشير بين
أمم العالم والتكريز بالإنجيل للخليفة كلها ؟ !

إن الإجابة على هذا السؤال واضحة تماماً ، وهي تتفق وما سبق
بيانه من أن دائرة التبشير المسيحى الحقيقى لا تتجاوز بنى إسرائيل .

★

هذا ومن الجدير بالذكر أن فكرة المحىء الثانى السريع شائعة في
أسفار العهد الجديد ، وفيها يتول جون فنتون : « رغم أن إنجيل متى هو
أحد كتب العهد الجديد الذى ذكر بوضوح حدوث النهاية السريعة للعالم ،
فإننا في الواقع نجد أن أغلب كتاب العهد الجديد قد عبروا عن هذه العقيدة
« مرقس ١٣ : ٢٤ - ٣٠ ، لوقا ٢١ : ٢٥ - ٣٢ » . وفي اعتقاد كثير
من العلماء أن يسوع نفسه كان يتطلع إلى عودته سريعاً إلى الأرض بعد وفاته
في مجد وبهاء . . إننا لا نستطيع أن نأخذ أقوال متى عن نهاية العالم حرفياً ،
فقد برهن التاريخ على خطئها » (١٠)

★

(١٠) المرجع ١٥ : ص ٢١ - ٢٢

بعد رفع المسيح : حين تتبع النشاط التبشيري لتلاميذ المسيح وأتباعهم خلال ربع القرن الذى أعقب رفع معلمهم ، نجده قد وجه أساساً للعمل بين اليهود والدعوة فى مجامعهم . فمن المعلوم أن اليهود كانوا منتشرين فى أرجاء العالم الرومانى . وفى إحدى المحاورات بين المسيح واليهود نجد لإنجيل يوحنا يشير إلى يهود الشتات اليونانيين فيقول :

« قال لهم يسوع أنا معكم زماناً يسيراً بعد ثم أمضى إلى الذى أرسلنى ستطلبونى ولا تجدونى وحين أكون أنا لا تقدرُونَ أنتم أن تأتوا .

فقال اليهود فيما بينهم : إلى أين هذا مززع أن يذهب : أبعده مززع أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويعلم اليونانيين - ٧ : ٣٣ - ٣٥ » .

كذلك يذكر سفر أعمال الرسل خليطاً من اليهود الذين جاءوا إلى أورشليم للمشاركة فى العيد ، فيعدد منهم ١٦ أمة ويقول : « وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء . . فرتيون ، وماديون ، وعيلاميون ، والساكنون ما بين النهرين ، واليهودية ، وكهدوكية ، وبنتنس ، وأسياء ، وفريجية ، وبمفيلية ، ومصر ، ونواحي ليبيا التى نحو القيروان ، والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء ، كريتيون ، وعرب - ٢ : ١١ »

وبعد قتل استفانوس وتشتت أغلب التلاميذ والتابعين ، استمر التبشير المسيحى منحصرآ فى اليهود ، إلا ما كان يتهم به بعض الغرباء مثل القبارصة وغيرهم من تبشير بين اليونانيين :

« أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية وقبرس وأطاكية ، وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلا اليهود فقط .

ولكن كان منهم قوم وهم رجال قبرسيون وقبرانيون الذين لما دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع . فآمن عدد كبير - أعمال الرسل ١١ : ١٩ - ٣١ » .

وبعد أن أدخل بولس نفسه عنوة في زمرة التلاميذ ، اصطحبه الرجل الصالح برنابا للتبشير بين اليهود : « فهذان (برنابا وبولس) سافرا في البحر إلى قبرس ، ولما صارا في سلاميس ، ناديا بكلمة الله في مجامع اليهود - أعمال الرسل ١٣ : ٤ - ٥ » .

« أتوا إلى أنطاكية بسيدية ، ودخلوا المجمع يوم السبت وجلسوا . وبعد قراءة الناموس والأنبياء أرسل إليهم رؤساء المجمع قائلين أيها الرجال الاخوة إن كانت عندكم كلمة وعظ للشعب فقولوا ، فقام بولس - أعمال الرسل ١٣ : ١٤ - ١٦ » .

« أتيا (بولس وسيلا) إلى تسالونيكي حيث كان مجمع اليهود ، فدخلى بولس إليهم حسب عادته وكان يحاجهم ثلاثة سبوت من الكتب - أعمال الرسل ١٧ : ١ - ٢ » .

« وأما الاخوة فلوقت أرسلوا بولس وسيلا ليلا إلى بيرية وهما لما وصلا مضميا إلى مجمع اليهود فآمن منهم كثيرون - أعمال الرسل ١٧ : ١٠ - ١٢ » .

« بعد هذا مضى بولس من أثينا وجاء إلى كورنثوس .. وكان يحاج في المجمع كل سبت ويقنع يهوداً ويونانيين - أعمال الرسل ١٨ : ١ - ٤ » .

« وأما بولس .. أقبل إلى أفسس .. ودخل المجمع وحاج اليهود - أعمال الرسل ١٨ : ١٩ » .

حتى إذا ما جاءت خاتمة سفر أعمال الرسل بوصول بولس إلى روما ، نجده في حوار مع اليهود :

« بعد ثلاثة أيام استدعى بولس الذين كانوا وجوه اليهود .. فطفق يشرح لهم شاهداً بملكوت الله ومقنعاً إياهم من ناموس موسى والأنبياء يأمر يسوع من الصباح إلى المساء ، فاقننع بعضهم بما قيل وبعضهم لم يؤمنوا - أعمال الرسل ٢٨ : ١٧ - ٢٤ » .

*

أما بعد — فلقد تبين لنا الآن أن تعاليم المسيح وتطبيقاتها وفق أعمال التلاميذ وتابعيهم ، قد أكدا كليهما أن دائرة التبشير بالمسيحية تنحصر في اليهود .

وليس في هذا ما يمكن اعتباره تضييقاً للزاوية التي ترى المسيحية من خلالها ، بأى حال من الأحوال . فهذا موسى الذى انحصرت رسالته في بنى إسرائيل ، يقف شامخاً — وكتابه التوراة — في اليهودية والمسيحية والإسلام .

ولقد كان موسى وكتابه هما المرجع والملاذ الذى يركن إليه المسيح وتلاميذه في البرهنة على صدق الرسالة المسيحية . فهذا إنجيل يوحنا يذكر على لسان المسيح قوله لليهود : « لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونى لأنه كتب عنى . فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذلك ، فكيف تصدقون كلامى ؟ ١ — يوحنا ٥ : ٤٦ — ٤٧ » .

وها هو بطرس يتحدث عن نبوة لموسى ظنّها تتعلق بالمسيح ، فيقول : « إن موسى قال للآباء إن نبياً مثلى سيقم لكم الرب إلهكم من إخوتكم ، له تسمون في كل ما يكلمكم به — أعمال الرسل ٣ : ٢٢ » .

وكذلك قال استفانوس (أعمال الرسل ٧ : ٣٧) .

لقد كانت هذه تذكرة لا بد منها ...

على أن ما يعيننا الآن هو تقصى الحقائق حول تغيير دائرة التبشير والخروج بالمسيحية من اليهود إلى الأمم ، ثم التعرف على الصورة التى قدمت — ولا تزال تقدم — بها العقيدة التى حملت اسم المسيح إلى العالم .

إن هذا ما سنتناوله بالبحث في الفصل التالى .

الفصل الثانى

التبشير المسيحى الصليبي

مجتمع التلاميذ :

تذكر الأناجيل أن المسيح اختار اثني عشر تلميذاً جعلهم رسلة للتبشير في بنى إسرائيل ، وفي هذا يقول إنجيل متى : « دعا تلاميذه الاثني عشر.. وأما أسماء الاثني عشر رسولا فهي هذه : الأول سمعان الذى يقال له بطرس وأندراوس أخوه . يعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه . فيلبس وبرثولماوس . توما ومتى العشار . يعقوب بن حلفى ولباوس الملقب تداوس . سمعان القانونى ويهوذا الاسخريوطى - ١٠ : ١ - ٤ » .

ويتفق هذا مع قائمة الأسماء التى ذكرها مرقس (٣ : ١٦ - ١٩) لكنه يختلف عن قائمة لوقا التى تذكر يهوذا أخا يعقوب بدلا من لياوس الملقب تداوس (لوقا ٦ : ١٣ - ١٦) .

وبصرف النظر عن هذا الاختلاف ، فقد كان بطرس هو رئيس التلاميذ ومفوضه في قيادتهم . ففي حديث قيل إنه جرى بين المسيح وبطرس أمام التلاميذ ، قال له : « طوبى لك يا سمعان بن يونا .. وأنا أقول لك أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات متى ١٦ : ١٧ - ١٩ » .

من ذلك يتضح أن المسيح أعطى بطرس تفويضاً مطلقاً بأن يقول ويفعل في سبيل رسالة المسيح ما يشاء

ويذكر إنجيل يوحنا أن آخر تعليمات أصدرها المسيح لبطرس أمام تلاميذه، أن جعله راعياً لهم : « فبعد ما تغدوا قال يسوع لسمعان بطرس : يا سمعان بن يونا أتجنبي أكثر من هؤلاء . قال له نعم . . أنت تعلم أنني أحبك . قال له إراع خرافي . . قال له أيضاً ثانية . . إراع غنمي . . قال له الثالثة . . إراع غنمي » . ١٧ - ١٥ : ٢١ .

ولقد استمر بطرس في قيادة التلاميذ بعد رفع المسيح ، فكان هو الرئيس والمعلم والخطيب ، وكان هو الذي أوصى باختيار تلميذ بدلا من يهوذا الخائن ، فاخترنا متياس . ويذكر سفر أعمال الرسل عن قيادة بطرس للتلاميذ قوله :

« في تلك الأيام قام بطرس وسط التلاميذ وكان عدة أسماء نحو مائة وعشرين فقال . . ينبغي أن الرجال الذين اجتمعوا معنا . . يصير واحد منهم شاهداً معنا . . ثم ألقوا قرعهم فوقعت القرعة على متياس فحسب مع الأحد عشر رسولا - ١ : ١٥ - ٢٦ . »

وبعد أن « امتلأ الجميع من الروح القدس . . وقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم : أيها الرجال اليهود . . اصغوا إلى كلامي . . يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم تعلمون . . توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس . . وبأقوال أخر كثيرة كان يشهد لهم ويعظهم . . فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس - أعمال الرسل ٢ : ١٤ - ٤١ . »

ويطول بنا الحديث عن بطرس وقيادته للتلاميذ وأثره القوي في نشر دعوة المسيح ، ولهذا نكتفي بما عرضناه على أن تكون خاتمته بعض عجائب بطرس :

« كان مؤمنون ينضمون للرب أكثر ، جماهير من رجال ونساء ، حتى أنهم كانوا يحملون المرضى خارجاً في الشوارع ويضعونهم على فرش

وأسرة حتى إذا جاء بطرس يخيم ولو ظلله على أحد منهم واجتمع جمهور
المدن المحيطة إلى أورشليم حاملين مرضى ومعذبين من أرواح نجسة ،
وكانوا يبرأون جميعهم - أعمال الرسل ٥ : ١٤ - ١٦ » .

لكن هذا الحال مالمبث أن تغير تماماً ، وتغير تبعاً لذلك مفهوم الدعوة
ومسارها ، حين ظهر بولس فجأة في مجتمع التلاميذ ، فكان ظهوره بمثابة
انقلاب على تلاميذ المسيح والدعوة التي تلقوها من معلمهم .

ولم يلبث بولس أن اشتبك في صراع مع بطرس شيخ التلاميذ وأهمه
بالنفاق ، وفي هذا يقول : « لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه
كان ملوماً . لأنه قبلها أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم ولكن
لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان . وراءى
معه باقى اليهود أيضاً حتى إن برنابا أيضاً انقاد إلى ريتهم - غلاطية
٢ : ١١ - ١٣ » .

ثم مالمبث بطرس ونشاطه التبشيري أن اختفى من سفر أعمال الرسل ،
هذا الذى يعرف فى الواقع باسم سفر أعمال بولس بعد أن طغى على
الآخرين .

★ ★

بولس يهودياً :

اشتهر بولس بتعصبه ليهوديته ومشاركته فى اضطهاد المسيحيين وقتلهم
والسطو على الكنيسة . ويذكر سفر أعمال الرسل أن الذين قتلوا استفانوس
« خلعوا ثيابهم عند رجلى شاب يقال له شاول (بولس) . . وكان شاول
راضياً بقتله - ٧ : ٥٨ ، ٨ : ١ » .

« وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً
ونساء ويسلمهم إلى السجن - أعمال الرسل ٨ : ٣ » .

« أما شاول فكان لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب . فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجلاً أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم - أعمال الرسل ٩ : ١ - ٢ » .

وفجأة أعلن بولس أنه قد أصبح رسولاً للمسيح إثر حادثة قال إنها وقعت له في طريق الذهاب إلى دمشق . ولما كانت هذه الحادثة تعتبر الأساس الوحيد الذي بنى عليه بولس اعلانه قبول المسيحية ثم اختياره رسولاً من المسيح للتبشير بها ، كان من اللازم تمحيضها حتى نلتين حقيقة الأمر .

لقد ذكر لوقا - كاتب الإنجيل وسفر أعمال الرسل - قصة تحوّل بولس إلى المسيحية واختياره رسولاً لها في ثلاثة مواضع : الأول على لسان لوقا في الإصحاح التاسع ، وأما الثاني والثالث فقد أوردهما على لسان بولس في الإصحاحين الثاني والعشرين والسادس والعشرين على الترتيب .

يقول الإصحاح التاسع : « في ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أشرق حوله نور من السماء . فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له : شاول شاول لماذا تضطهدني . فقال من أنت يا سيد . فقال الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده . فقال وهو مرتعد ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل . فقال له الرب : قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل . وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين ، يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً .

فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً . فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق . وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب - ٩ : ٣ - ٩ » .

من ذلك يتبين أن المسافرين مع بولس : سمعوا الصوت - لم ينظروا النور - وقفوا صامتين - لم يعموا مثله ولذلك اقتادوه إلى دمشق - وهناك سيتلقى الرسالة ويعرف المهمة .

ويقول الإصحاح الثاني والعشرين على لسان بولس :

« حدث لي وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم . فسقطت على الأرض وسمعت صوتاً قائلاً لي : شاول شاول لماذا تضطهدني . فأجبت من أنت يا سيد . فقال لي أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده .

والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني .

فقلت ماذا أفعل يارب . فقال لي الرب قم واذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل . وإذا كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور اقتادني بيدي الذين كانوا معي فجئت إلى دمشق - ٢٢ : ٦ - ١١ » .

أى أن المسافرين مع بولس : لم يسمعوا الصوت - نظروا النور وارتعبوا - ومع ذلك لم يعموا مثله ولذلك اقتادوه إلى دمشق - وهناك سيتلقى الرسالة .

ويقول الإصحاح السادس والعشرين على لسان بولس أيضاً :

« رأيت في نصف النهار في الطريق أيها الملك نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولي وحول الزاهيين معي . فلما سقطنا جميعاً على الأرض سمعت صوتاً يكلمني ويقول باللغة العبرانية شاول شاول لماذا تضطهدني .

صعب عليك أن ترفس مناخس . فقلت أنا من أنت يا سيد فقال أنا يسوع الذي أنت تضطهده . ولكن قم وقف على رجلك لأني لهذا ظهرت لك لانتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به . منتقداً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم - ٢٦ : ١٣ - ١٧ » .

أى أن المسافرين مع بولس : سقطوا معه على الأرض إذ فوجئوا بالنور - أما بولس فقد تلقى الرسالة فوراً (لقوله : أنا الآن أرسلك إليهم) - مع وعد بإنقاذه من الشعب اليهودى والأمم الذين أرسل إليهم فلا يقضوا عليه ، كما سبق إنقاذ كثيرين من أيدي أعدائهم مثل داود الذى قال « فى اليوم الذى أنقذه فيه الرب من أيدي كل أعدائه .. أمواج الموت اكتنفتنى .. أنقذنى من عدوى القوى - صموئيل ٢٢ : ١-١٨ » .

ونجمل خلاصة الملاحظات على رؤيا بولس واختياره رسولاً للمسيح فى الجدول التالى :

رقم الإصحاح	موقف المسافرين مع بولس	بولس
٩	سمعوا الصوت - لم ينظروا النور - وقفوا صامتين	أمره المسيح بالذهاب إلى دمشق لتلقى الرسالة
٢٢	لم يسمعوا الصوت - نظروا النور	أمره المسيح بالذهاب إلى دمشق لتلقى الرسالة
٢٦	نظروا النور - سقطوا على الأرض	أعطاه المسيح الرسالة فوراً مع وعد بإنقاذه من اليهود والأمم الأخرى

لم يبق لنا بعد هذا الذى رأيناه من تعليق سوى التذكرة بقاعدة أصولية تحكم الناس فى حكمهم فى مختلف القضايا ، قاعدة تقول : ماتسرب إليه الاحتمال ، سقط به الاستدلال .

ونحن هنا فى موقف يهون معه تسرب الاحتمال ، فلقد وضح جلياً عظم التناقض والاختلاف ، خاصة إذا علمنا أن بولس انتهت حياته بالقتل فى روما على أيدي الأمميين . فلم ينقذ ، كما سبق إنقاذ داود من أعدائه حتى مات ميتة طبيعية .

★ ★

بولس مسيحياً :

لما جاء شاول (بولس) إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ .
وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ . فأخذته برنابا وأحضره
إلى الرسل ..

فكان معهم يدخل ويخرج في أورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع -
أعمال الرسل ٩ : ٢٦-٢٨ » .

لقد رفض تلاميذ المسيح قبول بولس بينهم ، لولا شفاعته برنابا الرجل
الصالح الذى قدمه إليهم ، وبناء على ثقتهم في برنابا فقد تركوه « يدخل
ويخرج » معهم . لكن بولس لم يلبث أن انقلب على برنابا ، كما سنرى
بعد قليل .

إن تاريخ الرسالات السماوية حافل بالكثيرين ممن كانوا من أشد الناس
عداوة لها وكنزراً بها ، ثم مالبتوا -بعد أن آمنوا بها - أن تحولوا إلى أخلص
دعاتها . لكنهم بعد أن تلتوا تعاليمها من صاحب الدعوة ذاته أو من
صحابته وتابعيهم ، التزموا بتلك التعاليم ، وقاموا يدعون لها بكل
أمانة وإخلاص .

لكن مشكلة بولس فريدة في نوعها ، فنع أنه لم يكن أصلاً من تلاميذ
المسيح ، ولم يحظ برؤيته والحديث إليه - ولو مرة واحدة - في حياته ،
إذا به بعد أن أعلن نفسه رسولا للمسيح ، يقرر أن مفهومه للمسيحية إنما
هو شيء يختص به ، تلقاه من المسيح مباشرة في تلك الرؤيا التى قيل إنه
رآها في الطريق إلى دمشق ، ومن ثم فلا حاجة به إلى استشارة تلاميذ المسيح
وحوارييه . وفي هذا يقول بولس :

« أعرفكم أيها الاخوة الإنجيل الذى بشرت به ، أنه ليس بحسب
إنسان ، لأنى لم أقبله من عند إنسان ، ولا علمته ، بل بإعلان يسوع المسيح ..

ولكن لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فى لأبشر به بين الأمم ، للوقت لم أستشر حمماً ودمماً ، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلى ، بل انطلقت إلى العربية ثم رجعت أيضاً إلى دمشق .

ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرّف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً . ولكنى لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب ..

بعد ذلك جئت إلى أقاليم سورية و كيليكية . ولكنى كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التى فى المسيح — غلاطية ١: ١١-٢٢ .
لقد ظل بولس يبشر بالمسيحية وفق مفهومه الخاص طيلة سنوات ثلاث ، وهى أطول فترة يظن العلماء أن المسيح استغرقها فى دعوته بين الناس ، وأخيراً ذهب بولس إلى أورشليم ليتعرّف ببطرس رئيس التلاميذ ، فكث عنده أسبوعين قابل خلالها يعقوب أخا المسيح .

ثم كانت عودته إلى أورشليم بعد ١٤ سنة للتأكد من أن تعاليمه التى بشر بها بين الناس ليس بها ما يرفضه التلاميذ المعترفون . وفى هذا يقول بولس :

« ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضاً إلى أورشليم مع برنابا آخذاً معى تيطس أيضاً وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم ، ولكن بالانفراد على المعترفين ، لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً ..

وأما المعترفون أنهم شىء ، مهما كانوا ، لافرق عندى . الله لا يأخذ بوجه إنسان . فإن هؤلاء المعترفين لم يشيروا على بشىء — غلاطية ٢: ١-٦ .»

ولقد اقترن النشاط التبشرى لبولس بحملته الشديدة على شريعة موسى ، فأحدث ذلك موجة من البلبلة والانقسام فى الجماعة المسيحية الناشئة ، صاحبه

استنكار من شيوخ التلاميذ الذين واجهوه بذلك الاتهام ، طالبين منه تبرئة موقفه :

« دخل بولس معنا إلى يعقوب وحضر جميع المشايخ .. وقالوا له أنت ترى أيها الأخ كم يوجد ربوة من اليهود الذين آمنوا وهم جميعاً غيورون للناموس . وقد أخبروا عنك أنك تعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى قائلاً أن لا يخنثوا أولادهم ولا يسلكون حسب العوائد . فإذا يكون ؟

لابد على كل حال أن يجتمع الجمهور لأنهم سيسمعون أنك قد جئت . فافعل هذا الذي نقول لك : عندنا أربعة رجال عليهم نذر . خذ هؤلاء وتطهر معهم . فيعلم الجميع أن ليس شيء مما أخذوا عنك ، بل تسلك أنت أيضاً حافظاً للناموس — أعمال الرسل ٢١: ١٨-٢٤ .

لقد كان بعض اليهود الذين آمنوا بالمسيح يرون أن الأمميين — غير اليهود — الذين قبلوا المسيحية مثلهم « ينبغي أن يخنثوا ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى . فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا في هذا الأمر . فبعد ما حدثت مباحثة كثيرة . كتبوا بأيديهم . إلى الاخوة الذين من الأمم في أنطاكية وسورية وكيليكية . نحن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة . أن تمتنعوا : عما ذبح للأصنام ، وعن الدم ، والخموق ، والزنا — أعمال الرسل ١٥: ٤-٢٩ .

لكن هذا المرسوم الذي أصدره تلاميذ المسيح وشيوخ الكنيسة في أورشليم ، وراعوا فيه التيسير على غير اليهود — مع التمسك بأقل القليل من شريعة موسى التي حرص المسيح عليها دائماً — لم يلبث أن عطله بولس ، وما ذلك إلا لحفيظة في نفسه ضد كنيسة أورشليم وما يصدر عنها ، ومحاولاته المستمرة للتبشير بالمسيحية بعيداً عن قيادتها .

يقول بليك لوك — الأستاذ بجامعة أوكلاند بنيوزيلاند — في تفسيره لسفر أعمال الرسل :

« إن الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ٨ : ٤ تبين أن بولس قد تبني علناً وجهة نظر أكثر انطلافاً عما تساهل فيه المرسوم الذى صدر عن كنيسة أورشليم من قيود (وذلك فى قوله : من جهة أكل ماذبح للأوثان ، نعلم أن ليس وثن فى العالم) ..

لقد كان مسار التاريخ العابس هو المسئول عن تحطيم قوة كنيسة أورشليم.. هذه التى شعر بولس أنها قد أدانته (كما فى أعمال للرسل ٢١ : ٢٠ - ٢٦ ، وكما يقول بولس فى رسالته إلى أهل رومية : لكى أنقذ من الذين هم غير مؤمنين فى اليهودية) ..

ففى أثناء التمرد الذى حدث عام ٦٦ ميلادية هرب المسيحيون من أورشليم ٠٠ وبعد أن أفقرت أورشليم عقب حصارها وتدميرها عام ٧٠ ميلادية ، فإن تأثيرهم فى المسيحية كان قد انتهى «(١) .



بولس و برنابا :

لقد كان برنابا هو الذى أدخل بولس فى مجتمع التلاميذ ، فقبلوه بينهم بناء على ثقتهم فى برنابا الذى يشهد له سفر أعمال الرسل بالتقوى والصلاح ، إذ يقول فيه :

« سمع انجبر عنهم فى آذان الكنيسة التى فى أورشليم ، فأرسلوا برنابا لكى يجتاز إلى أنطاكية .. لأنه كاهن رجالاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان ..

ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول (بولس) ولما وجدته جاء به إلى أنطاكية . فحدث أنها اجتمعا فى الكنيسة سنة كاملة وعلما جمعاً غفيراً . ودعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولاً ٠٠

(١) المرجع ١٦ : ص ١١٤ - ١١٥

حتم التلاميذ .. أن يرسل كل واحد شيئاً خدمة إلى الاخوة الساكنين في اليهودية . ففعلوا ذلك مرسلين إلى المشايخ بيد برنابا وشاول — أعمال الرسل ١١ : ٢٢ — ٣٠ » .

« ورجع برنابا وشاول من أورشليم بعدما كملوا الخدمة وأخذوا معها الملقب مرقس — أعمال الرسل ١٢ : ٢٥ » .

ولقد كان الروح القدس هو الذى قدم برنابا على بولس في الدعوة التبشيرية :

« قال الروح القدس أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه .. فهذان إذ أرسلنا من الروح القدس .. سافرا في البحر إلى قبرس — أعمال الرسل ١٣ : ٢-٤ » .

« كتبوا بأيديهم هكذا : الرسل والمشايخ .. رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلها إليكم مع حبيبتنا برنابا وبولس — أعمال الرسل ١٥ : ٢٣-٢٥ » .

لقد كان برنابا موضع ثقة التلاميذ وكنيستهم الأولى التي اعتبرته مفوضها وخاصة في المواقف الصعبة ، وكان هو المتقدم على بولس ، وقبل ذلك كله فإنه المسئول عن قبول التلاميذ لبولس كواحد منهم ، ومع ذلك فقد تشاجر معه بولس وانفصل عنه ليبشر بالمسيحية التي قبلها وفق مفهومه الخاص :

« حصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر . و برنابا أخذ مرقس وسافر في البحر إلى قبرس . وأما بولس فاختار سيلا .. فاجتاز في سورية و كيليكية يشدد الكنائس — أعمال الرسل ١٥ : ٣٩-٤١ » .

وكما ظهر بولس فجأة في قائمة المبشرين ، فإن كل من اصطدم ببولس من التلاميذ قد اختفى فجأة من سفر أعمال الرسل — الذى اعتبر سفرأ لأعمال بولس — وهكذا اختفى برنابا ونشاطه التبشيري .

يقول الإنجيل إن المسيح « عين سبعين آخرين وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان مزمعاً أن يأتي . . فرجع السبعون بفرح قائلين يارب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك . فقال لهم . . ها أنا أعطيتكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب . . ولكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم ، بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم كتبت في السموات - لوقا ١٠: ١-٢٠ » .

ويقول كتاب « تاريخ الكنيسة » ليوسابيوس القيصرى : « لا يوجد أى بيان عن أسماء التلاميذ السبعين . ويقال إن برنابا كان فعلاً واحداً منهم ، وقد تحدث عنه سفر أعمال الرسل في عدة مواضع . . وقد قرر أكليمينفس الاسكندرى أن برنابا كان أحد السبعين » (٢) .
فإذا كان برنابا واحداً من الذين حظوا بالتلمذة على المسيح مباشرة ، وقد حملته البشارة إلى الإسرائيليين ، وبشره بكتابة اسمه في السموات ، فإن هذا يعنى ببساطة أن الحق الذى حدثت بسببه المشاجرة بين برنابا وبولس كان فى جانب برنابا ، ولاشك .

★ ★

شخصية بولس :

يمكن التعرف على شخصية بولس وتحديد ملامحها الرئيسية وما يتعلق بها من فكر وسلوك وأساليب عمل ، وذلك مما سطره بولس فى رسائله .
الله فى فكر بولس : لقد كان بولس يظن أن عنده روح الله ، فهو يقول :

« أظن أنى أنا أيضاً عندى روح الله - (١) كورنثوس ٧: ٤٠ » .

وفى تصور بولس أن أعماق الله - إن صح هذا التعبير الغريب - خاضعة للفحص :

(٢) المرجع ١ : ص ٥٢

« الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله — (١) كورنثوس ٢ : ١٠ » .
 وإذا كان عبدة الأوثان والحيوانات والقوى الخفية قد درجوا على
 مر العصور على أن ينسبوا لها القوة المطلقة والعلم المحيط ؛ إلا أن
 بولس عجز عن السمو بإلهه إلى ذلك المستوى ، فنسب لله — سبحانه —
 جهالة وضعفاً ، وإن كانتا أفضل مما عند الناس . فهو يقول :
 « جهالة الله أحكم من الناس ، وضعف الله أقوى من الناس — (١)
 كورنثوس ١ : ٢٥ » (*) .

ورغم أن بولس عاش يبشر بسفك دم المسيح كفارة عن الخطايا ،
 ويجهد نفسه في استخراج مختلف المبررات والمزاعم ، إلا أنه اعترف
 بأن الله — سبحانه — كان في هذا العمل غير رحيم ، إذ يقول :
 « إن كان الله معنا فمن علينا . الندى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا
 أجمعين — رومية ٨ : ٣٢ » .

★

بولس المبشر : اختط بولس لنفسه قاعدة سار عليها في عمله
 التبشيري وهي أن : الغاية تبرر الوسيلة . لقد كانت غايته كسب
 أكبر عدد من البشر لما قام يدعو إليه ، من أجل ذلك لم يتورع عن
 اللجوء إلى مختلف الوسائل لاقتناص الناس . فهو يعترف بذلك إذ يقول :
 « إني إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح
 الأكثرين . فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود ، وللذين تحت
 الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس ، وللذين بلا ناموس
 كأني بلا ناموس . مع أنني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح
 لأربح الذين بلا ناموس . صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء .
 صرت لكل كل شيء لأخلص على كل حال قوماً ، وهذا أنا أفعله
 لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه — (١) كورنثوس ٩ : ١٩-٢٣ » .

(*) تقول الترجمة الإنجليزية المناظرة لهذا القول :

«The foolishness of God is wiser than men ; and the weakness
 of God is stronger than men.»

« أنا أيضاً أَرْضَى الجميع في كل شيء غير طالب ما يوافق نفسي بل
الكثيرين لكي يخلصوا—(١) كورنثوس ١٠: ٣٣ »
ولذلك لم يكن هناك حرج من استخدام الكذب وغيره لزيادة الأتباع :
« إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لخدمته، فلماذا أدان أنا بعد كخاطيء—
رومية ٣: ٧ »



بولس الفخور : لقد جعل بولس نفسه قديساً ، لا يدين العالم فقط
بل والملائكة كذلك :
« أستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم ٠٠ أستم تعلمون أننا
سندين ملائكة ، فبالأولى أمور هذه الحياة—(١) كورنثوس ٦: ٢-٣ »
« مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح ٠٠ اختارنا فيه قبل تأسيس العالم
لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة— أفسس ١: ٣-٤ »
إن القديسين الذين تكلم عنهم بولس ما بلغوا تلك المرتبة إلا بعد
حفظهم لحدود الله ، أما بولس فقد أعطى لنفسه الحق في كل شيء :
« كل الأشياء تحل لي ، لكن ليس كل الأشياء توافق ٠ كل الأشياء
تحل لي ، لكن لا يتسلط على شيء ٠٠ كل الأشياء تحل لي ، ولكن ليس
كل الأشياء تبني—(١) كورنثوس ٦: ١٢، ١٠: ٢٣ »
وفي مقارنة بينه وبين رسل المسيح ، يقول :

« قد صرت غيبياً وأنا أفتخر . أنتم ألزمتوني ، لأنه كان ينبغي
أن أمدح منكم ، إذ لم أنقص شيئاً عن فائتي الرسل ، وإن كنت
لست شيئاً—(٢) كورنثوس ١٢: ١١ »
« ليتكم تحتملون غباوتي قليلاً ٠ بل أنتم محتملي ٠٠ لأنني أحسب أنني
لم أنقص شيئاً عن فائتي الرسل ٠ وإن كنت عامياً في الكلام فلست في
العلم—(٢) كورنثوس ١١: ١-٦ »

وأخيراً يقول بولس :

« وقد جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعي ، حفظت الإيمان •
وأخيراً قد وضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان
العادل - (٢) تيموثاوس ٤ : ٧-٨ » •

★

بولس وخطاياها الجسدية : لقد كان بولس يرى أن كبح شهوات
الجسد إنما هو أمر جد عسير ، عجز هو شخصياً عن تحقيقه ، فبقى أسيراً في
قبضتها ، يصرخ طالباً من يتقده منها :

« لست أعرف ما أنا أفعله ، إذ لست أفعل ما أريده ، بل ما أبغضه
فإياه أفعل ..

إني أعلم أنه ليس ساكن في ، أي في جسدي ، شيء صالح . لأن
الإرادة حاضرة عندي ، وأما أن أفعل الحسنی فليست أجده .

لأنني لست أفعل الصالح الذي أريده ، بل الشر الذي لست أويده
فإياه أفعل ..

لكنني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى
ناموس الخطية الكائن في أعضائي .

ويحي أنا الإنسان الشقي : من ينقلني من جسد هذا الموت -
رومية ٧ : ١٥-٢٤ » .

★★

أما بعد ...

لقد كانت الرؤيا النهارية التي أعلن بولس تعرضه لها هي الإعلان عن
تحوله إلى المسيحية ليكون رسولا للمسيح ، ثم كانت رؤياه الليلية هي التي
قادتته للتبشير بين الأمم ونقل التبشير بالمسيحية خارج بني إسرائيل :

« ظهرت لبولس رؤيا في الليل : رجل مكشوف قائم يطلب إليه ويقول
اعبر إلى مكدونية وأعنا . فلما رأى الرؤيا للوقت طلبنا أن نخرج إلى
مكدونية متحققين أن الرب قد دعانا لنبشرهم — أعمال الرسل ١٦ : ٩-١٠ » .

وفي كورنثوس ينس بولس من اليهود فانتقل للتبشير بين الأممين :
« إذ كانوا (اليهود) يقاومون ويجدفون ، نفض ثيابه وقال لهم
دمكم على رؤوسكم ١٠

من الآن أذهب إلى الأمم .. فقال الرب لبولس برؤيا في الليل لا تخف
بل تكلم ولا تسكت . لأنني أنا معك ولا يقع بك أحد ليؤذيك — أعمال
الرسل ١٨ : ٦-١٠ » .

« وفي الليلة التالية وقف به الرب وقال : ثق يا بولس لأنك كما شهدت
بمالي في أورشليم هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضاً — أعمال الرسل ٢٣ : ١١ » .

وفي كل هذا كان بولس يبشر بمسيحية اختص بها — سوف نعرض
لها في الفصل التالي — وتختلف تماماً عن مسيحية المسيح . وعلى خطى
بولس سار التبشير المسيحي التقليدي ، أو بالأحرى التبشير الصليبي الذي
لا يرى في المسيحية سوى الصلب وسفك الدم .

الفصل الثالث

مسيحية : بولس أم المسيح ؟!

نعم ... إنها مسيحيان ، لامسيحية واحدة ٠٠٠

ولاعجب فإن أسفار العهد الجديد — بأناجيلها الأربعة ورسائل التلاميذ وتابعيهم ومن دخل في زمريتهم — لاتمثل فكراً عقائدياً واحداً ، ولكنها تمثل عقائد مختلفات . يقول فريدريك جرانت : « إن العهد الجديد كتاب غير متجانس ، ذلك أنه شتات مجمع ، فهو لايمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله إلى آخره ، لكنه في الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة » (١) .

وتبرز هذه المشكلة الخطيرة في الأناجيل الأربعة ، مما دفع دائرة المعارف الأمريكية إلى تقرير أن « الاختلاف بينهم عظيم .. لدرجة أنه لو قبلت الأناجيل المتشابهة (متى ومرقس ولوقا) باعتبارها صحيحة وموثوقاً فيها فإن مايرتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا » (٢) .

★

لكن بولس هو صاحب المسيحية التقليدية التي شاعت وذاعت ، وقامت أساساً على الصليب وسفك الدم ، وأدخلت على مسيحية المسيح الحقبة الشيء المخالف والخطير .

لذلك اعتبر بعض العلماء أن بولس هو مؤسس المسيحية ، أو على الأقل هو شريك المسيح في تأسيسها .

(١) المرجع ١٣ : ص ١٥

(٢) المرجع ٢٨ : ج ١٣ - ص ٧٣

يقول العالم الأمريكي مايكل هارت في كتابه «المائة: قائمة بأعظم الناس أثراً في التاريخ» - وقد وضع محمداً رسول الله على رأس القائمة ، ثم جعل المسيح يأتي في المرتبة الثالثة ، وبولس في المرتبة السادسة - حين يتحدث عن المسيحية فإنه يقول :

« إن المسيحية لم يؤسسها شخص واحد ، وإنما أقامها اثنان : المسيح وبولس . فالمسيح قد أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية وكذلك نظرتها الروحية وما يتعلق بالسلوك الإنساني ، أما مبادئ اللاهوت فهي من صنع بولس . فالمسيح هو صاحب الرسالة المسيحية ، ولكن بولس أضاف إليها عبادة المسيح ، كما أنه ألف جانباً كبيراً من العهد الجديد ، وكان المبشر الأول للمسيحية في القرن الأول .

« إن عدداً من الباحثين يرون أن مؤسس الديانة المسيحية هو بولس ، وليس المسيح . وليس من المنطوق في شيء أن يكون المسيح نفسه مسئولاً عما أضافته الكنيسة أو رجالها إلى الديانة المسيحية ، فكثير ما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه » .

ثم يقول هارت عن أفكار بولس : «إن يسوع لم يكن فقط نبياً بشراً ، بل كان إلهاً حقاً ، وأنه مات من أجل التكفير عن خطايا البشر ، وأنه إذا آمن الإنسان بيسوع المسيح فسوف تغفر خطاياها .

وبولس هو الذي أوضح فكرة الخطيئة الأولى ، وأعلن أنه لا داعي للتمسك بكثير من الشعائر اليهودية في الطعام والطهارة ، ولا داعي للتمسك بتعاليم موسى ، لأن تطبيق ذلك ليس كافياً لخلاص الإنسان .

لكن المسيح لم يكن يبشر بشيء من هذا الذي قاله بولس الذي يعتبر المسئول الأول عن تأليه المسيح» (٣) .

(٣) مجلة « أكتوبر » : العدد ١٠٤ ، ١٠٦

لقد كان هذا ملخصاً لأفكار بولس وأثره في المسيحية ، وسوف نعرض لأهم ما أثاره من قضايا بشىء من التفصيل .

★ ★

١ - بولس والمسيح :

لقد انصرف بولس عن تعاليم المسيح وما جاء يبشر به من ضرورة الإيمان بالله الواحد الذى يقبل الكل وتشرق شمس على الأشرار والصالحين وجعل كل همه الحديث عن المسيح والصليب بأفكار متضاربة وفلسفات تضاهى أقوال الذين اصطنعوا آلهة ثم عبدوها ، مثل قدماء المصريين والهنود والإغريق . يقول هنتر - عميد كلية المسيح بجامعة إبردن بإنجلترا - عن مفهوم بولس للمسيحية :

« إن شخص المسيح يقف في قلب مفهوم بولس للمسيحية كعقيدة خلاص » (٤) .

ولا غرو ؛ فهذا بولس يقول : « إني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا المسيح وإياه مصلوباً - (١) كورنثوس ٢: ٢ » .

وهذا الإنجيل الذى قام يبشر به بولس لم يتعلمه من المسيح إبان إحياته - لأنه لم يحفظ برؤياه - ولم يكن تعليماً نقله عن تلاميذه^٢المعتبرين ، نما كان رؤيا تضاربت فيها الأقوال ، كما سبق بيانه .

وإذا علمنا أن الموضوع الرئيسى الذى سبب الشقاق الدينى المسيحى ، وما اصطليغ به من صراع دموى رهيب وتكفير كل فرقة مسيحية لمخالفها فى الرأى ، كان كما يقول المؤرخ الإنجليزى ستيفن رنسيان : « طبيعة المسيح الذى تعتبر أهم وأعقد المشاكل فى أصول الدين المسيحى » - (٥) لأدركنا على الفور المنعطف الخطير الذى دفع بولس بمسيحية المسيح

(٤) المرجع ١٨ : ص ٧٠

(٥) المرجع ٢ : ج ١ - ص ٢٠

الحققة لتنزلق إليه ، بعد أن وضع بذرة الشقاق الذي لايزال ينمو إلى الآن ، وأغرق الناس في متاهات الحديث عن طبيعة الداعي بدلا من الحديث عن تعاليمه ومواعظه .



ويلخص هنتز فكر : ولس في المسيح ، فيقول : « إن بولس يصف هذا المخلص بأعظم الألقاب ، رغم أن استخدامه للقب مخلص نادر جداً (المسيح أيضاً رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد - إفسس ٥: ٢٣ ، فيلبي ٣: ٢٠) . ومن بين ألقاب التمجيد التي دعاه بها : مسيح - رب - ابن الله .

وفي مواضع أخرى يتحدث عنه : انه : الحكمة الإلهية - آدم الثاني ، على الرغم من أنه لم يستخدم أبداً لقب ابن الإنسان (الشائع في الأناجيل) . وهو يؤكد بشرية المسيح الكاملة : مولود من امرأة - تحت الناموس .. ومن غير المحتمل أن يكون سماه : الله (الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد - رومية ٩: ٥) ، إلا أنه يذكر المسيح مثل الله الأب تماماً (سلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح - رومية ١: ٢٧ ، (١) تسالونيكي ١ : ١ ، (٢) كورنثوس ١٣: ١٤) .

ثم هو يدعو ابن الله بمعنى لا تملك إلا أن نصفه بأنه منقطع النظير (الله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية .. الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا - رومية ٨: ٣، ٣٢ ؛ نقلنا إلى ملكوت ابن محبته .. الذي هو صورة الله - كولوسي ١: ١٣-١٥) ، ويؤكد على أن فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً (كولوسي ٢: ٩) ، وبينما هو يلحق بيسوع لغة العهد القديم المستخدمة ليهوه (إله إسرائيل ، مثل قوله : لأن الكتاب يقول كل من يؤمن به لا يخزي .. لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص - رومية ١٠: ١١-١٣) ، فإنه يعتبر يسوع أقل منزلة من الله (رأس المرأة فهو الرجل ورأس المسيح فهو الله - (١) كورنثوس ١١: ٣، ١٥: ٢٤) .

ورغم أنه ولد وعاش كموجود صارم ، إلا أنه يستطيع أن يصلى ليسوع كما لو كان يصلى لله تماماً . وعلاوة على ذلك فإن بولس يظن أن للمسيح وجوداً سابقاً (لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح) - (١) كورنثوس ١٠: ٤ ؛ لكن لما جاء ملاء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس - غلاطية ٤: ٤) .

ثم هو ينسب إليه دوراً كونياً في عملية الخلق (رب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به - (١) كورنثوس ٨: ٦ ؛ فيه خلق الكل ما فى السموات وما على الأرض . . . الكل به وله قده خلق ، الذى هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل - كولوسى ١: ١٦-١٨) .

وأخيراً فإن بولس يربط المسيح الحى بالروح (القدس) ، وبينما يرجح عدم تمييزه بينهما فإنه يذهب إلى الحد الذى يقول فيه : الرب هو الروح - (٢) كورنثوس ٣: ١٧ . إن هذا باختصار هو مفهوم بولس للمسيح « (٦) » .



من الواضح أن بولس لا يعبر إلا عن فكر مضطرب فى المسيح ، فهو يكاد يخلط بينه وبين الله حيناً (مخلصنا الله . . . سلام من الله الآب والرب يسوع المسيح مخلصنا - تيطس ١: ٣-٤) ثم يركز على أن المسيح ابن الله فى أغلب الأحيان .

إن لغة أسفار العهد القديم قد تحدثت عن « بنوة » لله حين أشارت إلى الشعب الإسرائيلى وبعض أنبيائه ، لتعنى بذلك المحبة والرعاية من الله لخلقته ، ولاشئ غير هذا .

وكذلك تحدثت الأناجيل عن تلك البنوة بنفس المفهوم الذى لا يعطى للمسيح وضعاً يميزه عن سائر المؤمنين . ويكفى التذكرة هنا بما أورده

(٦) المرجع ١٨ : ص ٨٠

لإنجيل يوحنا على لسان المسيح ، مشيراً إلى الله : « أبى وأبيكم ، وإلهى
والهكم - يوحنا ١٧: ٢٠ » .

لكن دعوة بولس للمسيح بأنه ابن الله ، جاءت - كما يقول هنتر -
منقطعة النظر ، فهى شىء يختلف تماماً عن لغة أسفار العهد القديم ،
ولغة الأناجيل ورسائل التلاميذ ، لأنها تقوم على الألوهية
الأزلية للمسيح .

« لقد سمي بولس يسوع « ابن الله » أربع مرات ، و« الابن »
مرتين ، و« ابنه » لأقل من إحدى عشر مرة .. وعندما سمي بولس
يسوع ابن الله ، فقد كان يتحدث عن كائن إلهى ، ولمعرفة مصدر هذه
التسمية فيجب أن نذهب إلى الهلينية التى اعتادت على تسمية صانعى
الأعاجيب بأنهم أبناء الله « (٧) .

لقد كان هناك مدرستان : الأولى - هى المدرسة الفلسطينية التى قامت على
التلاميذ الأول للمسيح وأسست الكنيسة الأم فى أورشليم ، وكانت صارمة
فى عقيدة التوحيد وعدم الخلط بين الله والمسيح . وأما الثانية ، فكانت
المدرسة الهلينية التى ازدهرت فى أنطاكية وطرسوس - موطن بولس -
والتي تمثل فكر الإغريق وأساطيرهم التى تتحدث عن تجسد الآلهة ونزولها
من السماء واختلاطها بالبشر .

والآن ، لم يعد من الصعب علينا تحديد إلى أى المدرستين ينتسب
بولس . إنه ينتسب إلى المدرسة الهلينية بفلسفاتها وأساطيرها .

✱

لكن مسيحية المسيح الحقبة إنما تقوم - بداهة وبداءة - على التوحيد
الخالص ، وعدم الخلط بين الله والمسيح ، ولاتزال لها بقايا فى الأناجيل ،
نذكر منها بعض ما أورده كاتبوها على لسان المسيح .

(٧) المرجع ١٨ : ص ١٤٣

« وهذه هي الحياة الأبدية : أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ،
ويسوع المسيح الذي أرسلته — يوحنا ١٧ : ٣ » .

« لماذا تدعونني صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله —
متى ١٩ : ١٧ » .

« أنتم تدعونني معلماً وسيلاً ، وحسناً تقولون لأنى أنا كذلك —
يوحنا ١٣ : ١٥ » .

« أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً — يوحنا ٥ : ٣ » .

« تعليمى ليس لى ، بل للذى أرسلانى . إن شاء أحد أن يعمل مشيئته
يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسى . من يتكلم من نفسه
يطلب مجد نفسه . وأما من يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه
ظلم — يوحنا ٧ : ١٦-١٨ » .

إن مسيحية بولس تختلف تماماً عن هذه المسيحية — مسيحية المسيح
وتلاميذه التى تقوم أساساً على التوحيد الخالص ، وكانت عقيدة
المسيحيين الأوائل .

ويلخص هنتر عقيدة أولئك المسيحيين الأوائل كما — لاتزال — تنطق
بها الإصحاحات الأولى من سفر أعمال الرسل ، والتي تتكلم عن الفترة
التي سبقت ظهور بولس فى مجتمع التلاميذ ، إذ يقول :

« يسوع رجل من الناصرة تبرهن من قبل الله بقوات وعجائب
(٢٢ : ٢) .. إنه عبد الله (٣ : ١٣ ، ٢٦ ، ٤ : ٢٧) ، أمير الحياة
(٣ : ١٥ ، ٣١) .. إنه نبي مثل موسى (٣ : ٢٢ ، ٧ : ٣٧) ، الذى تكلم
عن أيامه كل الأنبياء من صموئيل فما بعده (٣ : ٢٤) .

لقد أنكر ولهلم بوسيه أن تكون الكنيسة الأولى قد عبادت المسيح أبداً
كرب ، فقد كانت عقيدة المسيحيين الأوائل فيه تجزم أنه « ابن الإنسان » .

أما الصلاة إليه كرب ، أو التوسل باسمه في الشفاء والرقية والتعميد ، كل ذلك قد جاء فيما بعد ، وقد لعب بولس فيه دوراً كبيراً ولاشك ، (٨) .

نعم ... لقد لعب بولس الطور الأكبر في الدعوة إلى ألوهية المسيح ، وكانت رسائله أقدم كتب قبلتها الكنيسة ، ودعا فيها المسيح ابن الله ، بنوة حقيقية - لاجازية - باعتبار « الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد » فكان بذلك أول دعي مسيحي يقول : لله ولد .

★ ★

٢ - بولس وتوراة موسى :

لقد عرف بولس بتهجمه الشديد على التوراة والسخرية منها ، إذ نبى عنها أية إمكانية لتبرير الإنسان ونجاته ، ومن ثم دعا إلى إبطاها وحصر الخلاص في الإيمان بالمسيح المصلوب . ويكفي الرجوع إلى رسائله وخاصة الرسالة إلى أهل غلاطية ، وكذلك الرسالة إلى العبرانيين التي يعتبرها الكاثوليك من رسائل بولس ، فهو يقول :

« جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة ، لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به .. قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان . ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب - غلاطية ٣ : ١٠ - ٢٥ » .

« نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس ، بل بإيمان يسوع المسيح .. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما - غلاطية ٢ : ١٦ » .

« قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس ، سقطتم من النعمة - غلاطية ٥ : ٤ » .

(٨) المرجع ١٨ : ص ٨١ - ٨٤

« إنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها ، إذ
الناموس لم يكمل شيئاً - عبرانيين ٧ : ١٨ - ١٩ » .

« أما ما عتق وشاخ فهو قريب من الأضمحلال - عبرانيين ٨ : ١٣ » .

من الواضح أن هذه التعاليم البولسية تتعارض تماماً مع تعاليم المسيح عن
الناموس ، من ضرورة الحرص عليه والتمسك به باعتباره السبيل القويم
لتبرير الإنسان ونجاته . فهو يقول :

« لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض
بل لأكمل . فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول
حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل .

فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر
في ملكوت السموات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت
السموات - متى ٥ : ١٧ - ١٩ » .

« مخاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً : على كرسي موسى جلس
الكتبة والفريسيون .

فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه ، فاحفظوه وافعلوه ؛ ولكن حسب
أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون - متى ٢٣ : ١ - ٣ » .

لقد نقض بولس وصايا المسيح ، فحق عليه أن « يدعى أصغر في
ملكوت السموات » .

إن هذا وحده يكفي للبرهنة على أن مسيحية بولس تختلف أساساً عن
مسيحية المسيح .

★ ★

٣ - بولس وخطيئة آدم :

يقول بولس : « بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس ، إذ أخطأ الجميع .. قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم . . كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً - رومية ٥ : ١٢ - ١٩ » .

وفي هذا يقول ولیم باركلي : « لقد كان كل الناس ، حسب تفكير بولس ، متورطين في خطيئة آدم ، فهذا هولب الإصحاح الخامس من رسالته إلى أهل رومية ..

إن هذا القول بالنسبة لنا يعتبر جدلاً غريباً ، ولكنه يتفق مع تفكير اليهودي الذي كان يعتقد تماماً بفكرة التضامن . فلا تزال توجد إلى الآن قبائل بدائية إذا سألت أحد أفرادها عن اسمه ، أبي أن يقوله لك ، ولكنه سينطق بدلاً منه اسم قبيلته التي يرتبط بها تماماً ولا يستشعر حياته بدونها» (٩)

ويقول تشارلز دود : « كيف جاءت الخطيئة إلى الطبيعة البشرية ؟ هذا سؤال لا يعطى عنه بولس إجابة كافية ، فهو تارة يرجع ذلك إلى خطيئة تاريخية ارتكبتها جد الإنسانية (آدم) في غابر الزمان ، إذ كانت تلك هي الرواية السائدة في اليهودية المعاصرة له .

لكننا نجد بولس في بعض الفقرات ، يقترح مصادر أخرى لخطيئة البشر . فقد كانت خلفية عالمه المعاصر تعتقد بوجود حكام العالم ، من الأرواح الجوهرية (القوى الخفية) التي لها بعض العلاقات الخاصة بالعالم المادي . ولا يبدو أن تلك العلاقة كانت شرأ بالضرورة ، ولكن إذا خضع الإنسان لسلطان تلك الأرواح ، فإنه يكون قد وصل إلى حالة شاذة من العبودية . .

(٩) المرجع ١٩ : ص ١٣٨

وإذا كان القول بتناقل البشرية لخطيئة آدم يمثل عقيدة يهودية ، فإن القول بنظرية الأرواح الجوهرية يأتي بالأحرى من الأفكار الإغريقية ، ولو أن أياً منها لا يقنعنا بشيء « (١٠) .

وتكتمل نظرية بولس في الخطيئة حين يجعلها سبباً للموت الطبيعي .
يقول باركلي :

« لقد رأى بولس أن الخطيئة لم تحدث موتاً روحياً وأخلاقياً فحسب ، بل أحدثت كذلك الموت الجسدى ، فمن تعاليم بولس أنه إذا لم توجد الخطيئة فلا يوجد الموت .

لقد جاء الموت إلى العالم مع مجيء الخطيئة (اجتياز الموت إلى جميع الناس — رومية ٥ : ١٢) ، وأن الخطيئة قادت إلى الموت (ملكت الخطيئة في الموت — رومية ٥ : ٢١) ، وأن أجرة الخطيئة هي الموت (رومية ٦ : ٢٣) .

أى أنه عن طريق الخطيئة وبسببها ، دخل الموت إلى العالم ، فالخطيئة تهدم الحياة الروحية والأخلاقية والجسدية « (١١)

ويؤكد بولس أن الخطيئة المتوارثة هي سبب الموت الجسدى للأجيال المتعاقبة من ذرية آدم ، حتى ولو لم تقترف تلك الأجيال خطايا مثل خطيئة آدم ؛ فهو يقول :

« قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم — رومية ٥ : ١٤ » . ويوضح باركلي نظرية بولس هذه فيقول :

« لقد دخل الموت إلى العالم بسبب خطيئة آدم ، إذ أن الموت هو عقوبة الخطيئة .

(١٠) المرجع ٢٠ : ص ٦٢ — ٦٣

(١١) المرجع ١٩ : ص ١٤٢

لقد عاش الناس بلا شريعة يعصونها حتى جاء موسى ، أى أنهم لم يرتكبوا خطايا ومنع ذلك فقد ذاقوا جميعاً الموت . فلماذا ؟ ذلك لأنهم قد أخطأوا من قبل مع آدم .
إن هذا هو فكر بولس فى الخطية «(١٢)» .



مما سبق يتضح أن الموت الجسدى قد حل بالإنسان - حسب تفكير بولس - بسبب خطيئة آدم . ونريد الآن أن نبحث خطيئة آدم المتوارثة وعلاقتها بكل من الموت الجسدى والموت الروحى والأخلاقى ؛ وذلك من خلال الكتاب المقدس .

إن قصة خالق الإنسان - كما تقصها التوراة - تبين بوضوح ، أنه حتى وإن لم يخطئ آدم بمعصية الله والأكل من الشجرة المحرمة التى سميت باسم « شجرة معرفة الخير والشر » ، فإنه كان سيموت حتماً إلا إذا أكل من شجرة أخرى عرفت باسم « شجرة الحياة » . ولذلك طرد من الجنة ، حتى لا يأكل منها ويحيا إلى الأبد . فبعد أن أكل آدم من الشجرة المحرمة وعصى ربه فأخطأ ، ثم عرف الخير والشر « قال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر . والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد . فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها - تكوين ٣ : ٢٢ - ٢٣ » .

أى أن النفس البشرية عندما كانت فى الجنة . وقبل أن تكسب الخطيئة ، فإنها كانت معرضة لسلطان الموت ، وكانت تتمنى لوأفلتت من قبضته وعاشت فى خلود .

(١٢) المرجع ١٩ : ص ١٣٩

هذا من ناحية الموت الجسدى ، وأما من ناحية الموت الروحى والأخلاقى فإن الاعتقاد بتعرض البشرية كلها لسلطانه تضامناً مع أبيها آدم فى خطيئته ، يعنى بالضرورة أن أحداً من ذرية آدم لم يكن باراً أمام الله ، وأن الجميع هالكون لا محالة . لكن هذا يصطدم مع ما يقوله الكتاب المقدس عن أبرار من بنى آدم ، عاشوا قبل المسيح ورضى الله عنهم . فهذا أخنوخ (إدريس) يقول فيه الكتاب :

« وسار أخنوخ مع الله ، ولم يوجد لأن الله أخذه — تكوين ٥ : ٢٤ »

« بالإيمان نقل أخنوخ لكى لا يرى الموت ، ولم يوجد لأن الله نقله إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله — عبرانيين ١١ : ٥ » .

كذلك رفع إيليا (إيلياس) دون أن يرى بشرموته : « صعد إيليا فى العاصفة إلى السماء — الملوك الثانى ٢ : ١١ » .

وليست علامة الأبرار وجزاؤهم ألا يذوقوا الموت على هذه الأرض ، فإن كثيرين ماتوا أو قتلوا — قبل أن يأتى المسيح وتشهد لهم الأسفار بالمغفرة والبر والرضا من الله .

إن القصة التى يرويها المسيح عن إبراهيم أبى الأنبياء ولعازر أحد المساكين ، تمحو كل أثر عما يقال بتوارث الخطيئة التى لا مفر من عقوبتها — حسب فكر بولس — إلا بسفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر . يقول المسيح :

« كان إنسان غنى .. يتنعم كل يوم مترفهاً ، وكان مسكين اسمه لعازر الذى طرح عند بابه مضروباً بالقروح ويشتهى أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغنى .. »

فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم .

ومات الغنى أيضاً ودفن ، فرفع عينيه فى الهاوية وهو فى العذاب ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر فى حضنه ، فنادى وقال : يا أبى إبراهيم

ارحمنى وأرسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء ويبرد لسانى لأنى معذب فى هذا اللهيى .

فقال إبراهيم : يا ابنى اذكر أنك استوفيت خيراتك فى حياتك وكذلك لعازر البلىا .

والآن هو يعزى وأنت تتعذب .

فقال : أسألك إذا يا أبت أن ترسله إلى بيت أبى ، لأن لى خمسة إخوة حتى يشهد لهم لكى لا يأتوا هم أيضاً إلى موضع العذاب هذا .

فقال له إبراهيم : عندهم موسى والأنبياء ، ليسمعوا منهم .

فقال : لا يا أبى إبراهيم ، بل إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون .

فقال له : إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ، ولا إن قام

واحد من الأموات يصدقون - لوقا ١٦ : ١٩ - ٣١ .

الحق أن هذه القصة ، وإن كانت تنقض فكرة الخطيئة المتوارثة من أساسها وهى التى روج لها بولس فى مسيحيته ، إلا أن لها دلالة أخرى أكبر وأعظم ، وهى : أن العقيدة الصحيحة التى تنجى صاحبها من العذاب الأبدى ، هى الإيمان بالإله الواحد إله إبراهيم وموسى والأنبياء ، ثم العمل الصالح ؛ ولا شىء غير هذا .

فتلك هى عقيدة الحق وعقيدة النجاة ، سواء قبل المسيح أو بعده ، وبها يكون الإنجيل مصدقاً للتوراة وكتب الأنبياء قبل المسيح ، لا هادماً لها إذا أخذنا بنظريات بولس ومسيحيته .

إن كتب موسى - والأنبياء - تقرر عدل الله حين تقول :

« لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء . كل إنسان بخطيته يقتل - تثنية ٢٤ : ١٦ . »

لقد ورث بنو إسرائيل عقيدته التضحية بالأبناء تكفيراً عن الخطايا وإرضاء للآلهة ، من جملة ما ورثوه عن جيرانهم من القبائل الوثنية . فقد التصق الإسرائيليون بتلك القبائل وصاهروها ونقلوا عنها كل رجس ؛ بما في ذلك معبوداتهم الوثنية التي قدموا لها القرابين ومن بينها إحراق أولادهم في النار ؛ إطفاء لغضبها :

« عمل بنو إسرائيل سراً ضد الرب إلههم أموراً ليست بمستقيمة . . . عبدو الأصنام . ورفضوا فرائضه وعهده الذي قطعه مع آبائهم . . . وصاروا باطلا وراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم . . . وعبروا بنهم وبناتهم في النار . . »

فغضب الرب جداً على إسرائيل ونجاهم من أمامه — المملوك الثاني ١٧ : ٩ — ١٨ .

لقد كانت فكرة التضامن في الخطية تلح دائماً على التفكير الإسرائيلي الذي انحرف عن تعاليم موسى والأنبياء ، وقد التصقت به تماماً في الأطوار اللاحقة التي اتسمت بعبادة الأصنام حتى صارت عقيدة مكنتسية . من أجل ذلك جاءهم النذير والتبكيك على لسان حزقيال الذي يقول :

« أنتم تقولون : لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب ؟ !

أما الابن فقد فعل حقاً وعدلاً ، حفظ جميع فرائضه وعمل بها ، فحياة يحيا .

النفوس التي تخطيء هي تموت . الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، بر البار يكون عليه ، وشر الشرير يكون عليه . فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياها التي فعلها وحفظ كل فرائضه وفعل حقاً وعدلاً ، فحياة يحيا . لا يموت . كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه . في بره الذي عمل يحيا . هل مرة أسر بموت الشرير؟ يقول السيد الرب ألا يرجوعه عن طريقه فيحيا . . .

إذا رجع البار عن بره وعمل إثمًا ومات ، فبإثمه الذى عمله يموت .
وإذا رجع الشرير عن شره الذى فعل ، وعمل حقاً وعدلاً ، فهو
يحيا نفسه . .

توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم ولا يكون لكم الإثم مهلكة .
لأنى لا أسر بموت من يموت ، يقول السيد الرب ، فارجعوا واحيوا —
حزقيال ١٨ : ١٩ — ٣٢ .



وبناء على نظرية بولس فى الخطية المتوارثة ، فقد جعل التكفير عنها
لا يتم إلا بقتل المسيح إرضاء لله — سبحانه — وثنماً لعمد صلح بين البشر
ونخالقهم . فهو يقول :

« ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه — رومية ٥ : ١٠ » .
« يسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من
أجل الصفح عن الخطايا السالفة — رومية ٣ : ٢٥ » .

وانتهى المطاف ببولس أن جعل المسيح لعنة :
« المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا ، لأنه
مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة — غلاطية ٣ : ١٣ » .

وما قصده بولس هنا هو ما كان يروج له من أن المسيح قتل بعد تعليقه
على خشبة الصليب ، تلك الميتة التى تقرر توراة موسى أن صاحبها ملعون :
« إذا كان على إنسان خطية حقها الموت ، فقتل وعلقته على خشبة ،
فلا تبت جثته على الخشبة ، بل تدفنه فى ذلك اليوم . لأن المعلق ملعون
من الله — تثنية ٢١ : ٢٢ — ٢٣ » .

لقد بدأت مسيحية بولس وانتهت بقتل المسيح على الصليب ، ولاشئ
غير هذا :

« إنى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً
- (١) كورنثوس ٢ : ٢ » .

وإذا كان بولس يقول أحياناً بأن قتل المسيح جاء عملاً من جانب الله
خلت جوانبه من الرحمة (رومية ٨ : ٣٢) ، فإنه يقول فى أحيان أخرى
بأن ذلك كان عملاً تطوع به المسيح فداء للبشرية :

« يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس ، يسوع المسيح الذى
بذل نفسه فدية لأجل الجميع - (١) تيموثاوس ٢ : ٥ - ٦ » .

وتشهد الأناجيل - فى أغلبها - بأن فكرة قتل المسيح فدية - التى
روج لها بولس - كانت غريبة على تفكير المسيح نفسه ، فقد استنكرها
فى مناسبات كثيرة وفرغ منها تماماً حين أحس بالخطر يتهدده . ولقد بينا
ذاك فى موضع سابق (١٣) ، ونذكر منه الآن :

« أجابه يسوع ، لما إذا تطلبون أن تقتلوني ، وأنا إنسان قد
حدثكم بالحق الذى سمعته من الله ، هذا لم يعمله إبراهيم - يوحنا
٧ : ١٩ ، ٨ : ٤٠ » .

وفى نهاية الفترة التى سبقت عملية القبض على ذلك الذى صلبوه قتل
المسيح فى صلاته لله :

« أنا مجدتك على الأرض . العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته
- يوحنا ١٧ : ٤ » .

لقد اكتملت رسالة المسيح تماماً قبل حادث الصلب ، فمن ذا الذى
يفتى بما يخالف شهادة المسيح؟ !

(١٣) راجع كتاب المؤلف : المسيح - ص ٢٠٢ - ٢٠٦

وَيُنطق كل مشهد من مشاهد المعاناة في الحديقة أن المسيح يرفض فكرة قتله رفضاً تاماً ، فلقد أصابته حالة من الفرع والانهيار كلما تصور أن تلك ستكون نهايته :

« ابتداءً يدهش ويكتئب . فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت . . . وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن . وقال يا أبا الآب : كل شيء مستطاع لك . فأجز عني هذه الكأس . . وصلى ثلاثة قائلًا ذلك الكلام بعينه .

كان يصلي بأشد الحاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض - مرقس ١٤ ، لوقا ٢٢ » .

وأخيراً فإن ذلك الذي قبضوا عليه وصلبوه ، كان يرجوهم - حتى آخر لحظة - أن يطلقوه ولا يقتلونه :

« اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجتمعهم قائلين : إن كنت أنت المسيح فقل لنا .

فقال لهم : إن قلت لكم لا تصدقون . وإن سألت لا تجيبوني ولا تطلقوني - لوقا ٢٢ : ٦٦ - ٦٨ » .

من ذا الذي يجرؤ - إذن - على القول بأن المسيح جاء ليبدل نفسه طواعية ، ليكون فداءً لخطايا البشرية بدمه الذي يسفك على الصليب ؟ !

إن هذا الذي تزخر به الأناجيل عن كره المسيح ورعبه من فكرة قتله ، يخالف تماماً دعاوى بولس . يقول تشارلز دود : « إن رسائل بولس تخالف في أحوال كثيرة ما في الأناجيل ، وذلك لما تحويه تلك الرسائل من فلسفات متعارضة » (١٤) .

★ ★

(١٤) المرجع ٢٠ : ص ١٦

هذا — ومن المقطوع به أن تراث التلاميذ الأولين لكل نبي جاء معلماً وهادياً ، إنما يمثل — على الأقل ، إن لم يكن تمثيلاً تاماً — أقرب فكر وتعاليم لذلك النبي ورسالته . نقول هذا بمناسبة ما درج عليه البعض من تسمية مسيحية لتلاميذ المسيح الذين تلقوا منه مباشرة ، باسم المسيحية اليهودية ، لكونها تخالف المسيحية التقليدية التي شاعت بعد ذلك وقامت على فلسفة الصلب ودعوى التثليث .

وفي دراسة للكاردينال دانيلو عن المسيحية اليهودية ، يذكر أنه قد « كونت مجموعة الحوارين الصغيرة بعد المسيح طائفة يهودية تمارس ديانة المعبد وتحفظ تعاليمها .

ومع ذلك فعندما تنضم إليها طائفة الذين آمنوا من الوثنيين فإنها تتنرح عليهم ، إن جاز القول ، نظاماً خاصاً : إذ يخلهم مجمع القدس المسكوني (٤٩ م) من الطهارة ومن تطبيق الأركان اليهودية ، ورفض كثير من اليهود المسيحيين هذا التنازل ، وانفصلت هذه المجموعة تماماً عن بولس ..

أما اليهود المسيحيون الذين ظلوا يهوداً مخلصين فإنهم يعتبرون بولس كخائن ، وتصفه واثق مسيحية يهودية بالعدو ، وتهمه بتواطؤ تكتيكي ولكن المسيحية اليهودية (١٥) كانت تمثل حتى عام ٧٠ م غالبية الكنيسة ، وكان بولس منهزلاً في ذلك الوقت .

كان رئيس الجماعة يعقوب قريب المسيح ، وكان معه (في البداية) بطرس ثم يوحنا . ويمكن اعتبار يعقوب كهمود المسيحية اليهودية ، الذي ظل عن إرادة ملتزماً بخط اليهودية أمام المسيحية البولسية . إن أسرة

(١٥) في الترجمة العربية لدراسة الكاردينال دانيلو — التي أنقل عنها — جاء تعبير « اليهودية — المسيحية » وهو غير دقيق ، وصحته « المسيحية اليهودية » إذ أنه بالإنجليزية : Jewish Christianity — كذلك عدلت اسم « جالك » ليكون : يعقوب .

المسيح تحتل مكانة كبيرة في هذه الكنيسة المسيحية اليهودية بالقدس . .
لم تكن المسيحية اليهودية سائدة فقط بالقدس وفلسطين طيلة القرن الأول
للكنيسة ، فقد تطورت البهجة المسيحية اليهودية ، فيما يبدو ، في كل
مكان قبل البهجة البولسية . وذلك هو ما يوضح الإشارة الدائمة في
رسائل بولس إلى صراع ما . لأهم نفس الأعداء الذين قابلهم حينما
ذهب ، بغلاطية ، وكورنثة ، وكولوسي ، وروما ، وأنطاكية . .

ولما كان اليهود متبوعين في الإمبراطورية (الرومانية) فقد نعا
المسيحيون إلى الانفصال عنهم . عندئذ ساد المسيحيون الهلليينستكيون :
لقد حاز بولس على النصر بعد وفاته . بهذا انفصلت المسيحية اجتماعياً
وسياسياً عن اليهودية لتكوّن ما يعرف بالشعب الثالث برغم ذلك ، وحتى
آخر التمرد اليهودي عام ١٤٠م ، كانت المسيحية اليهودية سائدة ثقافياً . .

وإذا كان بولس أكثر وجوه المسيحية موضعاً للنقاش ، وإذا كان
قد اعتبر خائناً لفكر المسيح ، كما وصفته بذلك أسرة المسيح والحواريون
الذين بقوا بالقدس حول يعقوب ، فذلك لأنه قد كوّن المسيحية على
حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح من حوله لنشر تعاليمه . ولما لم
يكن قد عرف المسيح في حياته ، فقد برر لشرعية رسالته بأن أكد
على أن المسيح بعد قيامته قد ظهر له على طريق دمشق . .

وبانتقاع اليهود المسيحيين عن الكنيسة الكبرى التي تحررت تدريجياً
من روابطها اليهودية ، سرعان ما فتوا في الغرب . ولكن يمكن اقتفاء
آثارهم من القرن الثالث إلى القرن الرابع ، بالشرق وخاصة في فلسطين
والجزيرة العربية ما وراء الأردن وسوريا وما بين النهرين «(١٦)» .

★ ★

(١٦) المرجع ٥ : ص ٧١ - ٧٤

أما بعد : لقد جاء المسيح بعقيدة ، وجاء بولس بعقائد أخرى مختلفات . لكن عقائد بولس هي التي كتب لها النصر ، وصارت أقواله هي الأكثر حظوة بالترديد والاستشهاد في المواعظ والدراسات ، خلافاً لما عليه الحال مع أقوال المسيح التي تذكرها الأناجيل .

إنهما مسيحيان ولا شك ... فأيهما أولى بالتقديم والتبشير ؟

مسيحية المسيح التي تدعو إلى الإيمان بالله الواحد الأحد ، واتمسك بالناموس والأنبياء وجوهراً : « الحق والرحمة والإيمان » - متى ٢٣ : ٢٣ « أم مسيحية بولس الصليبية التي لا تعرف شيئاً سوى اسم المسيح وإياه مصلوباً - (١) كورنثوس ٢ : ٢ « ؟

سؤال لا يحتاج الإجابة عنه إلا للمحظات قليلة من الصديق مع النفسن واتزان العقل ، ولا شيء غير هذا المطلب الطبيعي والضروري والكافي .

لكن نتيجة هذه الإجابة - التي ستكون بلا شك في جانب مسيحية المسيح - سوف تكون عظيمة الآثار على أمن الإنسان في الدنيا والآخرة وعلى سلام هذا العالم ودفعه نحو الوحدة والأمان .

الباب الثانى

كيف انتشرت المسيحية ؟

- كيف انتشرت المسيحية فى الامبراطورية الرومانية ؟
- كيف انتشرت المسيحية فى أوروبا ؟
- المسيحية والسيف •

كيف انتشرت المسيحية

تمهيد :

انقضى نحو ثلاثة قرون عقب رفع المسيح ، شهادت فيها رسالته عوامل . شتى ، وتعرضت لتيارات مختلفة ، أثرت فيها بعمق وفرقتها شيعاً وأحزاباً . ونستطيع إلقاء نظرة سريعة على أهم العوامل التي أثرت في رسالة المسيح ، فنجدها تسير تاريخياً كالتالى :

١- ظهور بولس في فترة تقدر ببضع سنين عقب رحيل صاحب الرسالة ومعلمها الحقيقي والأوحد ، حيث جعل نفسه مبشرها الأول ، وطبع عليها من فكره وفلسفته ما حولها من مسيحية إلى صليبية . وقد عرضنا لذلك منذ قليل .

٢- ظهور أدعياء كثيرين يتحدثون باسم المسيح باعتبارهم رسله إلى الناس ، وقد أشار إليهم بولس في قوله : « هؤلاء هم رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح - (٢) كورنثوس ١١ : ١٣ » .

وكذلك ظهور أدعياء كثيرين يتحدثون عن المسيح ويؤلفون أناجيل ، يزعم كل منهم أن ما سطره إنما هو إنجيل المسيح وقصصه وبشارته . ولقد أشار إليهم لوقا كاتب الإنجيل الثالث - وسفر أعمال الرسل - حيث يقول في مقدمة إنجيله :

« إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا معانين وخداماً للكلمة . رأيت أنا أيضاً إذ قد تبعت كل شيء من الأول بتدقيق ، أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به - لوقا ١ : ١ - ٤ » .

ويكفي التذكرة بأن اثنين من الأناجيل الأربعة التي قبلتها السلطات الكنسية واعتبرتها قانونية ، قد نسب اثنان منها إلى اثنين من معاصري الجيل الثاني بعد المسيح ، ولم يكن لهما شرف التعرف عليه أو التلقى منه مباشرة ، ألا وهما : مرقس كاتب أقدم الأناجيل ، ثم لوقا كاتب الإنجيل الثالث .

٣- انهيار قوة كنيسة أورشليم - مجمع تلاميذ المسيح - وما تميزت به من المحافظة على عقيدة التوحيد واحترام ناموس موسى وكتب الأنبياء ، بجانب اعتبارها الشاهد المعاصر للمسيح والمرجع الوحيد في كل ما يختص برسائله .

٤- ظهور مركيون - تلميذ بولس - الذي حاول جمع عدد من الكتب المسيحية معاً لكي تستأصل نفوذ أسفار العهد القديم ، فصنف عهداً جديداً اقتصر على لوقا ورسائل بولس ومن بينها رسالته إلى أهل غلاطية ، وهي معروفة بنقدها المر للناموس .

لقد كان لمركيون هذا آراء إجرامية ، فقد اعتقد بأن « إله اليهود الذي أعطى الناموس (لموسى) وخلق العالم ، كان في الحقيقة إلهاً شريراً !! .. أما إله المحبة فقد ظهر في المسيح . ولقد وضع مركيون إله المحبة في تعارض مع خالق العالم » .

كذلك اعتقد مركيون « أن الاثني عشر رسولا الذين اختارهم المسيح لم يفهموه ..

ولهذا فإنهم أعلنوا إنجيلاً يخالف إنجيل بولس ، فقد اعتقدوا خطأ أن إله الخلق هو أب ليسوع المسيح . . من أجل ذلك فإن المسيح ألهم بولس بوحى خاص حتى لا يضيع إنجيل نعمة الله عن طريق التزوير «(١) .

(١) راجع كتاب المؤلف : المسيح - ص ٣٤ ، ٢٧٩

٥- ظهور فرق مسيحية متنافرة ، يدعى كل منها أنه على الحق وأن ماعداها كفر وبدع وهرطقة، وما صاحب ذلك من كثرة المجادلات والزرخارف اللفظية حول طبيعة المسيح وحقبة رسالته ، وظهور أول تعبير عن التثليث في المجادلات المسيحية (ترتليان حوالى عام ٢٠٠ م) .

٦- زيادة حدة الانقسامات الدينية بين الفرق المسيحية ، وأثر ذلك في إشاعة النوضى والاضطراب في أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، مما دعا الإمبراطور قسطنطين إلى التدخل حفاظاً على الوحدة السياسية ، حيث عقد مجمع نيقية عام ٣٢٥ م .

وقد اتخذ قسطنطين - الوثني آنذاك - صفة عالم اللاهوت ، وتدخل في المناقشات وتوجيه القرارات لتكون حصيلتها : تقرير ألوهية المسيح ، وأنه من جوهر الله ، وأنه قديم بقدمه ، وأنه غير مخلوق - ثم إدانة آريوس وأتباعه وإحراق كتبهم .

لقد كانت الآريوسية تمثل بقايا التوحيد في العقيدة المسيحية ، فهي تقول بأن : الله الواحد الأحد هو الوحيد الذى لم يولد ، وليس له معادل أو مكافئ على الإطلاق .

وبالنسبة لجوهر المسيح فإنه تبعاً لذلك لا يمت بأدنى صلة لجوهر الله ، وإنما هو كائن مستقل ومنفصل تماماً ومختلف عن الجوهر أو الطبيعة الإلهية ، ومثله مثل كل المخلوقات العاقلة له مشيئة حرة ومعرض للتغيير .

لقد فرضت عقيدة مجمع نيقية على المسيحيين فرضاً يؤيدها سلطان قسطنطين رغم مخالفتها لما كان يؤمن به الكثيرون من الأساقفة وعامة الشعب في فلسطين وبابل ومقدونيا والقسطنطينية ومصر التي كان فيها أشياع أقوىاء لآريوس وخاصة في الإسكندرية وأسيوط .

٧- لم يكن مجمع نيقية خاتمة المطاف ، بل إنه كان بالأحرى مقدمة لسلسلة طويلة من المجامع الكنسية التي عقدت في فترات متلاحقة ، أذان

أغلبها قرارات مجمع نيقية وقبل عقيدة آريوس ، كما حدث في مجمع ريمى الغربى ومجمع سلوقية الشرق اللذين عقدا عام ٣٥٩ ، وقد أيد كلاهما الآريوسية كل التأييد ، وأصبحت الكنيسة الغربية كلها آريوسية . ولقد ثبتت هذه العقيدة في مجمع القسطنطينية عام ٣٦١ ، وقام الآريوسيون بنشرها في أنحاء العالم .

٨ - لكن هذا الحال لم يلبث أن تبدل حين ولى الحكم أباطرة وثنيون ارتدوا عن المسيحية ، مثل يوليانوس الذى أغلق الكنائس ونهبها ثم سلمها للوثنيين وجاهر بعبادة الأوثان . ثم خلفه يوبيانوس الذى تولى عام ٣٦٣ . وكان معادياً للآريوسية ، فاعتنق مذهب أثناسيوس الذى يقوم على التثليث ، ثم أجبر الشعوب على اعتناقه .

وهكذا فرضت عقيدة الثالوث على مسيحي الإمبراطورية الرومانية ، وباتت هى الصورة التقليدية التى تقدم بها المسيحية إلى العالم ، رغم وجود طائفة من الموحدين المسيحيين تجاهد عبر القرون للحفاظ على بقايا التوحيد فى مسيحية المسيح الحققة (٢) .

(٢) راجع كتاب المؤلف : طائفة الموحدين

الفصل الرابع

كيف انتشرت المسيحية فى الامبراطورية الرومانية ؟

ولد المسيح فى فلسطين وهى آنذاك ولاية رومانية ، وولدت دعوته فى ظل أكبر إمبراطورية عرفها العالم القديم هى الإمبراطورية الرومانية ، التى كانت تشتمل على ما كان يعرف آنذاك بالعالم المتحضر ، وتضم بين حدودها المترامية أمماً وشعوباً مختلفة الأصول والطبائع والعقائد والأفكار ، وحدثها قبضة روما القوية ، وحكمها القانون الرومانى .

ويهمنا - كمدخل للدراسة هذا الموضوع - أن نتعرف على العقائد والأفكار الدينية التى كانت تموج بها الإمبراطورية الرومانية ، قبل أن تصير المسيحية هى الدين الرسمى لتلك الإمبراطورية .



العقائد الدينية فى العالم الرومانى :

لقد كانت عقائد ذلك العالم وثنية عرف أغلبها بديانات الطقوس السرية ، تنبع الواحدة منها إقليمياً ثم لا تلبث أن تنتشر هنا وهناك ، مع ما يصاحب ذلك الانتشار فى أغلب الأحيان من تطور للخرافات التى تقوم عليها .

وقد يحدث أن تحتل واحدة من تلك العقائد مركز الصدارة فى العالم الرومانى ، بعد أن تكون قد امتصت غيرها من العقائد الأخرى ، وذلك لما بينها من أصول مشتركة وملامح متشابهة . وفيما يلى عرض مركز لأهم المعبودات الوثنية فى العالم الرومانى ، وما قامت عليه عباداتها من خرافات .



سيبيل وأتيس :

كانت سيبيل أقدم معبودة في آسيا الصغرى ، عرفت بالأم الكبرى أو أم الأرض ، وكانت طقوسها الدينية تحكى كل عام « الموت ثم إعادة الحياة لوفيقها الفتى أتيس ، إله الأشياء التي تنمو ثم تموت سنوياً . . . ولقد أدخلت عبادة سيبيل مبكراً ضمن العبادات الرومانية منذ عام ٢٠٤ ق . م ، وكانت تمثل أطول وأعقد مهرجان شهده العالم القديم ، موقظة الآمال في الخلود إلى حى الإثارة .

ويبدأ المهرجان بصيام سبعة أيام ، ثم موكب براق تحمل فيه شجرة صنوبر مقطوعة حديثاً كرمز لأتيس الميت . وبعد يوم النحيب يأتي يوم الدم ، وفيه يقوم الكهنة بجلد أجسادهم وتمزيقها . . . وبعد كثير من الصوم والحداد يعلن : لقد جاء الخلاص للإله . . . ونحن أيضاً بعد كدحنا سوف نجد الخلاص . . .

وعلى خلاف ديونيسس ، فإن أتيس ليس إلهاً منفرداً ، بل إنه متحد مع إلهة الأرض « (٣) .



أوزوريس وإيزيس :

يعتبر أوزوريس محور الديانة المصرية القديمة ، فقد جاءت قصته وعلاقته بالحياة والموت لتجعله يحتل مكان الصدارة بين الآلهة المصرية . وتمثل أسطوره « قصة ملك طيب قتله أخوه الشرير (ست) ، فأحضرت زوجته (إيزيس) جثته ونجحت في أن ترد إليه الحياة ولكن بصورة ليست كاملة ، ثم عكفت على تربية ابنه (حوريس الذى حملت به بطريقة عجيبة) في كمان مطلق ، حتى إذا ما ترعرع واصلب عوده انتصر على قاتل أبيه وجلس على عرشه . . .

(٣) المرجع ٢٢ : ص ١٩٢ - ١٩٣

والآن (يقول الأثرى الألماني أدولف ارمان) : ما هى العوامل التى
أكسبت أسطورة أوزوريس كل هذه القوة ؟

العامل الأول كان بلا شك هو الاعتقاد بأن الاستبداد والتعسف ليسا هما
القوتان اللتان تسودان العالم ، بل الحق والإخلاص .

ثم العامل الثانى كان الاعتقاد بانتصار الإله المقتول على الموت . فمع
أنه مات حقاً ، إلا أنه استرجع الحياة « (٤) » .

وتذكر المصادر المصرية القديمة أن أوزوريس تقدم أمام الآلهة المجتمعين
فى القاعة الكبرى بهليوبولس « للدفاع عن تهم وجهها إليه ست وأعداؤه
الآخرون . فحكمت المحكمة على ست وأعلنت نصر أوزوريس الذى
وضع قدمه فوقه ، ثم ارتفع أوزوريس إلى السماء حيث حكم هناك » (٥) .
ولقد تعرضت أسطورة أوزوريس على مر العصور لتعديلات كثيرة ،
بالإضافة أو الحذف أو كليهما معاً ، شأنها شأن كل الأساطير الدينية القديمة .
وفى إحدى صيغها الحديثة التى ترجع إلى العصر اليونانى ، نجد بلوتارك
يقول : « عند ولادة أوزوريس ارتفع صوت من معبد طيبة معلناً أن الملك
العظيم الخير قد ولد . وعندما استولى على السلطة عنى بالناس ، وغير الطريقة
البدائية فى الحياة التى كان الناس قد ألفوها من قبل حتى ذلك الوقت . .
وعلمهم كيف يعبدون الآلهة ويقدمونها ، وأخذ يجرب البلاد جميعها دون
حاجة إلى حرب وكان لا يجتذب الناس إلا بالتلطف والإغراء والموسيقى . .
بيد أن تيفون (ست) الذى كان يتمدد صدره بالغيرة دبر مؤامرة ضد
أوزوريس ، اشترك فيها اثنان وسبعون رجلاً ، وأخذوا فى تنفيذها عقب
عودة أوزوريس . فقد صنع صندوقاً رائعاً بحجم أوزوريس تماماً وعرضه

(٤) المرجع ٤ : ص ٨٠

(٥) المرجع ٤ : ص ٨٨

خلال مآدبة ، ووعده بإهدائه لمن يستطيع أن يملأه تماماً . فلم يوافق الصندوق أحداً ، إلى أن جاء الدور على أوزوريس فنام فيه . وعندئذ أسرع في الحال أتباع ست المتآمرون ووضعوا الغطاء وأغلقوه بالمسامير ، وألقوا الصندوق في النيل ، وظل عائماً حتى بلغ البحر .

وعندما اختفى أوزوريس هكذا حزنت عليه إيزيس حزناً عظيماً ، وأخذت تجوب البلاد بحثاً عنه . . ولقد علمت إيزيس بأن الصندوق قد جنح إلى شاطئ فينيقية . . ونبتت شجرة نمت بسرعة واحتوته في داخلها» (٦).

هذا . . وقد انتشرت عبادة إيزيس في الإمبراطورية الرومانية بل وراءها « ومنذ القرن الأول قبل الميلاد وما بعده حتى انتصار المسيحية بعد أربعمائة عام ، كانت عبادة إيزيس هي الغالبة في العالم الإغريقي الروماني . ولعلها الديانة الوثنية الوحيدة التي أصبحت عالمية » (٧) .

« وكثيراً ما كانت الآلهة المصرية تمزج بالآلهة اليونانية ، فهذه إيزيس قد غدت نيمزس ، وديكايوسيني ، ونيكي ، وهيجيا . وفي ديلوس غدت تسمى إيزيس - سوتيرا . . وشقت الآلهة المصرية فضلاً عن ذلك طريقها إلى أبعاد من ذلك غرباً ، أي إلى إيطاليا الجنوبية ثم روما . . وقد أخذت الديانة المصرية تنتشر كذلك بين الطبقات العليا من الشعب . وليس في هذا ما يدهش في شيء ؛ إذ كانوا جميعاً يقيسون تقصماً روحياً . فقد غدت الديانة القديمة بالنسبة لهم جميعاً شبه ميتة ، ولم تستطع الفلسفة التي كان يحاول أن يجد فيها المثقفون عوناً لهم ، أن تكون لها بديلاً كاملاً . وبذلك لم يتبق هناك غير شوق كامن للتطلع إلى ما وراء الطبيعة . .

لقد كانت الديانة المصرية تقدم لاتباعها عزاء أخيراً في كافة المصائب ، وكانت تمنحهم الإيمان بحياة أخرى أفضل يقضونها في مملكة أوزوريس .

(٦) المرجع ٤ : ص ٩٨ - ٩٩

(٧) المرجع ٢٢ : ص ١٩٦

وهكذا أقبل الناس في روما على العقيدة الجديدة في حماسة ، حتى إنه ل يبدو أنها استولت على طوائف بأكملها من الشعب ، كأنها حركة دينية عامة ، وإلا لما تيسر على الأقل فهم السبب الذي من أجله انتهى الأمر بالدولة أن ترى في عبادة الآلهة المصرية خطراً عليها ، فجعلت تدمر من وقت لآخر وباستمرار معابد إيزيس . وقد قامت بذلك خمس مرات في أحد عشر عاماً بين ٥٩ - ٤٨ ق . م ، وأخيراً حرّم أغسطس بناء شيء منها داخل المدينة بالذات ، ولم يكن يسمح بإقامة معابد لإيزيس إلا في أرباضها . .

ولم يلبث أن قام في حقول مارس معبد كبير جديد لإيزيس ، أقامه هذه المرة أحد الأباطرة وهو كاليجولا ، وزاد فيه امبراطور آخر وهو دوميتان . وبهذا التكريم من قبل الأباطرة زال كل رجس عن الآلهة المصرية . . وبذلك سادت الديانة المصرية العالم ، وقد ساهم هادريان كثيراً في هذا التطور . .

وإننا لنجد في إفريقيا الشمالية وفي أسبانيا وفي بلاد الدانوب وفي فرنسا وحتى في إنجلترا نفسها ، نقوشاً تكرم إيزيس . وهكذا سادت عقيدة إيزيس في كل مكان في أوروبا . وقد كان سلطانها ينمو على الدوام حتى نهاية القرن الثاني ، عندما أخذت عقيدة أخرى ، هي عقيدة ميثرا الإله الفارسي ، تردّها إلى الوراثة بعض الشيء ، على أنها مع ذلك ظلت قائمة طالما كانت تعبد الآلهة الوثنية » (٨) .



شيرايبس :

اعتقد قدماء المصريين أن روح الإله تسكن الحيوان المقدس في معبده ، ومن ثم عبدوا بعض الحيوانات ومن بينها العجل أيبس الذي قالوا إنه روح الإله بتاح .

(٨) المرجع ٤ : ص ٤٦٦ - ٤٦٩ ، ٤٨٧ - ٤٨٨

لقد كان سيرابيس هو الإله الرئيسي في مملكة البطالمة ، واعتبر أنه :
أوزوريس - أبنس •

«ومنذ ذلك الوقت كان سيرابيس هو التسمية الإغريقية لأوزوريس ..
أما لدى الشعب فقد أصبح سيرابيس إله الموتى ، وزوج إيزيس ، وحل
تماماً محل أوزوريس ••

وقد ظل سيرابيس إبان القرون الخمسة التي كانت فيها الإسكندرية عاصمة
العالم الكبرى ، يعتبر لدى سكانها أنصاف الإغريق هو الإله الأعلى •• وفي
عهد تراجان أوفدت بعثة إلى روما ، فاصطحبت معها تمثال سيرابيس
صانع المعجزات » (٩) •

★

ميشرا :

كان ميشرا معبوداً قديماً للشعوب الهندوأوربية ، ومن المحتمل أن تكون
طقوس عبادته قد جاءت إلى الإمبراطورية الرومانية عن طريق فارس •
وتحكي الأساطير بدء خلقه « بطريقة عجيبة من صخرة ، بالقدرة الخيرة
أورمزد (أهورا مازدا) رب الحياة • ولكن لا توجد له شعيرة درامية
سنوية ، فلا يوجد موت ثم إعادة ولادة سنوية ، حيث إن ميشرا قد جدد
الحياة وهزم الموت إلى الأبد • ويتميز ميشرا في كنف أورمزد ، في تعارض
أبدى لإله الشر أهريمان رب الموت • وقد نشأ كل من أورمزد وأهريمان
من المصدر الأول •• ومن المحتمل أن يكون موردوا المؤثرية إلى إيطاليا ،
جنوداً وتجاراً من أقاليم مختلفة من الشرق •• وخلال القرنين الأول والثاني
بعد الميلاد انتشرت عبادة ميشرا في الغرب على نطاق واسع • ومن الطبيعي
أن تكون روما كعاصمة عالمية كبيرة مكاناً لتطورها •• كذلك ازدهرت هذه
الديانة في المراكز التجارية والموانئ العالمية مثل الإسكندرية وبيريه وقرطاجنة
ولندن » (١٠) •

★★

(٩) المرجع ٤ : ص ٤٢٧

(١٠) المرجع ٢٢ : ص ٢٠٠ ، ٢٠٣

الأصول المشتركة للعقائد الوثنية :

من الملاحظ أن تلك العقائد الوثنية التي انتشرت في العالم الروماني وخاصة في فترة القرون الخمسة التي تمتد من أوائل القرن الثاني قبل الميلاد حتى نهاية القرن الثالث الميلادي ، قد جمعت بينها أصولاً مشتركة تقوم على الآتي :

١ - الإيمان بالإله المخلص الذي يحقق انتصاراً على الشر والموت .

٢ - يحدث الخلاص للمؤمنين «خلال اتحاد شخصي بذلك الإله المخلص ، الذي كان يعتقد في حالات كثيرة أنه قد مات ثم قام ثانية بعد الموت» (١١) .

٣ - كان ذلك الإله المخلص شاباً أو فتى يافعاً (أتيس - أوزوريس - ديونيسيس) مات ميتة مأساوية تهز المشاعر وتأخذ بالألباب ، لكنها لا تلبث أن تتحول إلى مجد يتمثل في انتصاره على الموت ، وأحياناً رفعه إلى الآلهة في السماء ليحكم من هناك (أوزوريس) .

٤ - تقوم تلك العقائد الوثنية على التثليث . ويضرب ميخائيل جرانت المثل لذلك من عقيدة إيزيس المتطورة ، فيقول : « إننا نجد إيزيس تمثل الصورة الرئيسية للتثليث المصري ، ففيها إيزيس ، وأنوبيس - وهو الإله الذي يقود أرواح الموتى إلى الحياة الأبدية (وعرف بأنه إله الدفن واعتبر ابناً لأوزوريس نزل من السماء) - وسرابيس (وهو التسمية الإغريقية لأوزوريس) » (١٢) .

٥ - تمارس تلك الديانات من خلال طقوس سرية ، يقوم الكهنة عن طريقها بالسلط على الأتباع واختراع مختلف الألاعيب التي تربط العابد بالمعبود . فرغم التقدم العلمي المحدود في تلك الحقبة من الزمن ، وجد « أن طبقة الإكليروس قد استخدموا كل شعيرة درامية تساعدهم ، وكانوا مهرة في إنتاج أعاجيب المعبد التي توحى بالرهبة وتوقع المشاهدين في

(١١) المرجع ٢٢ : ص ١٨٢

(١٢) المرجع ٢٢ : ص ١٩٩

إرباك ، وذلك باستخدام الحيل والأساليب العلمية . فقد استخدم السيفون في تحويل الماء خمراً . وعندما يدخل جماعة المصلين المعبد فإن مجموعات من المنافيخ الهيدروليكية التي صممت بمكر كانت تحدث أصوات نفخ في البوق ، وتزيد في إشعال نار المذبح . وكانت القدرة المتزايدة للهواء الساخن الذي نشأ عن التقدّمات المحترقة تستخدم في فتح باب الحرم المقدس ، وفي تحريك تمثال الإله إلى الأمام لكي يحبي عابديه . كذلك استخدمت صنوف من المؤثرات الضوئية المتطورة ، مثل عمل إضاءة داخلية للتماثيل لكي تعطى إشعاعاً لأعينها المحوطة وتيجانها . وبطريقة ما فإن تمثال آريس (مارس) وأفروديت (فينوس) قد تحركا ليلتصقا بغية الزواج . ولا يزال موضع جدل ما إذا كانت تلك الحركة قد حدثت باستخدام المغنطيسية أو بجبال مخفاة » (١٣) .

وعلى ضوء هذا يمكن لإنسان العصر الحديث أن يفهم كيف كان السنج والبسطاء في تلك القرون يؤمنون بإمكانيات تلك المعبودات الوثنية في تقديم معجزات وعجائب . ولقد حدث أن زار الإمبراطور هادريان مصر ، وأثناء الرحلة غرق في النيل أنطونيوس حبيب الإمبراطور ، وكان عمره عشرين عاماً « فرأى هادريان أن أقصى ما يؤدي من شرف لهذا الصبي المسكين هو أن يرفع إلى مصاف شركاء آلهة مصر . وكان مثل هذا التأليه أمراً قريب الاحتمال وذلك لأن الغرق في النيل كانوا يعتبرون من القديسين . وفي القرن الثالث كان أنطونيوس في مصر إلهاً يبالغ في تمجيده كثيراً ، لأنه كان يشفي المرضى ويصنع العجائب » (١٤) .

ولقد قيل إن أنطونيوس أسلم حياته في النهر المقدس لكي يفدى الإمبراطور ويرد التنبؤات الخاصة بموته « وعلى الفور عبد أنطونيوس كإله مخلص متجسد بين طوائف الشرق المشحونة بالعاطفة الدينية . . وقد اخترعت طقوس

(١٣) المرجع ٢٢ : ص ١٩١

(١٤) المرجع ٤ : ص ٤٧٩ - ٤٨٠

درامية تتضمن تمثيلية تمثل آلام أنطونيوس . . وموته الشابة ، ثم قيامته .
المجيدة وسروره الدائم » (١٥) .

★ ★

مراحل انتشار العقائد الوثنية :

١ - تبدأ العقيدة محلية ، ثم لا تلبث أن تنتقل إلى الأماكن الأخرى ،
وقد ساعدها على ذلك ، الوحدة السياسية للإمبراطورية الرومانية ، ثم الحركة .
الدائبة داخل حدودها والتي تتمثل غالبيتها في التبادل التجارى والحملات
الحربية . وعند عودة التجار والجنود إلى أوطانهم الأصلية ، تكون هذه
العقيدة أو تلك من جملة ما حملوه معهم .

٢ - كانت السياسة العامة للسلطة فى روما تجنح إلى عدم التدخل فى المسائل
الدينية إلا عند الشعور بتأثيرها على النظام العام والاستقرار السياسى . ولقد
حدث « فى عام ١٨٦ ق . م . أن شعر مجلس الشيوخ الرومانى بالخوف من
توريد عبادة ديونيسس إلى روما وتهديدها للنظام العام ، مما دفعه إلى اتخاذ
إجراءات الكبت » (١٦) .

٣ - لكن مثل تلك الإجراءات لم تكن لتحد من انتشار تلك العقيدة .
الدينية « التى سارت كالطوفان فى العالم الرومانى . وفى زمن قصير تحولت إلى
واحدة من ديانات الطقوس السرية التى تحظى بالاعتبار » (١٧) .

وإذا كان بعض الأباطرة قد حارب عقيدة ما ، كما فعل أغسطس .
(٢٧ ق . م - ١٤ م) مع عقيدة إيزيس ، فلم تلبث هذه العقيدة أن
اكتسحت - خلال عشرات السنين - الإمبراطورية وحاكمها الإمبراطور ،

(١٥) المرجع ٢٢ : ص ١٩٩ - ٢٠٠

(١٦) المرجع ٢٢ : ص ١٨٦

(١٧) المرجع ٢٢ : ص ١٨٦

كما حدث لكاليجولا (٣٧ - ٤١ م) ، ودومتيان (٨١ - ٩٦ م) ،
وهادريان (١١٧ - ١٣٨ م) .

عوامل انتشار المسيحية في الإمبراطورية الرومانية

يرجع انتشار المسيحية في الإمبراطورية الرومانية إلى عاملين رئيسيين ؛
يعتبر كل منهما محصلة لمجموعة من العوامل الأخرى الفرعية . وهذان العاملان
هما : عامل داخلي ، يرجع إلى المسيحية كديانة تقوم على معتقدات وطقوس
ظهرت في زمن معين وكانت تشابه وتضاهى كثيراً من ديانات ذلك الزمن
ثم عامل خارجي ، يرجع إلى الظروف والقوى التي أحاطت بالمسيحية
منذ مولدها وأثرت في تطورها وحركتها التاريخية ، وهو يزوغها في ظل
الإمبراطورية الرومانية . وفيما يلي عرض لهذين العاملين وما احتواه كل منهما
من عوامل فرعية .

التشابه بين المسيحية الصليبية وديانات العالم الروماني :

يوجد إجماع بين الباحثين على أن هناك تشابهاً قوياً بين المسيحية الصليبية
- فسيحية بولس - وبين غيرها من ديانات العالم الروماني التي كانت منتشرة
آنذاك ، وعاصرت مولد تلك الديانة الجديدة ، سواء من ناحية المعتقدات
والأفكار ، أو نواحي العبادات والطقوس التي تعكس تلك المعتقدات .

يقول هربرت فيشر : « استدار العالم الروماني بشغف زائد إلى عبادات
الشرق الملتهبة ، مثل عبادات إيزيس وسيرايس وميثرا . . إن عباد إيزيس
المصرية ، وسبيل الفريجية ، وميثرا الفارسي ، اشتركوا في معتقدات كثيرة
وجدت بعد ذلك في النظام المسيحي .

لقد اعتقدوا في اتحاد سرى مقدس مع الكائن الإلهي ، إما عن طريق
اقتران خلال الشعائر ، أو بطريقة أبسط عن طريق أكل لحم الإله
في احتفال طقسى . .

لقد كان الإله الذى يمرت بين العويل والمرأى ، بيد أنه يقوم ثانية
وسط صيحات الترحيب والسرور ، من الملامح الرئيسية فى هذه العبادات
الشرقية الغامضة . .

ولقد بنى ماركوس أوريليوس (١٦١ - ١٨٠ م) معبداً لميثرا فوق تل
الفايكان، وجعل أورليان (٢٧٠-٢٧٤م) عبادة الشمس دين الدولة الرسمى .
ويكتب دين انجى قائلاً : إن عبادة إيزيس قد نظمت بطريقة تماثل
تماماً ما فى الكنيسة الكاثوليكية . لتبد كان هناك نوع من البابا مع التمسس
والرهبان والمغنين وخدم الكنيسة . وكانت صورة السيدة ترصع بجواهر
حقيقيةة أو مزيفة ، وكانت زينتها تعمل كل يوم ، كما كانت صلاة الصبح
وأغاني المساء تغنى فى معابدها الرئيسية ، وكان الكهنة حليقي الرؤوس و
يلبسون ملابس كهنوتية بيضاء من الكتان .

قبل أن تصير رومامسيحية فإنها صارت كهنوتية : مدينة للمعابد والصور ،
ذات كهنة ومواكب واحتفالات دينية . . وتحت حكم دقلديانوس (٢٨٤-
٣٠٥ م) عندما كفت روما عن أن تكون عاصمة سياسية ، لم يكن من الصعب
التنبؤ أنه يوماً ما فإن مكان الإمبراطور الغائب سوف يشغله كاهن رومانى . .
إن التحول من الوثنية إلى المسيحية لم يكن يعنى الدخول فى جو غريب
كلية ، أو ممارسة ثورة فجائية . لقد كانت عملية التحول تتم بلطف . .
وكانت طقوس العقيدة الجديدة استرجاعاً للأسرار القديمة . . فقد كانت عقيدة
الوسيط مألوفة فى معتقدات النمرس وأتباع الأفلاطونية الحديثة .

وكانت فكرة التثليث معتقداً دينياً شائعاً ، تنبع أساساً مما تعارفوا عليه
من أن العدد ثلاثة كان هو العدد الكامل . . وما كانت فكرة الدينونة بكل
عواقبها المرعبة حكراً على العقيدة المسيحية ، فقد كان المؤمنون بميثرا وعلماء
الرواقية تجمعهم فكرة واحدة وهى أن العالم على وشك أن يهلك
فى السعير « (١٨) .

★

(١٨) المرجع ٢٤ : ص ١٠٢ - ١٠٣ ، ١١٥

ويقول ميخائيل جرانث : « من السهل أن نشير الى أوجه التشابه بين المسيحية وديانات الطقوس السرية في العالم الروماني الإغريقي الذي انبثقت منه وجاءت لتلبي نفس المطالب . . إن العبادات المسيحية والوثنية كانت تلبي مطالب متشابهة . .

وربما كان تأثير ديانات الطقوس السرية على القديس بولس طفيفاً - ولو أنه نادراً ما هرب من مصطلحاتها الخاصة والتي كانت مستخدمة في اليهودية المعاصرة له - لكن تابعيه تأثروا بها بقوة ، كما فعل القديس اجناتايوس . مطران أنطاكية الذي كتب عن كسر الخبز كدواء للخلود . .

وبتطبيق العادة المألوفة من دمج الديانات المختلفة معاً ، فإن عبادات على هواش المسيحية قد اندمجت مع عناصر مما في ديانات الطقوس السرية . . ونجد في آسيا الصغرى - في القرن الثاني - أن الناسيين والمونتانيين قد وحدوا المعتقدات المسيحية مع تبجيل أتيس أو اقتباسات من ديانته . كما نسمع عن بعض أهل الإسكندرية الذين عبدوا يسوع وسرايس » (١٩) .



ويقول أرنست كيلت : «إن أوجه التشابه المحيرة بين شعيرة التعميد في المسيحية - على سبيل المثال - وبين طقوس التطهير في ديانة أتيس ، وأدونيس ، لتضدم كل دارس . لقد أظهرت الديانة المسيحية قدرة ملحوظة في جميع العصور على الأخذ لنفسها ما يناسبها من الديانات الأخرى . إن كثيراً من عبارات بولس يصعب شرحها إلا على فرض أنه قد قبل عن طيب خاطر تلميحات من هذا النوع . .

ولسوف أعطى هنا ملخصاً لأسطورة أتيس وطقوس عبادته ، لأن هذا لم يؤثر فقط بعمق في المسيحية ، بل لأنه كان منتشرأ في أغلب أجزاء الإمبراطورية الرومانية .

(١٩) المرجع ٢٢ : ص ٢٠٧

لقد حدثت قيامة أتيس في يوم الخامس والعشرين من مارس ، بدء الربيع ، وهو نفس اليوم الذى قام فيه المسيح من الأموات حسب أقوال كثير من المسيحيين ، وهو نفس اليوم الذى أتم الله فيه خلق العالم حسب التقاليد اليهودية .

لقد كان أتيس شاباً من فريجية ، ابن الأم الكبرى سيبييل ، ولد من عذراء حملته بوضع لوزة ناضجة في ثديها . . وحسبما جاء في إحدى الروايات فإنه قتل مثل أدونيس (٢٠) كذلك فإن التشابه بين الطقوس السرية لديانة ميشراً والمسيحية مذهلة . وهى محيرة فعلا لدرجة أن السبب الوحيد الذى أعطاه آباء الكنيسة تبريراً لذلك ، كان قولهم إن الشيطان كان يقلد المسيح . .

وفى رأي ، على أى حال ، أنه من المستحيل الاعتقاد بأن هذا التشابه جاء عرضاً ، فلا بد أن تكون واحدة قد استعارت من الأخرى ، أو أن يكون الارتباط متبادلا .

إن الميثرية لها طقوسها المتعلقة بالعشاء الربانى ، ومن الصعب التفريق بينها وبين ما فى عقيدتنا (المسيحية) ، ولها احتفالات تماثل احتفالات عيد الميلاد ، ولها عيد القيامة . .

إن كلا عن الميثرية والمسيحية — كما يقول هرنك — شرقية الأصل ، وقد دخلت الإمبراطورية (الرومانية) فى حوالى نفس الزمن ، وقد اجتذبت بالتساوى الطبقات الدنيا من الناس ، وكان بينهما اتفاق فى عدة وجوه هامة «(٢١) .



(٢٠) راجع بقية الطقوس ص ٧٠

(٢١) المرجع ٢٢ : ص ١٣٠ — ١٣١ ، ١٩٣ ، ٢٦٢

مما سبق يتبين أن المسيحية التقليدية - مسيحية بولس الصليبية - تشارك الديانات التي سادت في الإمبراطورية الرومانية أصولها المشتركة ، وفي مقدمتها الإيمان بالإله المخلص الذي عاش إنساناً بين البشر ، ثم قتل شاباً ، لكنه قام ثانية بعد الموت وانتصر عليه .

كذلك تشارك المسيحية تلك الديانات القديمة لب عقائدها الذي يقوم على التثليث .

تقول دائرة المعارف الأمريكية : « إن عقيدة التثليث هي العقيدة المسيحية التي تقول بالطبيعة الثلاثية للإله . وهي عقيدة ليست من تعاليم العهد القديم ، ولا توجد في أى مكان بين ثناياه .

إن العقيدة التي تختص بالطبيعة الإلهية ، والتي يحرص عليها بشدة في كل مكان بين دفتي العهد القديم ، هي توحيد الله ، وهو الشيء الذي يخالف عقيدة تعدد الآلهة . .

ولقد كان من بين التعريفات التي نتجت عن الصراع بين وجهات النظر في الكنيسة الأولى فيما يختص بعقيدة التثليث ، تلك التي تبنتها الكنيسة الكاثوليكية ، وهي التي يتقبلها المسيحيون التقليديون بوجه عام.. ذلك أنه فيما يتعلق بالألوهية توجد ثلاثة أقانيم ، واحدة في الجهر ومتماثلة في الأزلية ومدساوية في التدرة هي : الآب ، والابن ، والروح القدس . وعلى أى حال فقد جاء ذلك بعد صراع عنيف أخذ وقتاً طويلاً .. إلا أن انشقاقاً كبيراً حدث في الكنيسة . ذلك أن الكنيسة الشرقية تعتقد بأن الروح القدس ينبثق من الآب ، بينما تعتقد الكنيسة الغربية بأن الروح القدس ينبثق من الآب والابن .

إن كلمة : تثليث ، ليست من نصوص الكتب ، وإن كلمة : أقانيم ، ليس لها استعمال في الأسفار . ولكن يبدو أن شيئاً شبيهاً بإدراك معنى الأقنوم قد فهم ضمناً في محاورات الرسل في رسائلهم» (٢٢)

(٢٢) المرجع ٢٨ : ج ٢٧ - ص ٦٩

وإذا كان التثليث شائعاً في الديانات الوثنية القديمة ، فقد كان السمة البارزة في ديانة إيزيس التي اكتسحت الإمبراطورية الرومانية ، وكانت هي الديانة الوثنية التي أصبحت عالمية ، إلى أن احتلت المسيحية مكانها.



ولا يقتصر التشابه بين المسيحية وغيرها من تلك الديانات القديمة على المشاركة في الأساسيات ، إنما هو يتعداها إلى الفروع والحواشي والصور والرموز .

يقول أدولف أرمان : « في مساكن العصر الروماني نجد بين تماثيل الآلهة من الصلصال أشكالاً صغيرة متنوعة لإيزيس ، كانت تعتبر عند العامة من الناس تماثيل مقدسة ، وكثيراً ما كانت تزود بمصاييح تضاء في عيد المعبود تكريماً له . وفي هذه التماثيل يتجلى الجانب الإنساني في إيزيس ، فقد كان يستحب تمثيلها مع رضيعتها وهي تعطية ثديها ، في وضع يذكر في بعض الأحيان بتماثيل السيدة العذراء ، بما يثير الدهشة (٢٣) . »

حقاً إن « التحول من الوثنية إلى المسيحية لم يكن يعنى الدخول في جو غريب كلية ، أو ممارسة ثورة فجائية .. وكانت طقوس العقيدة الجديدة استرجاعاً للأسرار القديمة » .

لقد كان ذلك التحول يمثل الانتقال من حجرة إلى حجرة - ربما كانت أوسع أو بها منفذاً يعطى راحة وأملاً - ولكنها قبل ذلك كله وبعده لا تعدو أن تكون حجرة في نفس البيت . فكل تلك الديانات أقامت بيتها على عقيدة الوسيط ، الإله الخالص المقتول ، الذي يقوم ثانية بعد الموت . وقد ارتبط ذلك الإله المقتول ببقية شركة الآلهة المتحدة برباط التثليث .

(٢٣) المرجع ٤ : ص ٤٣٤

من أجل ذلك انتشرت المسيحية في العالم الروماني انتشاراً مستمراً ،
لم يقطعه على فترات سوى مكاييد اليهود واضطهاد بعض الحكام ، كما
سنرى فيما بعد .

★ ★

تسهيلات الإمبراطورية الرومانية للمسيحية :

لقد أجمع الباحثون - كذلك - على أن مولد المسيحية في حضن
الإمبراطورية الرومانية كان خير عون لها على الظهور والانتشار .
يقول أرنتس كيلت : « إنها ملاحظة مألوفة في التاريخ أن المسيحية
وجدت الطريق قد مهدته لها الإمبراطورية الرومانية ، الواسعة ،
الهادئة ، الجيدة التنظيم .

لقد كان تدبير العناية الإلهية أن يسوع ولد في أيام أغسطس .. إن
الظروف التي وجدها بولس كانت موالية تماماً لعمله التبشيري ، والتي
كانت تتمثل في وجود حكام رومانيين يحفظون النظام ، وفي الطرق
الجيدة ، والبحار التي لا يخشى فيها سوى العواصف (بعد أن قضى
على القرصنة) . لقد كان مرجع هذا كله إلى العمل الرائد لأغسطس ،
والعدالة المقسطة لتيبريوس ، والتقاليد التي أرساها .

وعلى أي حال ، فإن قوة روما الإمبراطورية الوحيدة ، حين
كانت تعمل قسراً على الوحدة في الشؤون الدنيوية ، بطرقها السهلة
وممراتها البحرية وتعريف شعب بآخر ، فإنها قد ساعدت كذلك على نمو
فكرة الوحدة في الدين ..

وعندئذ ، يكون من الطبيعي أنه في أزمنة الإمبراطورية ، وليس
قبلها ، نلاحظ ظهور ديانات ترفع بحزم لواء الدعوة إلى العالمية. ولقد
كانت المسيحية أهم هذه الديانات ، بيد أنها لم تكن الديانة الوحيدة» (٢٤).

★

(٢٤) المرجع ٢١ : ص ٩٩ - ١٠٠

ويقول إدوارد جيون « لقد لوحظ بصدق أن الفتوحات الرومانية قد هيأت الطريق أمام المسيحية وسهلت نشرها .. إن أكثر المقاطعات تحضراً في أوروبا وآسيا وإفريقيا كانت قد اتحدت تحت حاكم واحد ، وبدأت ترتبط تدريجياً بأقوى روابط التآلف ، من قوانين وأساليب ولغة . .

إن الطرق الرئيسية التي أنشئت لتستخدمها فيالق الجنود ، قد فتحت ممراً سهلاً للمبشرين المسيحيين ، من دمشق إلى كورنثوس ، ومن إيطاليا إلى أقصى أسبانيا وإثيوبيا . ولم يواجه هؤلاء الغزاة الرومانيون أى عقبات من تلك التي عادة ما تؤخر أو تمنع تقديم عقيدة جديدة إلى بلد بعيد .

ولدينا أقوى البواعث على الاعتقاد بأنه قبل عهد دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م) وقسطنطين (٣٢٣ - ٣٣٧ م) فإن عقيدة المسيح قد بشر بها في كل مقاطعة من مقاطعات الإمبراطورية الرومانية ، وفي كل مدنها الكبيرة « (٢٥) .



من الواضح - إذن - أن المسيحية كديانة جديدة ولدت في صدر القرن الأول الميلادي ، قد أخذت فرصتها كاملة في الدعوة بين الناس ، بعد أن مهدت لها الإمبراطورية الرومانية الكثير من سبل التقديم والوصول إلى مختلف صنوف البشر ، ومن ثم استطاعت أن تنتشر ويزداد من حولها الأتباع والأدعياء .

لقد مرت المسيحية بالمراحل التي مرت بها سابقاتها من الديانات التي شاعت في العالم الروماني . وإذا كان بعض الأباطرة قد حارب المسيحية كما فعل نيرون (٥٤ - ٦٨ م) ، ودكيوس (٢٤٩ - ٢٥١ م) ،

(٢٥) المرجع ٢٣ : ص ١٨١ - ١٨٢

ودقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م) ، ثم ما لبثت أن حمل لواءها واحد من خلفائهم هو قسطنطين الذى جعلها دين الدولة الرسمى ، فلقد حدث نفس الشيء لديانة إيزيس التى حاربها أغسطس ، ثم ما لبثت أن اكتسحت الإمبراطورية وحكامها من أمثال كاليجولا ، ودومتيان ، وهادريان .

★ ★

حقيقة ما يقال عن اضطهاد الرومان للمسيحية :

إن الاضطهاد الذى واجهته المسيحية كديانة وليدة ، كان يهودياً . فملك حقيقة أولية سجاتها الأسفار المسيحية ، وخاصة سفر أعمال الرسل الذى يحكى النشاط التبشيري لتلاميذ المسيح ومن دخل فى زمرةم خلال الثلاثين عاماً التى أعقبت رجيل صاحب الدعوة . وفيما يلى نماذج لبعض ما تحكىه الأسفار المسيحية عن الاضطهاد اليهودى للمسيحية .

ونبدأ بما حدث لبطرس ويوحنا ، اللذين بينما كانا « يخاطبان الشعب أقبل عليهما الكهنة وقائد جنده الهيكل والصدوقيون متضجرين من تعليمهما الشعب .. فآلفوا عليهما الأيادى ووضعوهما فى حبس إلى غد .. فدعوهما وأوصوهما أن لا ينطقا البتة ولا يعلما باسم يسوع .. وبعد ما هدوهما أيضاً أطلقوهما - أعمال الرسل ٤ : ١ - ٢١ » .

كذلك عانى بقية التلاميذ من ذلك الاضطهاد اليهودى ، فقد « جرت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة فى الشعب . . فقام رئيس الكهنة وجميع الذين معه الذين هم شيعة الصدوقيون وامتأوا غيره . فآلفوا أيديهم على الرسل ووضعوهم فى حبس العمامة . . وجعلوا يتشاورون أن يقتلوهم . . ودعسوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع ثم أطلقوهم - أعمال الرسل ٥ : ١٢ - ٤٠ » .

ولقد كانت المؤامرة على استفانوس ، يهودية ، فقد « دسوا لرجال يقولون إننا سمعناه يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله . وهيجوا

الشعب والشيوخ والكتبة فقاموا ونحطفوه وأتوا به إلى المجمع . وأقاموا
شهود كذبة يقولون هذا الرجل لا يفتر عن أن يتكلم كلاماً تجديفاً . .
فصاحوا بصوت عظيم وسدوا آذانهم وهجموا عليه بنفس واحدة .
وأخرجوه خارج المدينة ورجموه - أعمال الرسل ٦ : ١١ - ١٣ ،
٧ : ٥٧ - ٥٨ .

وبمجرد أن أعلن بولس تحوله إلى المسيحية « تشاور اليهود ليقتلوه . .
وكانوا يراقبون الأبواب أيضاً نهراً و ليلاً ليقتلوه . فأخذته التلاميذ ليلاً
وأنزلوه من السور مدلين إياه في سل - أعمال الرسل ٩ : ٢٣ - ٢٥ .

ثم كان ما فعله هيرودس الملك اليهودي الصغير بتلاميذ المسيح ، فقد
مد « يديه أبسىء إلى أناس من الكنيسة فقتل يعقوب أخا يوحنا
بالسيف . وإذ رأى أن ذلك يرضى اليهود عاد فقبض على بطرس
أيضاً . ولما أمسكه وضعه في السجن . . ناوياً أن يقدمه بعد الفصح
إلى الشعب . . (وبعد هرب بطرس) طلبه فلم يجده فحصى الحراس
وأمر أن ينقادوا إلى القتل - أعمال الرسل ١٢ : ١ - ١٩ .

وعلى عكس ما سبق ، كان ساوك الحاكم الروماني - غير اليهودي -
غاليون . إزاء شكوى اليهود ضد بولس . فقد وقف على الحياد أولاً ،
طلما أن الأمر يتعلق بمعتقدات الناس الدينية ، وذلك تطبيقاً لسياسة روما
في مثل تلك الأمور . ثم ما أمث أن وقف ضد اليهود بعد ذلك :

« لما كان غاليون يتولى أخائية ، قام اليهود بنفس واحدة على بولس
وأتوا به إلى كرسي الولاية . قائلين إن هذا يستميل الناس أن يعبدوا الله
بخلاف الناموس . وإذ كان بولس مزماً أن يفتح فمه ، قال غاليون .
لئيهود : لو كان ظلماً أو خبيثاً ردياً أيها اليهود ، لكنت بالحق قد احتملتكم .
ولكن إذا كان مسألة عن كلمة وأسماء وناموسكم ، فتبصرون أتم .
لأني لست أشاء أن أكون قاضياً لهذه الأمور . فطردهم من الكرسي .

فأخذ جميع اليونانيين سوستانيس رئيس الخبوع وضربوه قدام الكرسي ولم يهتم غالليون شيء من ذلك . وأما بولس فلبث أيضاً أياماً كثيرة ثم ودع الإخوة وسافر في البحر إلى سورية - أعمال الرسل ١٨ : ١٢ - ١٨ .

وأخيراً نأتى إلى تقرير بولس الشهير في بنى جلده من اليهود ، إذ يصفهم بأنهم قتلة الأنبياء ، وأعداء الإنسانية ، ويمنعون التبشير بالمسيحية :

« اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم ، واضطهدونا نحن . وهم غير مرضين الله ، وأضداد لجميع الناس . يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكي يخلصوا ، حتى يتمموا خطاياهم كل حين . ولكن قد أدرركم الغضب إلى النهاية - (١) تسالونيكي ٢ : ١٤ - ١٦ . »

مما سبق يتبين أن اليهود هم الذين حملوا لواء الاضطهاد ضد المسيحية.



وفي حديث عن حقيقة ما يقال عن اضطهاد الحكام الرومان للمسيحية - قبل أن تصبح دين الدولة الرسمي - وما نسج حوله من أقاصيص ، وما ذكر عن عدد الشهداء من أرقام اتسمت بالمبالغات ، يقول المبشر الإنجليزي ستيفن نيل :

« يجب ألا ننساق مرة أخرى إلى المبالغات الخرافية . فما لا شك فيه أن المسيحيين في ظل الإمبراطورية الرومانية قد حرموا حق الحياة، وكانوا معرضين لأقصى ضغط يسمح به القانون . ولكن من الواضح أنه في مقابل ذلك بوجه عام ، فإن الأمور القضاة لم يكونوا مولعين بالانتقال فوراً إلى الإجراءات القاسية ، فهم غالباً ما فعلوا أقصى ما يمكنهم لتحرير المسيحيين على إنقاذ أنفسهم بالاستجابة للمطالب البسيطة للقانون . وأنه - حتى زمن حدوث الاضطهاد المنظم الذي أمر به دكيوس (٢٤٩ - ٢٥١ م) في منتصف القرن الثالث - عندما اشتعل

الاضطهاد ، فإنه كان استجابة لمطلب شعبي بدلا من اعتباره نتيجة لحملة
خططت لها السلطات الحاكمة ..

إن كل مسيحي كان يعلم أنه ، عاجلا أو آجلا ، قد يلزمه البرهنة على
إخلاصه لعقيدته بدفع حياته ثمناً لها . ولكن لم يحدث أن تعرضت أية
كنيسة لاضطهاد مستمر وقاس مدة طويلة من الزمان، وإن عدد الشهداء
كان أقل بكثير مما تخيلته العصور الأخيرة «(٢٦) .

ويقول جيبون : « يجب الاعتراف ، على أى حال ، بأن سلوك الأباطرة
الذين أظهروا أقل مودة تجاه الكنائس المسيحية الأولى ، لا يمكن اعتباره
مطلقاً على مثل ذلك الإجرام الذى مارسه الحكام المتحضرون من أعمال
البطش والرعب لمقاومة الأفكار الدينية لأى من رعاياهم . إن كلا من
شارل الخامس وأوريس الرابع عشر ، لا بد وأن يكون قد حصل على قدر
كاف من المعرفة بحقوق الضمير ، والالتزام قبل العقيدة ، والنفوذ عن
الزلات . لكن الأمراء والمأمورين القضاة فى روما القديمة كانوا غرباء
عن هذه المبادئ ..

ومن الوجهة العامة لسلوكهم ودوافعهم يمكننا أن نخلص ببساطة إلى
الآتى :

- ١ - أنه مر وقت طويل قبل أن يعتبروا الطوائف الجديدة (المسيحية)
شيئاً يستحق الاهتمام من الحكومة .
- ٢ - وأزه فى حالة اقتناعهم بأن أياً من رعاياهم قد ارتكب جرائم
فردية من هذا النوع ، فإن لإجرائهم ضده كانت تتسم بالحنو والتروى .
- ٣ - وأنهم كانوا معتدلين فى استخدام العقاب .
- ٤ - وأن الكنيسة الممتحنة تمتعت بفترات طويلة من السلام والهدوء .

(٢٦) المرجع ٢٥ : ص ٤٢ - ٤٣

وخلال فترة طويلة من توفى المسيح إلى التمرد (اليهودى) المشهور ،
فإننا لا نستطيع اكتشاف أى أثر لتعصب روماني ، إلا ما وجد في ذلك
الاضطهاد الذى حدث بعد خمسة وثلاثين عاماً من الأولى ، وقبل عامين
فقط من الأخير «(٢٧) .

ويقول ستينغ رنسيان : « من المعروف أن الأباطرة الوثنيين اشتهروا
بالتسامح مع العقائد المحلية . . ولم يتعرض لمحنة الاضطهاد من حين لآخر
سوى المتعنتين من الموحدين أمثال المسيحيين واليهود ، على أن الأباطرة
المسيحيين لم يبلغوا هذا الحد من التسامح .

فالمسيحية تعتبر ديانة مانعة لاتقبل أن تعيش معها ديانة أخرى ، وأراد
الأباطرة أن يفيدوا منها باعتبارها قوة موحدة في ربط رعاياهم بالحكومة .
فعلى الرغم من أن قسطنطين نفسه لم يعرف من أصول الدين إلا قليلاً ، فإنه
حرص على توحيد الكنيسة التي مزقتها وقتذاك المشكلة الأريوسية «(٢٨) .

★

إن ما يعلق بأذهان الكثيرين — إلى الآن — عن حجم الاضطهاد
الروماني ضد المسيحية ، يحتاج إلى وقفة للمراجعة ، بعيداً عن المبالغات
وأقاصيص الخيال ، وبتحاشية بعد أن عرفنا كيف كان مولد المسيحية في
ظل الإمبراطورية الرومانية عاملاً رئيسياً في نشرها بين مختلف شعوب
هذه الإمبراطورية .

★★

(٢٧) المرجع ٢٣ : ص ١٩٩ — ٢٠١

(٢٨) المرجع ٢ : ج ١ : ص ١٩

الفصل الخامس

كيف انتشرت المسيحية في أوروبا ؟

لقد جرى التعبير دائماً عن المسيحية بأنها ديانة أوروبية. فرغم نشأتها في الشرق إلا أن التبشير بها في أوروبا ، وقيام الغرب بحمل لوأها عبر القرون ومحاولاته المستمرة لنشرها في كل مكان ، قد جاء تحقيقاً لتلك المقولة .

ويهمنا في هذا المبحث أن نتعرف على العوامل والظروف والوسائل التي استخدمت لجعل المسيحية ديناً لأوروبا. ولا يعيننا في هذا المقام أن نستقصي دخول المسيحية كل البلاد الأوروبية ، فذلك شيء فوق طاقة هذا الكتاب . إلا أن تتبع الخطوط العامة لغزو المسيحية لأوروبا ، وعرض نماذج للوسائل والأساليب التي تحولت بها كثير من شعوب أوروبا وقبائلها إلى المسيحية ، يعتبر أمراً بالغ الأهمية . وهذا ماسوف نراه من خلال مرجع هام هو «تاريخ لرساليات التبشير المسيحية» للمبشر الإنجليزي ستيفن نيل .



فرنسا وألمانيا :

يقول ستيفن نيل : « لقد شهدت نهاية القرن الخامس في فرنسا حادثاً ، اعترف بحق أنه لإحدى نقط التحول في التاريخ المسيحي ، ألا وهو تعميم كلوفيس ملك الفرنجة مسيحياً . فعندما انهارت الثورة الرومانية القديمة ، فإن أوروبا الغربية صارت بمرور الزمن نهياً للشعوب البربرية التي تدفقت عليها من الغابات الألمانية وسهول وسط أوروبا . ورغم أن الفرنجة خلعوا اسمهم على فرنسا ، فقد كانوا شعباً ألمانياً ، وكانوا في نفس الوقت وثنيين . وفي عام ٤٩٣ تزوج ملكهم كلوفيس من أميرة مسيحية من برجنديا هي

كوتيلدا ، التي فعلت كل ما يمكنها لتنصيره فلم تفجح . . وعندما هدد كلوفيس بالقهر في معركته ضد أعرق الشعوب الألمانية ، فإنه أقسم في لحظة الخطر على أن يصير خادماً لإلهه المسيحيين إذا كان النصر حليفه . وقد أبر بقسمه ، فتمم يوم عيد الميلاد عام ٤٩٦ ، ومعه ثلاثة آلاف من مقاتليه .

لقد كان غالبية البرابرة الذين تحولوا إلى المسيحية على مذهب آريوس ، أما كلوفيس فقد عمده أسقف كاثوليكي ، وقد قبل ، حسبها وسع تفكيره ، الشكل الكاثوليكي للعقيدة المسيحية . .

وعندما دخل البرابرة الكنيسة ، فإنهم لم يحضروا لها البساطة الفاضلة للشعوب البدائية ، وكان ما جلبوه إليها عبارة عن طبائع عنيفة غير مهذبة ، مصحوبة بميل متأصل للتوحش والمغلاة . .

إن شارلمان يعتبر بلا جدال واحداً من أعظم الشخصيات في تاريخ كل من الكنيسة والعالم . وما يهمننا في المقام الأول هنا هو امتداد الدائرة المسيحية عن طريق غزوات شارلمان ضد السكسون . . فقد كانوا مصدر خطر عليه ، ولذلك قرر أن يخضعهم لسلطانه باستخدام مزيج من القوة المسلحة والعقيدة الدينية .

فمنذ عام ٧٧٢ حتى عام ٧٩٨ ونحن نقرأ عن استمرار الغزوات المتعاقبة ، وتحول إلى المسيحية ، ومؤامرات ، وأعمال قمع . .

وبمجرد إخضاع إحدى القبائل الألمانية ، فإن تحولها إلى المسيحية كان يندرج في بنود السلام ، كمن يمنح لها نظير تمتعها بحماية الإمبراطور وحكومته الرشيدة التي تحميها جيوشه . لكن هذا يعنى ربط العقيدة الجديدة بالقوة الغازية ، وهو أمر خطير . ذلك أن أى شرارة من الوطنية ، أو أى حركة من المقاومة للعنصر المتسلط ، إنما تأخذ - على قدم المساواة - شكل المعارضة العنيفة للعقيدة المسيحية . وعلى هذا فإن كل ثورة من الشعب كان يصاحبها بعث جديد للوثنية . وتلقى القصة الطويلة للاستشهاد والمذابح ، ضوءاً شاحباً على العمليات التي تم بها أخيراً تحول السكسون إلى المسيحية .

لقد سجل أنه في إحدى المناسبات ، قتل شارلمان ٤٥٠٠ سكوني في يوم واحد .

وتفرض قوانين الدولة عقوبات وحشية ضد أى خرق لمجموعة القواعد المسيحية ، ومنها :

أن أى سكوني غير معمد ، يحاول أن يختبئ بين شعبه ، ويرفض قبول التعميد مسيحياً ، سوف يقتل .

وأن أى شخص يتآمر مع الوثنيين ضد المسيحيين ، سوف يقتل» (١) .

وهكذا استخدمت المسيحية لخدمة سياسة الحكام الذين حملوا السيف لإكراه رعاياهم على قبولها ديناً .

الزرويج :



«لقد حدث في الزرويج ما حدث في الدنمرك ، إذ لعبت السلطة الملكية دوراً كبيراً في نشر العقيدة المسيحية .

إن أول بطل متميز في الغزوة المسيحية للزرويج ، كان ذلك القرصان الإسكندنافي الطائش أولاف تريجنفسن . . فقد كان في عام ٩٩٠ في مكان ما بجزيرة صقلية ، وهناك تأثر كثيراً بأحد النساك الذي قابله صدفة ثم تعمد على يديه . وفي عام ٩٩٥ عاد أولاف إلى الزرويج وبعد قليل انتخب ملكاً على الإقليم .

وبمجرد انتخابه ملكاً فقد بدأ أولاف في جعل عقيدته لتكون عقيدة كل الزرويجيين .

وقد استخدم لذلك كل الاسلحة : المداينة ، والخداع ، والتحرير ، وعندما فشل كل ذلك فإنه استخدم الإجبار المحض دون مواربة .

(١) المرجع ٢٥ : ص ٥٨ - ٥٩ ، ٧٩ - ٨٠ .

وفي أغاب الحالات ، عندما رأى الرعية أن الملك كان مستعداً عند الضرورة أن يكرههم على ابتلاع عقيدته (المسيحية) بحمد السيف ، فإنهم جنحوا إلى العقل ، ووصلوا إلى حل ديمقراطي سعيد (كما يقول المبشر نيل) حيث وافق الجميع على استبدال المسيحية بعقيدتهم القديمة « (٢) .
وهكذا تحول شعب النرويج إلى المسيحية بحمد السيف .

★

السويد :

« لقد كانت السويد أكثر بطئاً من غيرها من البلاد الإسكندنافية في اعتناق المسيحية . وفي أوائل القرن الحادى عشر كان أولوف سكوثوننج أول ملك مسيحي . . . وقد قوبلت محاولاته بتنصير شعبه بمقاومة عنيدة . وقد ذهب تصميمه القوي على هدم المعبد الشهير في أوبسالا سدى ، فقد بقي المعبد واستمر تقديم القرابين فيه قرابة قرن بعد عهده ؛

وبعد أولوف بنحو قرن أصبح إنج ملكاً ، وقد حاول مرة ثانية أن يبطل القرابين ، وأصر على تعميم شعبه ، لكن مقاومة الوثنيين وقتت ضده مرة أخرى . ولم يستتب الأمر للمسيحية إلا مؤخراً في عهد سفركر (١١٣٠ - ١١٥٥ م) « (٣) .

إن قصة دخول المسيحية السويد لا تختلف عن نظيرتها في البلاد الأوروبية الأخرى ، إذ تبدأ بحاكم يقبلها - لسبب أو لآخر - ثم لا يلبث أن يفرضها على شعبه كرهاً .

★

فنلندا :

« في عام ١١٥٥ قام إريك التاسع ملك السويد . بحملة صليبية على نطاق واسع ضد فنلندا ، وبالإضافة إلى فرض سيطرته العسكرية فإنه طلب ضرورة

(٢) المرجع ٢٥ : ص ١٠٥

(٣) المرجع ٢٥ : ص ١٠٨

تعميد السكان الفنلنديين . وقد صاحب إريك المطران الإنجائزي هنرى ، الذى يبدو أنه بقى هناك بعد عودة الملك إلى وطنه ، بغرض استقرار النظام المسيحى فى فنلندا . وأثناء المقاومة الرثنية المعتادة استشهد هنرى . . وكان تقدم المسيحية بين الفنلنديين بطيئاً جداً . وفى عام ١٢٩١ يمكن القول فقط بأن تحول الإقليم ظاهرياً إلى المسيحية قد بلغ غايته « (٤) .

لقد استغرق تحول فنلندا إلى المسيحية زهاء ١٥٠ عاماً ، بدأت بالعنف والتهر واستمرت كذلك يدعمها النفوذ السويدى إلى أن تم تعيين ماجنوس أول مطران فنلندى فى عام ١٢٩١ .



بروسيا :

« لقد كان يعيش فى جنوب البلطيق وشرقه شعوب الوندال والبروسيين واللوانين ، وعدد من شعوب أخرى ، لم تتحد جميعها إلا على شىء واحد هو تصميمها على ألا تكون مسيحية . إن التبشير بالإنجيل لم يكن أبداً ولا احتاج إلى جهود مضمينة مثلما كان الحال فى هذه المنطقة . .

ومهما كان تمكيننا فى الطريقة التى اتبعت أخيراً ، فإن التاريخ لا يستطيع إنكار أن إضافة هذه المناطق إلى العالم المسيحى كان سببه غزوات الفرسان النيوتونيين لقد سحبت تدريجياً جماعة الفرسان النيوتونيون التابعين لمستشفى القديسة مريم فى أورشليم ، والتى كان قد أسسها عام ١١٩٨ تجار من بريمن وليك لمساعدة المرضى والجرحى فى حصار عكا (أثناء الحروب الصليبية) لكى تستخدم الكنيسة على الجبهة البروسية .

لقد كان المفهوم هو أن هذه الجماعة لديها تفويض بأن تضم إلى ممتلكاتها أى أراض تستولى عليها من الوثنيين ، على شريطة أن تعطى الشعب المغلوب ، التعاليم المسيحية كتفويض له عن فقد أراضيه (١١)

(٤) المرجع ٢٥ : ص ١٠٩

وقد حدث أخيراً ، عندما عين مطارنة لتلك المناطق ، أن عدل البابا المنحة ، حيث جعل الثلثين للغزاة (الفرسان) والثلث للمطارنة .

إن الوثنيين رغم كونهم شجعاناً فقد عجزوا عن الوقوف في وجه فرسان الإمبراطورية المنضبطين . لقد انقضت خمسون عاماً في أعمال الغزو ، وفي نهاية تلك الفترة انتهت المقاومة ، وانضمت بروسيا إلى العالم المسيحي ..

لقد جاءت هنا كل أجهزة التبشير المسيحية في القرون الوسطى لترافق الغزو الحربى . وكأنت بنود المعاهدة (بين الغزاة المبشرين والبروسيين) أبعد ما تكون عن اعتبارها مهذبة أو صورة لنصيحة بالحسنى . لقد برز كل ذلك في صيغة أوامر ، وكانت قوات المراقبة ذات الدرجة العالية من الكفاءة — لكل من الكنيسة والدولة — هناك ، لتؤكد من إطاعة الأوامر بكل دقة .
قد يكون موضع تساؤل : إلى أى مدى كان الاقتناع الداخلى متمشياً مع المظهر الخارجى . لممارسات العقيدة ؟

لكنه سؤال مقلق لا يزال يتعقنا (نحن المسيحيين) منذ حمل شرلمان السيف ليساعد على تنصير السكسون ، بل إنه في الواقع يلاحقنا منذ زمن التعميد بالجملة لكلوفيس ورجاله في عام ٤٩٦ » (٥) .

إن فرض عقيدة دينية على الإنسان قد يكون موضع جدل ، فقد يوجد بين المبشرين بتلك العقيدة من يعتذر لهذا العمل بدعوى إنقاذ ذلك الإنسان من الهلاك . لكن الشيء الذى لا يقبل الجدل هو إكراه الإنسان على شراء مثل تلك العقيدة ، وقيام البائع بفرض ثمن باهظ لها . ويزداد الموقف سوءاً حين يرفع المبشرون بتلك العقيدة المفروضة ، دعوى المحبة والتسامح ، والعطاء وليس الأخذ .



(٥) المرجع ٢٥ : ص ١٠٩ - ١١١

روسيا :

خلفت الأميرة أولجا زوجها في حكم كييف في الفترة ٩٤٥ - ٩٦٤ م ،
« وفي عام ٩٥٧ قررت أولجا الذهاب إلى القسطنطينية لتعتمد على يدي
البطريك .. لكن الامور لم تسر وفق خطط الأميرة ، فقد وجدت عند
عودتها أن نبلاءها لم يكونوا مستعدين بأي حال من الأحوال لاقتفاء أثرها في
الانضمام إلى الكنيسة .

ورغبة في تشديد قبضتها ، فقد سارت أولجا وفق تقاليد عصرها المضطربة ،
فأرسلت سفارة إلى الإمبراطور الغربي أوتو تسأله أن يبعث إليها بمطران .
ولقد أجابها أوتو سريعاً ، إلا أنه حدث قبل وصول رسوله « المطران » إلى
كييف أن تغير الوضع ، إذ قام سفيا توسلاف - ابن أولجا - بالاستيلاء على
السلطة ، وارتمى كلية في أحضان مقاومي المسيحية .

ولقد كانت هناك فترة بدا فيها إمكانية تحول سفيا توسلاف وبلاطه
بالكامل إلى الإسلام ، إذ أنه هزم شعباً من الأتراك المسلمين على ضفاف
نهر الفولجا ، وخلال الفترة التي بقيها بينهم ، فإن أسلوب حياتهم قد اجتذبه
تماماً إليهم . لو أن روسيا تحولت إلى الإسلام لتغير تاريخ العالم تماماً ، إلا
أن الدبلوماسية البيزنطية منعت هذا الخطر (كما يراه الصليبيون والمبشرون
ومنهم ستيفن نيل هذا !) ..

لقد كان في عهد فلاديمير (٩٨٠ - ١٠١٥ م) ابن سفيا توسلاف أن
صارت روسيا مسيحية . وتقص علينا أقدم المصادر الروسية قصة طريفة عن
الطريقة التي أرسل بها فلاديمير مفوضين عنه في شتى الأنحاء ليتحروا حقيقة
الديانات التي يدعو لها جيرانه ، وذلك لكي يعتنق بالنيابة عن شعبه ، تلك
التي يثبت أنها أسمى العقائد . .

ولقد بدت احتفالات الكنيسة الغربية التي شاهدها في ألمانيا بسيطة في
نظرهم . ولكن بعد وصولهم إلى القسطنطينية وجدوا ما كانوا يبحثون عنه ..

إن هذا يبين لنا بشكل واضح التأثيرات المختلفة التي كانت تفعل فعلها آنذاك في بلاط كييف ، وذلك القرار الذي اتخذته الحاكم ليقف تماماً في جانب القسطنطينية « (٦)

وهكذا كان تحول روسيا إلى المسيحية بناء على مشورة جماعة من النظارة ، لم ترهم المشاهد التي رأوها في مسيحية ألمانيا بقدر ما راعتهم تلك التي شاهدوها في مسيحية القسطنطينية بمباهجها المعروفة ، ومن ثم قبلوا مسيحتها التي اعتنقها ذلك الأمير نيابة عن شعبه ، وهم على آثاره مقتدون !



بولندا :

« يبدأ التاريخ المسيحي بالدوق ميسزكا الذي اضطر في عام ٩٦٣ إلى الاعتراف بسيادة الإمبراطور أوتو الأول . ولقد تزوج بسيدة مسيحية هي دوبراوا ، أنحت بولسلاف الثاني دوق بوهيميا . وفي عام ٩٦٦ أو ٩٦٧ يحتمل أن يكون قد وافق على تعميده مسيحياً تحت تأثيرها . وتبع هذا الحادث إنشاء أسقفية في بولندا عام ٩٦٨ . .

وتحت حكم ابن ميسزكا - واسمه بولسلاف - الذي حكم من ٩٩٢ إلى ١٠٢٥ ، فإن بولندا تقدمت كثيراً في القوة السياسية والاستقرار الكنسي . لقد وسع بولسلاف ممتلكاته لدرجة كبيرة ، وجعل بولندا أكبر مملكة في أوروبا الشرقية . .

لكن الأحوال في بولندا كانت دائماً غير مستقرة ، فبعد موت بولسلاف تمزق كل شيء لمدة من الزمن ، ولم يكتمل تحول بولندا إلى المسيحية إلا بعد قرن من الاضطراب ثم إعادة التنظيم « (٧) .



(٦) المرجع ٢٥ : ص ٨٨ - ٨٩

(٧) المرجع ٢٥ : ص ٩٢ - ٩٣

المجر :

« تزوج أميرها جيزا في عام ٩٧٣ أميرة مسيحية هي أولهيد البولندية ، كزوجة ثانية له ، وبعد عامين تعمد مع ابنه الصغير فاجك الذي سمي ستيفن . ومنذ ذلك الموقف فصاعداً ، فإن جيزا عقد العزم على تحويل بلده إلى المسيحية . ولما كان الترغيب لم يأت بنتائج فعالة ، فإنه لجأ إلى وسائل أخرى غير مقبولة ، ومن ثم تضاعفت أعداد المنتصرين بسرعة . وفي عام ٩٩٥ تزوج ستيفن من جيزلا ابنة هنرى الثانى دوق بافاريا ؛ وهكذا سار في فلك العالم الغربى . وخلال حكمه (٩٧٥ - ١٠٣٨) أصبحت المجر بلداً مسيحياً حقاً ..

ومن الطبيعى أن يعقب موت ستيفن حدوث نكسة للمسيحية . . لكنها تجاوزت الأخطار المختلفة التى كانت تهددها . وفي نهاية القرن الحادى عشر قبلت المسيحية بوجه عام باعتبارها الديانة الوطنية للشعب المجرى» (٨) .



إن قصة تحول بلاد شرق أوروبا - وروسيا - إلى المسيحية تماثل نظيرها فى البلاد الأوروبية الأخرى ، إذ تقوم عناصرها الرئيسية على تسخير الدين لخدمة السياسة وتثبيت الحكم بمختلف الوسائل ، وفى مقدمتها إكراه الشعب على اعتناق دين الحاكم . وهى قصة متكررة ، اصطبغت دائماً بالعنف والدموية وأحاييل السياسة وطموح النساء اللاتى كان تأثيرهن عاملاً مشتركاً فى تحول أزواجهن الحكام ، ومن خلفهم عامة الشعب .



(٨) المرجع ٢٥ : ص ٩٣ - ٩٤

الفصل السادس

المسيحية والسيف

كانت النية تتجه إلى أن يكون « المسيحية والسيف » عنواناً للفصل السابق : كيف انتشرت المسيحية في أوروبا، لكنى آثرت التريث إلى ما بعد عرض السبل والأساليب التي استخدمت لإدخال المسيحية في أوروبا ، حتى تكون عناصر الموضوع قد اكتملت ، وظهرت الحقائق ، وتعذلت المفاهيم التي علقنا بعقول مئات الملايين من البشر - مسيحيين وغير مسيحيين - لقرون عديدة ، ولا تزال تعلق بها مفاهيم خاطئة إلى الآن .

وإذا استثنينا أفراداً أو جماعات من مختلف الشعوب والأجناس ، عبر قرون طويلة ، قبلت المسيحية ديناً عن قناعات شخصية ، فما لاشك فيه أن تحول الجموع الكبيرة من الأوربيين إلى المسيحية قد تم تحت رعب السيف ، وطلباً لمكاسب مادية لاعلاقة لها بمملكة السماء وعطاياها الأخروية . ويكفي التذكرة بما فعله شارلمان حين قتل في يوم واحد ٤٥٠٠ إنسان رفضوا التنصير ، ثم ما فعلته البابوية حين فوضت فرسانها بغزو شعوب البلطيق والاستيلاء على أراضيها ثمناً لتقديم المسيحية إليها !



يقول هربرت فيشر : « إن المؤرخ سوف يلاحظ أن تحول أوروبا إلى المسيحية - الذي أعقب العصر البطولي الأول بفقره وحميته - كان مرجعه بالدرجة الأولى إلى الحساب المادي أو الضغط السياسي . إن القوط ، والفرنجة ، والسكسونز، والإسكندنافيين ، لم يقبلوا المسيحية ديناً بصفتهم أفراداً قادمين إليها نورداخلي ، لكنهم قبلوها كشعوب تعرضت لإيعاز على نطاق واسع وتحت توجيه الزعماء السياسيين .

ليس من الممكن إنكار أنه في كل جيل كان هناك متحمسون دينيون لمس قلوبهم الجمال الأخلاقي للفضائل المسيحية ، أو سموا بالتأمل في الطبيعة الإلهية . لكن الجموع الكبيرة من أولئك الذين تجاؤوا من الوثنية إلى المسيحية ، في ظل الإمبراطورية الرومانية ، وفي صدر العصور الوسطى ، لم تؤثر فيهم إلا قليلاً تلك الاعتبارات التي تتعلق بالعتيدة المحضة أو الأخلاقيات ، ولم يتعرضوا لتغييرات قلبية في تحولهم .

ومن المناسب أن نتذكر أن قبول العالم البربري للمعتقدات المسيحية لم ينتج عنه مثل ذلك التحول الفجائي والعميق الذي قد يفهم من كلمة التحول . فمازالت أوروبا مسرحاً لآلام مبرحة ، وشهوات بهيمية ، وخرافات منحطة » (١) .

★

ويتفق المبشر ستيفن نيل مع مآقره المؤرخ هربرت فيشر فيما يتعلق بحقيقة الأوضاع والعوامل التي أدت إلى تحول أوروبا من الوثنية إلى المسيحية ، ومقدار الصدق في ذلك التحول ، إذ يقول : « لامناص من التسليم بأن عمليات التنصير الأولى كانت سطحية جداً ، لكن هذا كان يعقبه في كل مرة فترة طويلة من البناء الذي يجعل العقيدة جزءاً من تراث الشعب . وإن التحالفات السياسية التي غالباً ما زادت المصاهرة قوة ، تشكل جزءاً من الصورة . وكما حدث في حالات كالوفيس (ملك فرنسا) واثلبرت (ملك كنت) فإنه يبدو أن تأثير الملكات المسيحيات قد لعب دوراً بارزاً في عملية التحول إلى المسيحية » (٢) .

أقد سبق أن رأينا المبشر ستيفن نيل وهو يتلمس المعاذير لعمليات التبشير القهرية ، كما حدث في النرويج حين استسلم الشعب لإصرار الملك على تنصيره تحت ظل السيف ، فاعتبر ذلك حلاً ديمقراطياً سعيداً . وهو الآن يلخص وصف عملية تحول أوروبا إلى المسيحية فيقول :

(١) المرجع ٢٤ : ص ١٩٩ - ٢٠٠

(٢) المرجع ٢٥ : ص ٩٠

« لقد كان عملاً طويلاً وبطيئاً ، شاركت فيه كل أنواع الصفات والأفعال ، ابتداءً من الطهارة الخالصة البطولية إلى أن نصل إلى أخطر أنواع الخداع والعنف » (٣) .

لقد كان السيف والعنف وسائل رئيسية لتنصير الشعوب الأوروبية ، وكانت الأطماع السياسية والمكاسب المادية دوافع رئيسية أغرت الملوك والحكام بالسير في هذا السبيل . من أجل ذلك لم يقتصر الأمر على تنصير الوثنيين ، لكنه تعداه إلى اليهود المؤمنين بالله والتوراة وأسفار النبيين . « فرغبة في توحيد إمبراطوريته ، بدأ ليو الثالث تحويل اليهود إلى المسيحية بالقوة ، لكن ذلك (كما يقول ستيفن نيل) يصعب اعتباره عملاً تبشيراً » (٤) .

★ ★

الحروب المسيحية :

إذا كان السيف هو الوسيلة الرئيسية لنشر المسيحية -- وهذه حقيقة تاريخية -- فقد كان كذلك هو الوسيلة الرئيسية لتعامل المسيحية مع العالم غير المسيحي ، كما حدث في الحروب الصليبية مع العالم الإسلامي ، وأخطر من ذلك أن كان السيف هو الوسيلة الوحيدة لتعامل المسيحية مع نفسها ، كما حدث في الحروب الصليبية المحلية بين مختلف القوى المسيحية الأوروبية ، وعلى رأسها قوى البابوات خلفاء المسيح في الأرض . ولتأخذ مثلاً صارخاً مما حدث في الحرب الصليبية الرابعة مع العالم الإسلامي .

لقد بدأت تلك الحروب الصليبية بدعوة من البابا إيريان الثاني عام ١٠٩٥ إلى حكام أورربا وشعوبها بالكف عن الحروب المحلية ، والخروج بدلاً من ذلك لمحاربة العالم الإسلامي والاستيلاء على خيراته . وبعد إعلانه أن المسلمين كفرة تستباح دماؤهم فقد دعا سامعيه إلى تخليص القبر المقدس

(٣) المرجع ٢٥ : ص ١١٢

(٤) المرجع ٢٥ : ص ٨٣

من أيديهم ، مع وعد بغفران الخطايا لقتلى تلك المعارك بمقتضى التفويض
الرباني الممنوح له ! ...

حتى إذا كانت الحملة الصليبية الرابعة ، أعلن البابا أنوسنت الثالث
« علناً عن رغبته في الدعوة إلى حرب صليبية جديدة ، فكتب في سنة ١١٩٩ ..
إلى إيمار - بطريرك بيت المقدس يطلب منه تقريراً مسهباً عن مملكة الفرنج ..
واتخذ أنوسنت خطوة تمهيدية لذلك بأن استهل المفاوضات مع الإمبراطور
البيزنطي الكسيوس الثالث لتوحيد الكنيستين . ويعتبر فولك نيللى ، الرحالة
الذى طالما سعى لإثارة حرب صليبية ، أكبر مبشر للبابا في فرنسا ..
وبناء على طلب البابا أنوسنت الثالث طاف فولك بالبلاد يبحث أهل الريف
على أن يتبعوا سادتهم إلى الحرب المقدسة . .

لم يتيسر تنظيم الحملة في وقت وجيز ، فكان أول ما واجهه (البابا)
من مشاكل هو توفير السفن اللازمة لنقل رجال الحملة إلى الشرق . . وفي
مقابل خمس وثمانين ألف قطعة فضية كلونية يؤديها الصليبيون ، وافقت
البندقية في ٢٨ يونية ١٢٠٢ على أن تمد الحملة الصليبية من الوسائل والمؤن
ما يكفي لمدة سنة . . بشرط أن تحصل البندقية على نصف ما تفتحه الحملة
من البلاد .. غير أن جمهورية البندقية لن تقدم السفن ما لم يتم الدفع فوراً ..

ومن المعروف أن الحرب ظلت سجالات بين جمهورية البندقية وملك
المجر في عشر السنوات الماضية من أجل السيطرة على دالماتيا . وقد انتقلت
منذ زمن قريب مدينتها الرئيسية زارا إلى حوزة المجرين ، فجرى إخطار
الصليبيين بأنهم إذا اشتركوا في حملة تمهيدية لاستعادة زارا ، فسوف تستأنف
الحملة سيرها وتوكل تسوية الديون . . والواقع أنه تم الاتفاق من وراء
ستار بين بونيفاس مونتفيرات (قائد الحملة الصليبية) الذى لم يكن عنده
إلا حظ ضئيل من الورع المسيحى وبين دوج البندقية أنريكو داندولو . .

ولقد كان داندولو مستعداً لأن يناقش مع بونيفاس الخطط التى ترمى
إلى توجيه حملة للمهاجمة القسطنطينية ، غير أنه لا بد فى الوقت الراهن من
المحافظة على ما للحملة الصليبية من مظهر خادع .

ولم تكذب تم الموافقة على شن هجوم على زارا ، حتى جرى قلداس
دينى فى كاتدرائية القديس مرقس بالبندقية ، حيث اتخذ الدوج وكبار
مستشاريه الصليب وسط مظاهرة . .

لم تلبث المدينة (المسيحية) بعد أن تعرضت لهجوم عنيف أن استسلمت..
فاستباحها العساكر ، ثم نشب القتال بعد ثلاثة أيام بين البنادقة والصلبيين
أثناء أقتسام الغنيمة . .

وفى أوائل سنة ١٢٠٣ قدم إلى زارا رسول من ألمانيا من قبل فيليب
(دوق سوابيا) الى بونيفاس ، يحمل إليه عرضاً محدداً من صهره ألكسيوس
(ابن الإمبراطور الخلع المسجون فى القسطنطينية اسحق انجيلوس ، والذى
هرب إلى صهره فيليب فى ألمانيا) بأنه إذا توجهت الحملة الصليبية إلى
القسطنطينية وجعلت ألكسيوس على عرش الإمبراطورية ، فعندئذ يتكفل
ألكسيوس بأن يؤدي للصلبيين مازالوا يدينون به من أموال للبنادقة . . ولما
جرى عرض الاقتراح على الصليبيين لم يخالفه إلا عدد قليل . .

لقد فكر رجال الدنيا بالجيش فى كنوز القسطنطينية وأقاليمها التى
اشتهرت بالرخاء ، وتطلعوا إلى الأمل فى استباحها ونهبها . كما أن بعض
البارونات ومنهم بونيفاس نفسه ، ازداد تطلعهم إلى ما هو أبعد من ذلك ،
ولعلمهم قدروا أن ما يقع على شواطئ بحر إيجه من الضياع تفوق فى استهوائهم
كل ما يصح أن يصادفوه منها فى بلاد الشام التى حلت بها الأضرار .
فما كان الغرب (المسيحى) يكتفه منذ زمن طويل من كراهية للعالم المسيحى
فى الشرق ، هياً لداندولو وبونيفاس الفرصة لأن يحملوا الرأى العام على
مسانلتهم . .

اكتفى البابا بأن أصدر أمراً بأنه ينبغى ألا يجرى الاعتداء على مسيحيين
آخرين إلا إذا كانوا فعلاً يعوقون الحرب المقدسة .

كان خيراً له فى المدى البعيد أن يعلن رفضه صراحة وبصفة قاطعة . .
أما اليونانيون الذين كانوا دائماً يرتابون فى نوايا البابا ويجهلون تعقيدات

السياسة الغربية ، فإنه تراءى لهم أن ما أصدره البابا من قرار حرمان هزيل يعتبر دليلاً على أنه كان وراء المؤامرة . .

وصلى ألكسيوس إلى زارا قادماً من ألمانيا ، وبعد بضعة أيام أفلعت الحملة بعد أن توقفت فترة من الزمن في دورازو حيث تم الاعتراف بألكسيوس (الرابع) إمبراطوراً . . (وبعد هروب الإمبراطور ألكسيوس الثالث من القسطنطينية) جرت مراسم الصلاة بكنيسة القديسة صوفيا . . ثم تتويج ألكسيوس الرابع قسماً لأبيه الإمبراطور .

ولقد ضاق سكان المدينة (القسطنطينية) ذرعاً بمنظر فرسان الفرنج المتغطسين يجرسون بنحو لهم شوارع مدينتهم ، وتوقفت الحركة التجارية ، ودأبت جماعة من عساكر الغرب السكارى على نهب القرى وضواحي المدينة . . وأتى حريق مروع على حى بأكملها بالمدينة حينما عمد بعض الفرنسيين بدافع التقوى (١١ . .) إلى إشعال الحريق بمسجد يؤمه التجار المسلمون القادمون إلى المدينة . .

قدم وفد من الصليبيين في فبراير ١٢٠٤ . . وطلب من ألكسيوس الرابع المبادرة إلى الوفاء بوعوده ، فلم يسعه إلا الاعتراف بعهده . . فاندفع الرعاع إلى كنيسة القديسة صوفيا ، وأعلنوا بها عزل ألكسيوس الرابع . . الذى جرى إلقاؤه في السجن حيث لقي مصرعه . . ولم تمض إلا بضعة أيام حتى توفى والده اسحق كمدأ وحزناً . . فتولى العرش مورتسوفلوس واتخذ اسم ألكسيوس الخامس . . غير أن الثورات استمرت . . وكان أول هجوم شنه الصليبيون في ٦ أبريل ارتد على أعقابهم ، وتكبد الصليبيون فيه خسائر فادحة . ثم عاود الصليبيون هجومهم فاشتد القتال على القرن الذهبى . . وتدفق على المدينة الفرنج والبنادقة ، وهرب مورتسوفلوس وزوجته . . واستقر الدوج وكبار الصليبيين في القصر الكبير ، وجرى إخطار عساكرهم بأن لهم أن يستأجروا المدينة ثلاثة أيام » (٥) .

★

(٥) المرجع ٢ : ج ٣ - ص ١٩٥-٢٢٢

لقد رأينا في هذه العجالة التي عرضناها عن الحرب الصليبية الرابعة ، كيف كانت الصفة مع البندقية عملاً استعماريًا فاضحاً تحصل بمقتضاه على نصف الأراضي التي يفتحها الصليبيون . وإذا جاز للصليبيين أن يتلوعوا ذلك الطعم المهلك باعتبارها تخريباً في بلاد إسلامية نعمتها البايا بالكفر ، فما لا يمكن قبوله وفق جميع المتماييس أن تعتبر الحرب بين البندقية والمجر حرباً صليبية ، يقام لها قداس ويحمل فيها الصليب ويستبجح فيها المسيحيون مدينة زارا المسيحية للسلب والنهب ، ثم لا تلبث تلك الوحوش الضارية المتحالفة من الصليبيين والبنادقة — أن تقتتل عند اقتسام الغنائم .

حتى إذا جاءت فكرة غزو القسطنطينية ، داعب خيال الصليبيين تلك المغنم الكبيرة التي يجنيها الغرب المسيحي الكاثوليكي من الشرق المسيحي الأرثوذكسي ، فسارعوا إلى تنفيذها لعداء متأصل بين إخوة العقيدة المسيحية .

أما الآن وقد سقطت القسطنطينية ، التي كانت توصف بأنها زينة الممالك الدنيوية ، فإذا فعل بها الصليبيون ؟

إن هذا ما يحدثنا عنه ستيفن رنسيان إجمالاً ، فيصفه بأنه عمل متوحش ليس له نظير في التاريخ . ثم يعرضه علينا مفصلاً بقوله :

« لقد ظلت المدينة العظيمة تسعة قرون عاصمة للمدينة المسيحية ، فزخرت بما تخلف عن بلاد اليونان القديمة من الأعمال الفنية ، وحفلت بما أجراه صناعها المهرة من الروائع . والواقع أن البنادقة أدركوا قيمة هذه الأشياء ، فاستولوا كلها استطاعوا إلى ذلك سبيلاً على الكنوز ونقلوها إلى مدينتهم ، فزينوا بها الميادين والكنائس والقصور .

أما الفرنسيون والفلامنكيون فتسلطت عليهم الشهوة للتدمير ، فاندفعوا كالرعاع المسعورة يجوبون الشوارع ويغشون الدور ، ينزعون كل ما يتلأأ ويلمع ، ويدمرون كل ما لم يستطيعون حمله . ولم يترثوا إلا لكي يقتلوا أو ينهبوا أو يقتحموا مستودعات النبيذ لينتشوا منها . ولم يفلت من

التخريب الأديرة والكنائس والمكتبات ، بل حدث في كنيسة القديسة صوفيا ذاتها أن جرت مشاهدة العساكر السكارى يمزقون الستائر الحريرية ، ويحطمون الأواني الفضية الكبيرة ، ويدوسون بأقدامهم الكتب المقدسة والأيقونات .

وبينما كانوا يتبادلون الشراب في أواني المذبح مبهجين ، تربعت عاهرة على كرسي البطريرك وأخذت تردد أغنية فرنسية بديئة . وتعرضت الراهبات للاغتصاب في أديرتهم . ولم تجر التفرقة بين القصور والأكواخ فيما تعرضت له من الهجوم والتدمير . وأخذ الجرحى من النساء والأطفال يلفظون أنفاسهم في الشوارع . وظلت مناظر النهب وسفك الدماء المريعة مستمرة ثلاثة أيام ، حتى أضحت المدينة الضخمة الجميلة شبيهة بسوق اللحوم . وهتف المؤرخ نكتياس في صدق : إن المسلمين أكثر رحمة منهم .

أدرك اللاتين آخر الأمر أن هذا التدمير لم يكن في صالح أحد من الناس ، ولم يعد الأمر إلى نصابه إلا حينما أرهقهم سوء استخدام الحرية . فكل من سرق تحفة ثمينة أرغم على أن يتنازل عنها لنبلاء الفرنج ، وتعرضت عشاء الحظ من السكان للتشكيل والتعذيب حتى يكشفوا عن السلع التي عمدوا إلى إخفائها . وعلى الرغم من أن قدرأ كبيراً من الغنيمة تعرض للدمار فإن كميتها مازالت بالغة الضخامة .

وتقرر تقسيم كل هذه الغنيمة وفقاً لأحكام المعاهدة بأن صار للصليبيين ثلاثة أثمانها ، وللبنادقة ثلاثة أثمانها ، بينما صار الربع من نصيب الإمبراطور المقبل . وفي ١٦ مايو سنة ١٢٠٤ جرى الاحتفال بتتويج بلدوين (إمبراطوراً صليبياً) في كنيسة القديسة صوفيا . إن الفاتحين المظفرين (الصليبيين) لم يتبينوا في غمرة فرحتهم سنة ١٢٠٤ ما ترتب على حملتهم من نتائج جوفاء ، كما أن معاصريهم بهرهم أيضاً الفتح .

إذ حدث أول الأمر أن عم الفرخ والسرور أنحاء العالم اللاتيني (المسيحي الغربي) ، ومع ذلك تساءل الشاعر الكولوني الساخر جيوه دي بروفنس

في قصائده لماذا أجاز البابا توجيه حملة صليبية لقتال المسيحيين ٠٠ على أن هؤلاء المخالفين كانوا قلة نادرة ٠

فهما كانت المخافات التي أحس بها البابا أنوسنت الثالث من تحول الحملة الصليبية إلى القسطنطينية ، فإنه كان أول الأمر مبتهماً . ففى رده على رسالة تقيض فرحاً وسروراً نلقاها من الإمبراطور بلديون يتباهى فيها بالنتائج العظيمة القيمة للمعجزة التي صنعها الله ، كتب أنوسنت أنه يطرب لما صنعه الله ، وأعلن موافقته دون تحفظ ٠

وذاع في أنحاء الغرب أغاني المدح ، وبلغ الحماس أشده حينما أخذت الخلفات الدينية القيمة تصل إلى فرنسا وبلجيكا ٠ وجرى إنشاد الترانيم احتفالاً بسقوط المدينة الضخمة الملحدة القسطنطينية « (٦) » ٠

★

وهكذا : ظل السيف يعمل مع المسيحية ٠٠٠
فقد كان أداها الرئيسية في الذبوع والانتشار ، كما بقى أداها الرئيسية في التسلط والقهر وتحقيق المكاسب الدنيوية باسم المسيح ٠
والمسيح من كل ذلك براء ٠٠٠

لقد صدق الفنان الذي رسم غلاف المرجع الهام : « تاريخ إرساليات التبشير المسيحية » مع نفسه ومع الحقيقة ، حين رمز لمحمل ذلك العمل ، بنصل سيف ينتهى بصليب ٠ فتلك هى الحقيقة التي لا مفر من التسليم بها ٠ وإذا كان المسيح قد أعلن أن من قال لأخيه « يا أحق ، يكون مستوجب نار جهنم » فن باب أولى أن يكون كل الذين حملوا السيف باسم المسيح وقتلوا ونهبوا — ولا يزالون — قد استوجبوا بحق : « جهنم يصلونها ، وبئس التوار » ٠ (ابراهيم : ٢٩)

★★★

(٦) المرجع ٢ : ج ٣ - ص ٢٢٢-٢٣٠

الباب الثالث

حقيقة التبشير المسيحي

- المفاهيم التبشيرية الخاطئة
- عطاء التبشير : لقيصر أم لله !؟

الفصل السابع

المفاهيم التبشيرية الخاطئة

يقوم العمل التبشيري على مفاهيم ومعتقدات ، تحدثنا عن بعضها في الفصول السابقة - ولذا نذكرها الآن باختصار - كما نتحدث عن بقيتها في هذا الفصل، ومن ثم نتبين حقيقة هذه المفاهيم التي تعتبر ركائز للعمل التبشيري:

★ ★

المفهوم الأول - تبشير العالم فرض على المسيحيين :

يستند هذا المفهوم إلى ما جاء في خاتمة إنجيل مرقس - أقدم الأناجيل - التي تقول : « اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها - مرقس ١٦ : ١٥ » . ولما كان قد تبين (١) أن الأعداد الأخيرة من إنجيل مرقس (من ٩ إلى ٢٠) يعتبرها علماء المسيحية دخيلة على الإنجيل الأصلي لمركس ، ولم تقبل به إلا بعد أكثر من ١٠٠ سنة بعد كتابته ، وأن كاتبها غير معروف ألينة ، وأن هذا ماقررته التراجم الحديثة للكتاب المقدس ، ومنها الترجمة الإنجليزية (R.S.V.) ، وكذلك الترجمة الفرنسية الحديثة للكتاب المقدس (T.O.B.) والتي تقول : « طبقة لأفضل النسخ فإن إنجيل مرقس ينتهى هنا » - أى عند العدد ٨ ، من ذلك يتضح أن العدد ١٥ - الذى يقع في هذا الجزء الدخيل - لا يمكن اعتباره أساساً شرعياً لفرض تبشير العالم على المسيحيين .

ولما كان كل من متى ولوقا قد استخدم إنجيل مرقس أساساً لإنجيله ، فإن ما جاء بنهاياتها خاصاً بتبشير العالم (متى ٢٨ : ١٩ ، ولوقا ٢٤ : ٤٧) لا يصلح أساساً لنفس الغرض .

(١) راجع الفصل الأول : ص ١٧

وإذا نحينا ذلك كله جانباً ، فكيف يتوافق هذا المفهوم مع ما تقوله الأناجيل عن عودة المسيح ثانية إلى الأرض ، وخاصة قبل أن يكمل تلاميذه الاثنا عشر (وفيهم يهوذا !!) التبشير في مدن إسرائيل . فقد قال متى على لسان المسيح لتلاميذه : « إني الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان - متى ١٠ : ٢٣ » . إن هذا يعني بوضوح أنه لا مكان لأي حديث عن تبشير العالم .

هذا - ولقد شهد عام ١٩٦٧ قمة التوتر في علاقات المسلمين بالمسيحيين في أندونيسيا ، وذلك بسبب تفاقم المحاولات الكثيرة التي يقوم بها المسيحيون لتنصير المسلمين ، ثم ردود الفعل التي تصل أحياناً إلى حد العنف من قبل المسلمين ضد التبشير ومؤسساته . لذلك رأت الحكومة الأندونيسية ضرورة الإسراع إلى عقد اجتماع بين ممثلي الطوائف الدينية ، للتشاور وتبادل الآراء في أسباب تدهور العلاقات بين المسلمين والمسيحيين واقترح أفضل الحلول لتحسينها . ولذلك عقد مؤتمر الأديان في أندونيسيا (نوفمبر ١٩٦٧) ، وجرت مناقشة اقترح جاء في الكلمة الافتتاحية التي ألقاها الجنرال سوهارتو - رئيس الجمهورية بالوكالة آنذاك - والذي يتلخص في :

(١) الامتناع عن ممارسة التبشير تجاه أحد الأديان المعترف بها في أندونيسيا ، وخاصة إذا كانت هذه الممارسة تتسم بشبهة من القسر أو الإكراه وباستخدام وسائل الإغراء والإغواء أمام العوز والفاقة والحاجة .
(ب) إذا كان ولا بد من الاستمرار في التبشير فليوجه إلى المجتمعات البدائية التي لاتزال تعجج بها المناطق الداخلية في كاليمنتان وإيربان .

وقد رفض النصارى - بروتستانت وكاثوليك - ذلك الاقتراح ، وكانت حججهم ماقاله أحدهم وهو الدكتور تامبونان : « إننا معشر المسيحيين مقيدون بأوامر الله التي أذكر منها : اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل لخلق كلها - مرقس ١٦ : ١٥ » (وقالوا) إننا

(٢) المرجع ١٢ : ص ٥٢ ، ٥٤

لانستطيع أن نحل أنفسنا من تبعة واجب القيام بالأمر الإلهي الذي يأمرنا بأن ننشر الإنجيل في كافة أنحاء المعمورة» (٢) .

وهكذا تحطمت سفينة المفاوضات لإقرار السلام بين طوائف الشعب الأندونيسي على صخرة ذلك الأمر الرباني ، الذي كان أجدر بأولئك الذين تعصبوا به أن يبحثوا حقيقة مصدره ، وما إذا كان أصيلاً في تعاليم المسيح ، أم أنه ألحق بها مؤخرآ ، فأعطى ذلك المفهوم الخاطيء الذي يعكر السلام دائماً بين المسلمين والمسيحيين .

★

المفهوم الثاني - الدعوة إلى التثليث :

تقول خاتمة إنجيل متى : « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس - متى ٢٨ : ٢٩ » . ولقد بينا سلفاً (٣) أن هذه الفقرة مشكوك فيها ولا يعرف عنها تلاميذ المسيح شيئاً - ولا بولس - وقد كان بطرس شيخ التلاميذ ، يعمد باسم المسيح فقط : « فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح - أعمال الرسل ٢ : ٣٨ » .

ومن المعلوم « أن أرازموس حين طبع العهد الجديد الإغريقي ونشره عام ١٥١٦ ، قد حذف منه أقوى نص للتثليث : كما في ١ - يوحنا ٥ : ٧ ، ولقد أشار لوثر إلى التثليث على أنه تعبير يفتقد القوة ، وأنه تعبير لم يوجد في الأسفار » (٤) .

ويقول كتاب « هل الكتاب المقدس حقاً كلمة الله » ؟ الذي طبع في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٩ (٥) ثم في بيروت بالعربية عام ١٩٧١ ، ويوزع بين المسلمين ككتاب تبشيري ، في صفحة ١٦٠ منه ، وهو يتحدث عن الترجمات المختلفة المتلاحقة التي من شأنها تنقية الكتاب

(٣) راجع الفصل الأول : ص ١٨

(٤) المرجع ٨ : ص ٣٥

المقدس مما يكون قد علق به من أخطاء نتيجة قصور الترجمات السابقة ،
فيقول ما أنقله حرفياً :

« بمقارنة أعداد كبيرة من المخطوطات القديمة باعتماد ، يتمكن العلماء
من اقتلاع أية أخطاء ربما تسلت إليها . مثلاً على ذلك ، الإدخال الزائف
في يوحنا الأولى الإصحاح الخامس . فالجزء الأخير من العدد ٧ والجزء
الأول من العدد ٨ يقول ، حسب الترجمة البروتستنتية العربية ، طبع
الأميركان في بيروت (ونقرأ في الترجمة اليسوعية العربية شيئاً ماثلاً) :
« في السماء ٠٠٠ الآب والكاامة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد .
والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة ٠ » ولكن ، طوال القرون الثلاثة
عشر الأولى للميلاد ، لم تشتمل أية مخطوطة يونانية على هذه الكلمات .
وترجمة حريصا العربية تحذف هذه الكلمات كلياً من المتن . والترجمة
البروتستنتية العربية ذات الشواهد تضعها بين هلالين ، موضحة في المقدمة
أنه « ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها » . وهكذا تساعدنا
الترجمات العصرية للكتاب المقدس على الوصول إلى المعنى الصحيح
لما نقرأه » .

ونذهب الآن لدراسة النصوص والترجمات المختلفة لهذه النقرة من
رسالة يوحنا الأولى ، فنجد الآتي :

١ - تقول الترجمة الانجليزية « المعتمدة » للكتاب المقدس
« Authorized Version » المعروفة باسم نسخة الملك جيمس والتي نشرت أول
مرة في عام ١٦١١ م ، في نصوص هذه النقرة المشبوهة (الإصحاح الخامس :
عدد ٦ ، ٧ ، ٨) :

6 — « This is he that came by water and blood, even Jesus Christ ;
not by water only, but by water and blood. And it is the
Spirit that beareth witness, because the Spirit is truth.

7 — For there are three that bear record in heaven, the Father,
the Word, and the Holy Ghost : and these three are one.

8 — And there are three that bear witness in earth, the spirit, and the water, and the blood : and these three agree in one».

وتقول ترجمتها العربية المعتمدة والمعروفة باسم نسخة البروتستانت :

« ٦ — هذا هو الذى أتى بماء ودم يسوع المسيح . لا بالماء فقط بل بماء والدم . والروح هو الذى يشهد لأن الروح هو الحق .

٧ — فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الآب والكاية والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد .

٨ — والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم فى الواحد » .

٢ — وتقول الترجمة الإنجليزية الحديثة المعروفة باسم « النسخة القياسية المراجعة » للكتاب المقدس « Revised Standard Version » — والتي نشرت لأول مرة فى عام ١٩٥٢ ، ثم توالى طبعتها — فى نصوص تلك الفقرة :

«6 — «This is he who came by water and blood, Jesus Christ, not with the water only but with the water and the blood.

7 — And the Spirit is the witness, because the Spirit is the truth.

8 — There are three witnesses, the Spirit, the water, and the blood ; and these three agree».

وهذه يمكن ترجمتها لتكون أقرب ما يمكن للترجمة العربية المناظرة لها فى نسخة الملك جيمس ، كالتالى :

« ٦ — هذا هو الذى أتى بماء ودم يسوع المسيح . لا بالماء فقط بل بالماء والدم .

٧ — والروح هو الشاهد لأن الروح هو الحق .

٨ — يوجد ثلاثة شهود : الروح والماء والدم . وهؤلاء الثلاثة متفقون ».

من ذلك يتبين بوضوح أن نص العدد ٧ في نسخة الملك جيمس ، الذي يتكلم عن شهود السماء « الآب والكلمة والروح القدس » ويقرر أن « الثلاثة هم واحد » ، إنما هو نص مزور ، أدخل ظلماً بين النصوص الأصلية للأعداد ٦، ٧، ٨ — واستمر يعطى الأساس الوحيد لعقيدة التثليث عبر القرون ، إلى أن استيقظت الضمائر أخيراً ، فتم حذفه في محاولة متأخرة جداً لإصلاح ما فات ، بعد أن هلكت ملايين وملايين من البشر ، وهى تؤمن به نصاً مقاساً في كتابها المقدس ...

٣ — كذلك نقرأ في الترجمة الفرنسية الحديثة للكتاب المقدس (T.O.B.) — نص الأعداد ٦، ٧، ٨ المشار إليها من الإصحاح الخامس من رسالة يوحنا الأولى ، ما يلى :

“6 — C'est lui qui est venu par l'eau et par le sang, Jésus Christ, non avec l'eau seulement, mais avec l'eau et le sang ; et c'est l'Esprit qui rend témoignage, parce que l'Esprit est la vérité.

7 — C'est qu'ils sont trois à rendre témoignage,

8 — L'Esprit, l'eau et le sang, et ces trois convergent dans l'unique témoignage».

ويمكن ترجمتها كالتالى ، لتكون أقرب ما يمكن لترجمة البروتستانت :

« ٦ — هذا هو الذى أتى بالماء والدم ، يسوع المسيح ، لا بالماء فقط ، بل بالماء والدم . والروح هو الذى يشهد ، لأن الروح هو الحق .

٧ — والذين هم ثلاثة يشهدون ،

٨ — الروح والماء والدم ، وهؤلاء الثلاثة متجمعون فى الشهادة الفريدة».

وبذلك يكون العدد ٧ فى هذه الترجمة الفرنسية مغاير تماماً لنظيره فى ترجمة البروتستانت الشائعة الاستخدام ، إذ أنه فى الترجمة الفرنسية خال تماماً من صيغة التثليث المعروفة « الآب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد .. من كل ما سبق يتبين بوضوح أن صيغة التثليث تمثل المفهوم الثانى الخاطىء من مفاهيم التبشير .

وبعد .. ماذا أيها الناس .. ١٢٠

إننا في الواقع الذي لامفر من التماسيم به — أمام واحدة من أخطر
عمايات التزوير في تاريخ العقائد على الإطلاق ٠٠٠ إن خطورتها تكمن
في تزوير عقائد الناس التي تحدد مصائرهم الأبدية ٠٠٠

ولا يسعفنا في هذا المقام سوى ما ينبئنا به القرآن الكريم من أمر هؤلاء
القوم ، في الدنيا والآخرة .

يقول القرآن الكريم في ذلك الصنف المزور الذي استحفظ على كتاب
الله فلم يحفظه :

« وإن منهم لفرقة يلون ألستهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب ،
وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ،
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » . (آل عمران : ٧٨)

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقوون هذا من عند الله ،
ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويل لهم مما يكسبون » *
(البقرة : ٧٩)

« وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب : لتبيننه للناس ولا تكتمونه ،
فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، فبئس ما يشترون » *
(آل عمران : ١٨٧)

ويقول القرآن الكريم للذين ورثوا أولئكم المذورين ، وصدقوا تراثهم
وعاشوا حياتهم يدافعون عنه :

« قل : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ، ولا تاتبعوا أهواء
قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل » *
(المائدة : ٧٧)

« يا أهل الكتاب : قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون
من الكتاب ، ويعفوا عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » *

يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى
النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

(المائدة : ١٥-١٦)

حقاً ... « ومن أصدق من الله حديثاً » . (النساء : ٨٧)

المفهوم الثالث — المسيحية دين المحبة الأوحيد :

يقول الإنجيل على لسان المسيح في موعظة الجبل : « سمعتم أنه قيل
عين بعين وسن بسن . وأما أنا فأقول لكم : لاتقاوموا الشر . بل من لطمك
على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ
ثوبك فاترك له الرداء أيضاً . ومن سخرك ميلا واحداً . فاذهب معه اثنين .
من سألك فأعطه . ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده . سمعتم أنه قيل تحب
قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم . باركوا
لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم
ويطردونكم .. لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم . أليس العشارون
أيضاً يفعلون ذلك . وإن سلمتم على إخوانكم فقط فأى فضل تصنعون .
أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا .

فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل —
متى ٥ : ٣٨ — ٤٨ .

إن هذه التعاليم الأخلاقية الفاضلة يمكن تلخيصها في أربعة مبادئ هي :

الاستسلام للشر — والمحبة المطلقة — والبذل والسخاء — ومقابلة
الإساءة بالإحسان .

وإذا صرفنا النظر عما يكون عليه الحال في مجتمع — صغراً أو كبير —
وقد ظهر فيه الشر ولم يجد من يقاومه ، إذ أن الشر موجود من قبل
خلق آدم ، فقد قال الكتاب المقدس إن الشجرة التي حرمت على آدم

كانت تسمى : « شجرة معرفة الخير والشر » - ثم انتقلنا إلى المبدأ الثاني ، وهو المحبة المطلقة لوجدنا أن السماء لو طبقت لانتفت بذلك حقيقة الدينونة وعقاب الآخرة الذى ينتظر الخطاة ، وهو الذى طالما حذر منه المسيح فى مثل قوله : « إن أعثرتك عينك فاقلعها . خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح فى جهنم النار . حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ - مرقس ٩ : ٤٧-٤٨ . »

إن الإنسان حين يخطئ ويستمر فى خطيئته فإنه يفقد حب السماء ويتحول إلى عدو لها ، ولذلك يلقى العذاب الأليم .

على أن هناك أقوالاً أخرى نسبها الإنجيل للمسيح ، يتمنى فيها لو احترقت الأرض وتأججت ناراً ، لأنه ما جاء للسلام - كما ظن الأنباغ والمريدون - ولكنه جاء للفرقة والانقسام والقتل بالسيف ، كما قال هو ، أو بالأحرى كما قال على لسانه كتيبة الأناجيل : « جئت لألقى ناراً على الأرض . فإذا أريد لو اضطرمت . أتظنون أنى جئت لأعطي سلاماً على الأرض ؟ كلا .. أقول لكم : بل انقساماً . لأنه يكون من الآن خمسة فى بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة ينقسم الأب على الابن والابن على الأب . والأم على البنت والبنت على الأم . والحياة على كبتها والكعبة على حمايتها - لوقا ١٢ : ٤٩-٥٣ . »

ويقول متى فى مثل هذا القول على لسان المسيح :

« لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض . ما جئت لألقى سلاماً ، بل سيفاً . فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والإبنة ضد أمها والكعبة ضد حمايتها . وأعداء الإنسان أهل بيته - متى ١٠ : ٣٤ - ٣٦ . »

وفى تعليم للمسيح عن الإنسان الذى يخطئ لأخيه فى العقيدة ، ثم يصير على موقفه رغم العتاب والشهود وموعظة الكنيسة ، فليكن ذلك الإنسان المخطئ عند أخيه بعد ذلك كما وثئى :

« إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما ، إن سمع منك فقد رجحت أخاك . وإن لم يسمع فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة . وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة ، وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار - متى ١٨ : ١٥-١٧ .

فكيف تتفق هذه الأقوال مع ما يقال عن المحبة المطلقة ، وهي الرداء الذي يستتر به التبشير حين يقدم المسيحية للناس ، ويظن أنه يقدم لهم بمجديته عن المحبة شيئاً فريداً ، افتقده الأولون والآخرون ١؟

ومن الجدير بالذكر أن تعاليم المسيح هذه التي أوصلت ذلك الإنسان الخطيء ليكون بالنسبة لأخيه كالوثني ، قد وجد لها العلماء نظيراً في تعاليم طائفة الأسينيين التي كشفت عنها « وثائق البحر الميت » ، والتي قيل إن المسيح أمضى سنواته المفقودة في الإنجيل - فترة العمر من ١٢ إلى ٣٠ سنة - تلميذاً فيها .

إلا أن تعاليم الأسينيين لم تصل بذلك الخطيء المعاند ليكون بالنسبة لأخيه كالوثني . فهذه التعاليم تقول :

« لا يتحدث الواحد لأخيه بغضب ، أو يشتكيه بتذمر ، أو بكبرياء متصلب ، أو بروح شريرة . ولا يبغضه من قلبه ، رغم أنه قد يبكره آنذاك ، لكي يجلب على نفسه ذنباً بسببه .

بالحقيقة (أقول) لا يقيم إنسان دعوى ضد صاحبه أمام الطائفة ، لم تكن قد عرضت قبل ذلك للتوبيخ أمام شهود » (٦) .



ولكن - هل كانت المسيحية فريدة في دعوتها لهذا النوع من الحب ؟
إن نظرة على تعاليم بعض قدامى حكماء الصين ، تعطينا الإجابة على هذا السؤال .

John Allegro : THE DEAD SEA SCROLLS, (٦)
Penguin Books, 1964, p. 163.

يقول لن يوتانج : « بين كل الفلاسفة الصينيين يأتي موتسى أقرب ما يكون إلى التعاليم المسيحية ، لأنه الوحيد الذى علم أن الحب العالمى هو أساس بناء المجتمع والسلام ، وبين أن السماء أحبت الناس دون تفرقة ، وأكد على الاعتقاد فى وجود الأرواح .

ولقد قيل إن بعض المبشرين شعروا بالفزع ، بدلا من الشعور بالثقة ، حين وجدوا أن عقائد : حب الله ، والحب العالمى ، كانت معروفة من قبل لدى الصينيين . لقد كان ذلك بالنسبة لهم مثبتاً لا عزيمة ، فكان مثلاً لهم من غامر ليصل إلى القطب الجنوبي ، فإذا به حين يصل يجد شخصاً ما قد سبقه إلى هناك .

إن الإنسان ذو الأفق الواسع ، يجب أن يكون على العكس من ذلك ، فيشعر بالرضا لأنه يدرك أن ما هو حق فإن العقل البشرى يستطيع اكتشافه . لقد كان الواجب أن يحز فى قلوبهم ما وجدوه من أن الصينيين كأمة ، قد لفظوا تلك العقيدة ، بعد أن كان لها تأثيرات هائلة .

لقد قام موتسى بثورة ضد الكونفوشية . فهو قد عاش من عام ٤٦٨ ق . م (أو عام ٤٤١) إلى عام ٤٠١ ق . م (أو عام ٣٧٦) فجاء بذلك بعد قرن تقريباً من كونفوشيوس ، وبما أن هذا الأخير قد مات عام ٤٧٩ ق . م ، فيمكن القول بأن موتسى قد ولد فى الجيل الذى كانت تنتشر فيه الكونفوشية .

لقد كانت تعاليم موتسى دعوة شديدة من أجل العمل ، وخلافاً للمدارس الفلسفية الأخرى ، فقد كان لها طابعاً تبشيراً .

لقد أشار إليه منسيوس بأنه شخص مستعد أن يفقد رأسه ورجليه من أجل مصلحة العالم . فلقد علم الإيثار والتقشف والعيشة الجافة ، ومارسها فى حياته .

وقال شو أنجيسى إن أتباعه لبسوا الثياب الخشنة ، ومشوا فى صنادل ، وعاشوا ليلهم ونهارهم عيشة قاسية .

ويخبرنا هيو أنانتسى أن تلاميذه مستعدون للسير في النار ، والمشي على السكاكين ، والموت دون أقل تردد .

لقد عظم تأثيره ، لدرجة أنه بعد قرنين من كونفوشيوس ، صار الموتسنيين (أتباع موتسى) منافسين للكونفوشيين . وفي الواقع أن الموتسية صارت عقيدة ثابتة الأركان « (٧) » .



يقول موتسى في تعاليمه :

« لا يوجد ما هو أفضل من اتباع تعاليم السماء .

إن السماء تقبل الكل ، وهى لا تحبى في عطائها ، وبركاتهما وفيرة ، ورعايتهما مستمرة ، وهى لا تكل أبداً .

وعندما قبل الملوك الحكماء تعاليم السماء كشرية لهم ، فلنهم اتخذوها مقياساً لكل أعمالهم . فما رغبت فيه السماء فقد عملوه ، وما رغبت عنه السماء فلنهم اجتنبوه .

والآن : ما الذى تريده السماء ، وما الذى نبغضه ؟

من المؤكد أن السماء ترغب في أن يحب وينفع البشر الواحد منهم الآخر . وهى تبغض أن يكره ويؤذى البشر الواحد منهم الآخر .

إن كل دول العالم ، كبيرها وصغيرها ، كلها مدن السماء .

وكل الشعب : الشاب والعجوز ، العظيم والحقير ، هم رعاياها . .

وبناء عليه ، فإن أولئك الذين يحبون الآخرين وينفعونهم سوف تباركهم السماء ، وطوبى لهم . وأما أولئك الذين يكرهون الآخرين ويؤذونهم ، فلسوف تلعنهم السماء . « (٨) »

(٧) المرجع ٢٧ : ص ٢٤٣ - ٢٤٤

(٨) المرجع ٢٧ : ص ٢٤٧

ويتحدث موسى في تعاليمه عن الحب العالمي الذي يجب أن يسود للبشر ،
وبرهن على أن ذلك في مصلحتهم جميعاً ، فيقول :

« ما هو السبيل إلى الحب العالمي والمساعدة المتبادلة ؟

إنه يكمن في اعتبار الإنسان أن دولة الآخرين هي دولته ، وأن منازل
الآخرين هي منزله ، وأن أشخاص الآخرين هي شخصه .
وعندما يجب الكبراء الواحد منهم الآخر ، فلن تكون هناك حروب
بعد ذلك . .

وعندما يجب الأفراد الواحد منهم الآخر ، فلن يكون هناك أذى بعد ذلك.

وعندما يجب كل الناس في العالم بعضهم بعضاً ، فعندئذ نجد أن القوى
لا يطغى على الضعيف ، وأن الأغلبية لا تضطهد الأقلية ، وأن الأغنياء
لا يسخرون من الفقراء ، وأن الأشراف لا تزدرى الحقراء ، وأن الحبشاء
لا يخذعون البسطاء . وبهذا تمنع المصائب والحصام والشكاوى والكراهية» (٩)

وبعد أن بين موسى أن سيادة الحب العالمي بين البشر فيه منفعتهم ،
فإنه دعا البشر كلهم إلى حب السماء ، التي نظمت كل شيء في الحياة ،
وعملت ما لا يحصى من أجل منفعة الإنسان وامتعته . ومع ذلك فإن البشر عن
ذلك غافلون ، ولا يدرون أن ذلك السلوك من جانبهم إنما يعني افتقاد
الشهامة لديهم وسوء الحظ لهم . فهو يقول :

« إن السماء تحب العالم كله ، لقد جعل كل شيء من أجل مصلحة
الإنسان ، حتى طرف الشعرة إنما هو من عمل السماء ، كثيرة تلك المزايا
الكبيرة التي يتمتع بها الإنسان ، ومع ذلك فإنه لا يؤدي خدمات في
مقابل ذلك . .

(٩) المرجع ٢٧ : ص ٢٥٣

لنفرض أن هناك رجلاً مولعاً تماماً بابنه ، وقد استنفد كل مجهوداته من أجل منفعته . ولكن عندما يكبر الابن فإنه لا يرد لأبيه حباً . إن نبلاء العالم سوف يدعونه خسيساً ، سيء الحظ . « (١٠) »

وهذا هو موقف البشر من السماء .

لقد دعا موسى إلى الحب العالمى الذى يربط بين البشر بعضهم ببعض ، كما يربط بينهم فرادى وجماعات وبين السماء التى صنعت كل شيء من أجلهم . وفى دعوته للحب بين البشر ، كان يدعو للحب الإيجابى فقال : « إن السماء ترغب فى أن يحب وينفع البشر الواحد منهم الآخر » فلم يكتف بأ أن يدعو الإنسان لحب أخيه الإنسان فقط ، وإنما دعا لحبه وتقديم النفع له .

لقد كانت هذه بعض تعاليم موسى الذى جاء قبل المسيح بنحو أربعة قرون .

★ ★

والآن . . .

هلا عاود المبشرون النظر فى مفاهيمهم التبشيرية الخاطئة . . .

★ ★ ★

(١٠) المرجع ٢٧ : ص ٢٦٣ - ٢٦٤

الفصل الثامن

عطاء التبشير : لقيصر أم الله !؟

في محاولة من اليهود للإيقاع بالمسيح وإغراء السلطات الرومانية الحاكمة به « أرسلوا إليه قوماً من القريسيين والهيرودسيين لكي يصطادوه بكلمة . فلما جاءوا قالوا له : يا معلم ، نعلم أنك صادق ولا تبالي بأحد ، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس بل بالحق تعلم طريق الله .

أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟ نعطي أم لا نعطي ؟

فعلم رباهم وقال لهم : لماذا تجرونني . إيتوني بدينار لأنظره . فأتوا به . فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ فقالوا : لقيصر .

فأجاب يسوع وقال لهم : أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله -

مرقس ١٢ : ١٣ - ١٧ .

ولقد بين المسيح بوضوح أنه محال للإنسان الذي يؤمن بالإنجيل والتعاليم المسيحية أن يجمع بين : الآخرة والدنيا - الدين والدولة - الله والمال ، فقال : « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين . لا تقدر أن تخدموا الله والمال - متى ٦ : ٢٤ - ٢٦ » .

ويهمنا الآن أن نعرف حقيقة التبشير المسيحي وعطائه وخدماته ، ولئن يقدم ذلك : لقيصر أم الله ؟

★ ★

التبشير والاستعمار

لم يعد ثمة شك في ارتباط التبشير المسيحي بالاستعمار ، بعد ما تكشف من وثائق ونشرات صدرت عن المستعمرين والمبشرين ، وما سجله

المفكرون والأحرار في بلاد الاستعمار ، وما أعلنه المناضلون من أجل الحرية في المستعمرات السابقة .

يقول المبشر الأمريكي جاك مندلسون : « لقد تمت محاولات نشيطة لاستغلال المبشرين ، لا لمصلحة المسيحية وإنما لخدمة الاستعمار والعبودية. ولسجلات المستعمرات مغزى واضح جداً في هذه النقطة بالذات ..

ولقد قال ملك فرنسا : « الدين ضروري لكل الناس ، ولكنه أكثر ضرورة في المستعمرات الآهلة. بالعبء التي لا يمكن أن تحوى أملا في حياة أفضل إلا بغد الموت ؛

وفي عصر النهضة كتب وزير الحربية (الفرنسي) إلى حاكم المارتينيك : « يجب على المبشرين أن يلاحظوا مدى خطورة الوعظ في أثناء شرحهم لقواعد الإنجيل الحكيمه بالمساواة التي تتعارض مع مبدأ الاستعمار المحكم ؛ وقال نابليون الأول في جلسة مجلس الدولة في ٢٢ مايو سنة ١٨٠٤ « إن في نيتي إنشاء مؤسسة الإرساليات الأجنبية ، فهو لاء الرجال المتدينون سيكونون عوناً كبيراً في آسيا ، وإفريقيا ، وأمريكا ، سأرسلهم لجمع المعلومات عن الأقطار . إن ملاسهم تحميم وتخفي أية نوايا اقتصادية أو سياسية»(١).

كذلك استخدم التبشير قسوة الاستعمار في تنصير غير المسيحيين ، وبارك استعمار بلادهم ، واعتبره منحة من السماء للمستعمرين . وفي هذا يقول المبشر ستيفن نيل :

« لقد أكد مرسوم البابا نيقولا الخامس الذي صدر عام ١٤٥٤ حق البرتغاليين في الاحتلال السلمى (١٢) لكل أراضي الكفرة (غير المسيحيين) التي قد تكتشف على طول الساحل الغربي لأفريقيا .

في عام ١٤٥٦ أعطى البابا كالكستنس الثالث إلى كبير رهبان جماعة المسيح في البرتغال - والتي كان هنرى الملاح نفسه منتدباً لإدارتها - حق

(١) المرجع ٣ : ص ٢٠٩

الإشراف الروحي على جميع الأراضي التي تخضع للتاج البرتغالي ، وكذلك أية أراضى تضاف إليها مستقبلا . لقد كانت تلك امتيازات زائدة عن الحد .

وفي مايو ١٤٩٣ أصدر البابا إسكندر السادس ثلاثة مراسيم وضعت الأمور في نصابها الصحيح (١؟) فقد اعترف بالحق المطلق للتاج الأسباني في المتاجرة مع البلاد التي اكتشفت ، أو التي قد تكتشف ، في غرب الأطلنطي . وفي نفس الوقت وضع على الملك قياداً هو أن يجلب إلى العقيدة المسيحية الشعوب التي تسكن تلك الجزر والأراضى ، وأن يرسل إليه رجال عقلاء حسب العقيدة الكاثوليكية .

لقد أكد البابا العنصر المسيحي في هذه الاكتشافات والفتوحات ، ووضع على القوى المسيحية مسئولية دعم بعثات التبشير ، وعليهم أن يؤسسوا - في زمن لاحق - أسقفيات ، ويوقفوا عليها أموالاً .

لقد أكد الملوك اعترافهم بسيادتهم الكنسية المطلقة تماماً كسيادتهم السياسية المطلقة على الأراضي التي خضعت لهم ، واستطاعوا الانطلاق بضمير طيب (١١) ليجلغوا الغزو حقيقة واقعة . .

ولتجنب المنافسة بين القوى (المسيحية البحرية) فإن البابا رسم خطأ على الخريطة من القطب الشمالى إلى القطب الجنوبى غرب الأزور ، ليكون ما يقع غربى هذا الخط تابعاً لأسبانيا ، وما يقع شرقه تابعاً للبرتغال . لقد كان وصول هاتين القوتين إلى الدنيا الجديدة في الغرب متميزاً بثلاثة اعتبارات هي : الغزو - الاستيطان - التبشير .

وكان على شعوب تلك البلاد المجهولة أن تدخل باستمرار تحت سيطرة الملوك المسيحيين الذين منحهم الله عن طريق البابا السيادة المطلقة (١١) «(٢) .

★

(٢) المرجع ٢٥ : ص ١٤١ - ١٤٢ ، ١٦٨

(٩ - حقيقة التبشير)

- ١٢٩ -

المأساة في أفريقيا :

تعتبر أفريقيا خير مثال لدراسة ارتباط التبشير بالاستعمار ، وذلك لسببين اثنين على الأقل :

١ - أن القارة الأفريقية تعرضت لأغلب أنواع الاستعمار على مدى قرون عديدة ، فذاقت صنوفاً من ويلات الاستعمار : الإنجليزي والفرنسي والإيطالي والألماني والهولندي والبلجيكي والأسباني والبرتغالي .

ولا تزال بها إلى الآن بعض الجيوب الاستعمارية التي لم تتم تصفيتها بعد.

٢ - أن أفريقيا - كما يقول جاك مندلسون - تعتبر « من وجهة النظر الإرسالية هي قلب العالم . ويرعى أكثر من أربعمائة منظمة كنسية أمريكية نوعاً أو آخر من المجهودات الإرسالية . . وطبقاً لتقرير يعتمد عليه ، يعمل في أفريقيا (قبل عام ١٩٧٠) ١٥٩٧٠ مبشراً بروتستانتياً أو زهاء ٣٥٪ تقريباً من المجموع البالغ ٤٢٢٥٠ مبشراً . . والمعادل الساري للمصروفات الخاصة بأعمال إرساليات الهيئات البروتستانتية الأمريكية وحدها (في منتصف الستينات) حوالي ١٧٠ مليون دولاراً في السنة» (٣).

من أجل ذلك كانت شهادات الأفريقيين في قضية التبشير والاستعمار ، تمثل حججاً قوية لا يمكن تجاهلها .



لقد بينت التجارب في أفريقيا أن التبشير يعمل مخلب قط شرس للاستعمار .

وعندما كان كينيث كاوندرا - رئيس جمهورية زامبيا حالياً - يكافح ضد الاستعمار الإنجليزي ، فإنه بعث بخطاب « إلى رئيس الإرسالية نقل ما كتبه برناردشو في كتابه « رجل القدر » :

(٣) المرجع ٣ : ص ١٨٣

«حينما يريد رجل إنجليزي سوقاً جديدة لبضائعه الفاسدة التي صنعها في مانشستر ، فإنه يرسل مبشراً لتعليم الأهالي بشارة السلام . ويقتل الأهالي المبشر ، فيهب الإنجليزي إلى حمل السلاح دفاعاً عن المسيحية ، ويحارب من أجلها ، ثم يستولى على السوق كمكافأة من السماء .

إذا كنت تنوى خدمة الحكومة البريطانية بالطريقة التي وصفها شو ، فلقد أتيت في الوقت غير المناسب . لم يقتل أجدادنا أحد الأوروبيين في المحمية ، وسوف تتأكد من أننا لن نقتل أى أوروبي ، مبشراً أو غير مبشر لأسباب سياسية» (٤) .

★

وفي عام ١٩٦٠ كانت لندن « مسرحاً لمؤتمر لجميع الطلبة الأفريقيين في المملكة المتحدة وشرق وغرب أوروبا والولايات المتحدة وأفريقيا .

وثار هذا البحث بمرارة عن علاقة المسيحية التاريخية بالاستعباد والاستعمار والإمبريالية والعنصرية ، في كل خطب المندوبين . وكان خطاب شانجو ماكيو الذى مثل إتحاد طلبة شرق ووسط أفريقيا في المملكة المتحدة من أكثر الخطب حماسة : « إن كل أمة في العالم قد ضحكت علينا فعلاً . لقد سخرت منا الأمم صغیرها وكبيرها ، كنا موضع احتقار وعلمنا كل نوع من الإساءة والإذلال وسوء المعاملة الوحشية ، مما يطلق عليه اسم العالم المسيحي المتمدن ..

لقد أدركنا أننا نحن الآخرو (٥) ، ولكن هذا لم يكن قط موضع تقدير .. إن الأرباح من العبيد الأفريقيين بنث قصوراً وكنائس ومدناً لنا جميعاً عبيد لأن الملايين من شعوبنا ما زالت تتألم من إذلال السيطرة السياسية والاقتصادية والروحية ؛

(٤) المرجع ٣ : ص ١٥١

(٥) يقول الإنجيل على لسان المسيح : « من لطمك على خدك الأيمن فحول له

الآخر أيضاً - متى ٥ : ٣٩ »

وقد أعطى ج . كابرال للطلبة في مؤتمر لندن هذا البيان المحموم عن
النشاطات الإرسالية في ممتلكات البرتغال الإفريقية :

« ليست هنالك بالذات أية مدارس ، أو على الأصح توجد بعض مدارس
تحت سيطرة الكنيسة الكاثوليكية . هل تعلمون ، إذا تدرس ؟

ليس حب الرب ، ولكن حب البرتغال : إن كل المبشرين
الكاثوليك وأن لم يسموا موظفين رسميين فإنهم يعدون موظفين في الخدمة
الخاصة للمصالح الوطنية والمدنية . هذه هي الكلمات الفعلية لوصف مركز
المبشر . . إن الأعمال الإرسالية في المستعمرات تكفلها الحكومة ؛

واعلى المنصة لويس دالميدا ، من الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ،
ليضيف بيانه السليط (11) عن الأحوال في أنجولا :

« كثيراً ما تكون الحالة أنه بدلا من أن يحضر الأطفال الأفريقيون
دراساتهم ، أن يؤخذوا للعمل في الضيغات أو المزارع الإرسالية دون
أن يعرفوا أى شيء عن القراءة أو الكتابة . . ويجب أن يلاحظ أن
تعليم السكان الوطنيين تقوم به الإرساليات الكاثوليكية ، وذلك تنفيذاً
لاتفاق تم توقيعه من عشرين سنة خلت بين البرتغال والبابا . .

واسمحوالى أن أنقل حرفياً فقرة من مقالة حديثة للكاردينال رئيس
أساقفة لورنزو ماركس ، ظهرت في مجلة البرتغال في أفريقيا ، العدد
الصادر في مايو ١٩٦٠ . تقول المقالة :

إن ما يأمل المبشرون تحقيقه من تعليم وتهذيب الشباب الوطنى ، هو
أن يحتفظ بكنيسة موزمبيق باستمرار إلى جانب البرتغال . . إن النشاط
الإرسالى يمنح البرتغال فخرآ في المنظمات العالمية السامية ويكون سندآ قويا
للسيادة البرتغالية .

وقد قال أحد الطلبة : قسا لن أسمح لابنى أن يعانى من العقلية الدينية
التي خالطت تفكيرى ونظرى طوال هذه المدة . وإننى حينما أنظر ورأى

إلى الماضي وماضى عائلتي ، أعتقد أن النتيجة الأساسية لتدريبتنا المسيحية هي أننا صرنا ساذجين لدرجة مذهلة» (٦) .



وبعد أن اكتشف الأفريقيون العلاقة الوثيقة بين التبشير والاستعمار ، ولمسوا الخديعة التي لحقت بهم ، فإنهم أدانوا التبشير والمبشرين ، بل والمسيحية كذلك .

يقول جاك مندلسون : « حينما تكون حالة الشبان الأفريقيين سعيدة ، فإنهم لا يتعبون من ترديد القصة القديمة : إن المبشرين جاءوا إلينا وقالوا إننا نريد أن نعلمكم العبادة ، وقلنا حسناً ، إننا نريد أن نتعلم العبادة . وطلب المبشرون منا أن نغلق أعيننا ، وقلنا ذلك وتعلمنا التعبد . وحينما فتحنا أعيننا ، وجدنا الإنجيل في يدينا ووجدنا أرضينا قد اغتصبت ! ولكن هناك أيضاً تلك الكلمات المريرة ، كلمات تكررت بلا توقف في أفريقيا كلها .

إن حركة التبشير المسيحية كانت محاولة لإخماد الروح الأفريقية ..

وقد حدثني أحد كبار موظفي حكومة غانا بعد أن فكر ملياً قائلاً : بعد تفكير عميق قررت ألا تكون لي صلة بأية كنيسة ، فالكنائس لا تكاد تساعد في حل مشكلات غانا الروحية ، وكل ما يلوح أنه يهمها هو جمع المساعدات المالية .. إن شبابنا يريدون شيئاً لا يحصلون عليه ، ولا أستطيع أن أرغمهم على الذهاب إلى الكنيسة ليستمعوا إلى مبادئ لا يؤمن بها المبشرون أنفسهم إيماناً راسخاً» (٧) .



(٦) المرجع ٣ : ص ٢١٠ - ٢١١ ، ٢٣٤

(٧) المرجع ٣ : ص ٢٩ - ٣٠

ولقد أدت سياسة التبشير المسيحي في أفريقيا إلى إيدانة المسيحية ذاتها على ألسنة المسيحيين الأفريقيين الذين تربوا في مدارس التبشير ، إذ قالوا :

«إن ما تدعيه المسيحية من معاملة الناس بالحسنى لا معنى له ، لأن المسيحية نفسها قد ثبت عملياً أنها دين مشاغب . فكل ملة تهاجم الأخرى . . إن المبشرين مذنبون بأكبر خداع حماسي لجذب الناس للعمل الإرسالي . . إنهم وكلاء لسوء التمثيل الخارجي . . إنهم كانوا ذئاباً في جلود نعاج . . إن المسيحية كانت جزءاً من خداع أفريقيا» (٨) .

لقد ظهر بوضوح الآن ، أن التبشير عمل استعماري . وحين أدانه الأفريقيون ، لم يجد نفر من المبشرين — غير المكابرين — سوى التسليم بتلك الإيدانة ، فقالوا : «إن المبشر مهما اعتقد أن هدفه مختلف عن المكتشف والمستوطن والوكيل التجاري والموظف الإداري ، فإن الأفريقي رأى فيهم جميعاً مشروعاً مشتركاً واحداً .

ولم يكن الأفريقي مخطئاً تماماً في تقديره . . فالمسيحية وقد طبع عليها الاستعمار طابعه ، أصبحت في موقف شديد الحرج . .

وماذا عن حركة الدعوة التبشيرية المسيحية ؟ إن تقدمها البطيء المستمر قد اصطدم الآن بأفريقيا الجديدة» (٩) .



التبشير والتفرقة العنصرية

ارتبطت حركة التبشير بالتفرقة العنصرية ارتباطاً وثيقاً . فنذقرون مضت ، نشطت تلك الحركة واندفعت تغزو العالم وتدعى أن هدفها هو «جلب نور الإنجيل إلى العالم» .

(٨) المرجع ٣ : ص ٣٣ ، ١٣٥ ، ١٩٩

(٩) المرجع ٣ : ص ١٦٧ ، ٢٨

ولما كانت حركة التبشير مرتبطة أصلاً بالاستعمار الذي ينبغي التسلط والسيطرة على مقدرات الشعوب ، فإنها لم تلبث أن تقيمتها هي الأخرى روح التسلط والاستعلاء . وما ذلك إلا لأن المسيحية التي يقدمونها للناس ، تعتبر في قرارة أنفس المبشرين دين الرجل الأبيض المتحضر الذي يجب أن تكون له السيادة حيثما كان . وحجتهم في ذلك أنه « مهما كان عدم إخلاص أوروبا للمسيحية ، فإن الواقع التاريخي يقرر أن المسيحية ومثلها لا يمكن فصلها عن تطور الحضارة الغربية » (١٠) .

ونتيجة لهذا النهج الديني للمسيحية ، فإن التبشير المسيحي يمارس تفرقة عنصرية في مختلف المجالات ، ومن أخطرها - ولا شك - المجال السياسي والديني .



في مجال السياسة :

يقول جاك مندلسون : « إن أكثر أجنحة المسيحية كشفاً وقابلية للانقلاب ، هو التفرقة العنصرية الوحشية باسم المسيحية . إن سلالة المستوطنين البيض المستقرين (وهم سلالة المستعمرين في جنوب أفريقيا) قد رأوا أنفسهم كتقليد توارثوه ، كأنما هم يعيدون تمثيل الدور الوارد في الإنجيل عن الشعب المختار وأرض الميعاد ، حيث فرض الرب على الرجل الأسود أن يصقل الخشب ويجلب المياه خدمة للرجل الأبيض ..

وكحقيقة عابسة ، فقد عطروا التفرقة العنصرية والتحامل الجنسي بأنها حقيقة طبقتاً للكتاب المقدس : لو كان الرب قد أراد المساواة بين الأجناس لقال ذلك في الإنجيل » (١١) .

(١٠) المرجع ٢٥ : ص ٢٤٣

(١١) المرجع ٣ : ص ١٦١

ومن المحزن حقاً أن يكون قصص الكتاب المقدس مصدر إلهام للمبشرين بالفرقة العنصرية ، وسنداً قوياً يحتجون به . ولقد أصدرت مجلة « لايف » عدداً خاصاً عن الكتاب المقدس ، وكان مما جاء فيه :
« لا تزال حكومة جنوب أفريقيا تعتمد على ما جاء في سفر التكوين – الذى يصف أحد أبناء حام بأنه « عبد العبيد » – لتبرير سيطرتها على السود وإذلالهم » (١٢) .

والقصة المشار إليها في سفر التكوين ، تحكى حادثة وقعت لنوح بعد الطوفان . فبعد أن استقر نوح ومن معه على الأرض واستقامت لهم سبل الحياة ، إذا بالرجل – كما يقول السفر – يسكر ، فتلعب الخمر برأسه وتكشف عورته ويراهها أولاده . حتى إذا أفاق نوح من سكره وعلم ما كان من أمره ، إذا به يظلم حفيده كنعان دون ما ذنب جناه سوى أن أباه حاماً قد أبصر عورة نوح . ويدعى كنية هذا السفر أن نوحاً قال : « ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لإخوته . وقال : مبارك الرب إله سام . وليكن كنعان عبداً لهم – تسكوين ٩ : ٢٥ – ٢٧ » .



إن وثائق التبشير تعترف بأنه عندما « جاءت الإرساليات بالتعليم تلقاه الأفريقيون بحماس ، ولكن الكثيرين من المبشرين شاطروا المستوطنين وموظفى الاستعمار رأيهم فى أن الأفريقيين يجب أن يتألموا نصيباً من التعليم إلى الحد الذى يؤهلهم فقط لأن يأخذوا مكانهم اللائق فى مجريات الأشياء . ومن الواضح أن المكان اللائق ليس مكاناً مساوياً . »

LIFE, April 19, 1965.

(١٢) يقول النص الانجليزى :

«The government of South Africa, still relies on Genesis (which describes a son of Ham as 'a slave of slaves') to justify its subordination of Negroes».

ومما لا يمكن تلافيه أن يرى بعض الأفريقيين أن التعليم الإرسالي ليس منحة فحسب ، وإنما هو أيضاً نوع من الاستعباد» (١٣) .

إن التبشير المسيحي متهم دائماً بأنه يساند النظم العنصرية ، وينظر إلى الشعوب التي يعمل بينها من أفريقيين وآسيويين وغيرهم نظرة تكبر واستعلاء ، وما ذلك إلا لارتباطه الوثيق بالاستعمار ، وتخاذله أمام القوى التي تمارس التفرقة العنصرية ، ذلك التخاذل الذي وصل إلى حد التواطؤ . كيف لا ، والتبشير المسيحي ذاته يمارس التفرقة العنصرية داخل كنائسه ومؤسساته وتنظيماته الكنسية ، كما سنرى فيما يلي ..



في مجال الدين :

تعتبر مأساة الكاهن الهندي متى دي كاسترو نموذجاً للتفرقة العنصرية التي تمارسها الكنائس المسيحية بين كهنتها ، أولئك الذين غنمهم نتيجة لحركة التبشير المسيحي .

وتتلخص هذه القصة - كما ترويها وثائق التبشير - في أن « متى دي كاسترو كان شاباً هندوكياً من ولاية جوا (التي كانت آنذاك مستعمرة برتغالية) وقد تحول إلى المسيحية .

لكن أسقف جوا (البرتغالي الكاثوليكي) رفض رسامته كاهناً .. فما لبث أن نجح في شق طريقه إلى روما . وبعد سنوات من الدراسة تمت رسامته كاهناً في عام ١٦٣٠ ، وأعيد إلى الهند ليعمل في التبشير بين شعبه . بيد أن أعداءه أقاموا الكثير من العقبات في وجهه ، مما اضطره في عام ١٦٣٦ أن يعود ثانية إلى روما بطريق البر . .

وهناك تمت رسامته مطراناً وأعيد ثانية إلى الهند ، إلا أن مصاعبه تضاعفت منذ لحظة وصوله ، فقد رفض أسقف جوا الاعتراف به مطراناً .

(١٣) المرجع ٣ : ص ١٦٨

وأخيراً لم يجد «متى» أمامه مفرأ من العودة إلى روما مرة ثالثة ليعرض قضيته بنفسه. وبعد مجهود عقيم بذل في إقناعه بالذهاب إلى الحبشة ، فإنه عاد إلى الهند مرة ثالثة في عام ١٦٥١ ، وهو ينفث تهديداً ووعيداً ضد البرتغاليين وجميع اليسوعيين .. ولما بدأ «متى» في إرسال الشكاوى المتلاحقة إلى روما ضد البرتغاليين وما كان عليه أمر الكنيسة في جوا ، تبين من بحثها أن جزءاً من اتهاماته كان صحيحاً .

إلا أنه رأى من الحكمة التخلص من المصدر الأساسي للثقل (وهو متى!) ولذلك جرد من لقبه في عام ١٦٥٨ ، وأعفى من وظيفته ، إلى أن توفي عام ١٦٧٧ . .

ولم يتم رسم المطران الهندي الكاثوليكي التالى إلا عام ١٩٢٣ « (١٤) .
أى بعد حوالى ٣٠٠ عام من بدء تلك المأساة الدينية الساخرة .



ولقد استمرت هذه التفرقة العنصرية الدينية تحكم سياسة التبشير في كل مكان ، ليس فقط في آسيا ، كما رأينا في المثال السابق ، ولكن أيضاً في أفريقيا وأمريكا الجنوبية وسائر الجزر والمواطن التى تتعرض للغزو التبشيري .

وتقوم هذه السياسة على عدم تأهيل مسيحي تلك البلاد - الذين تنصروا نتيجة لجهود المبشرين ويفترض أنهم صاروا إخواناً لهم في العقيدة ! - لتولى أى سلطة أو رئاسة في الكنيسة ومؤسساتها . وما ذلك إلا لأن التبشير حركة تستهدف - في المقام الأول - السيطرة على المناطق التى تغزوها ، وتتخذ الإنجيل والمسيحية وسيلة لتحقيق ذلك .

ولقد فطن القادة والمثقفون في أفريقيا إلى خداع حركة التبشير ، ولذلك انتهزوا كل فرصة للتعبير عن سخطهم وكرهيتهم . فنراهم يقولون : « حينما

(١٤) المرجع ٢٥ : ص ١٨٢ - ١٨٣

يكون للرجل الأبيض اليد العليا ، فإن المبشرين يتقبلون برضاء غريب
التفرقة العنصرية .

إن المبشرين يتناقضون حينما يكون الأمر متعلقاً بتدريب أحد الأفريقيين
لتولى الرئاسة والسلطة في الكنيسة . إن الإرساليات كانت تقف موقف عدم
الاهتمام ، بل والعداء ، من القومية ، ولم يوجد شعور صادق حقيقي للتوجيه
السياسي الذي يسيطر على الشباب الأفريقي . .

(وفي حديث مع أحد المبشرين) أشار فلاح ثرى من كيكويو إلى قمة
تل من التلال السوداء بكينيا قائلاً : هل ترى الإرسالية التي هناك ؟ إنهم
يديرون ملجأ للأيتام ومدرسة للتجارة ومستشفى ، وكل هذا لصالحنا نحن
الكينويين .

ولكن هل تعلم أنني لم أر قط أى قسيس أبيض منهم في اجتماع أوقداس
بثريتنا ؟ إذا كانت هذه هي المسيحية فلماذا نستطيع الاستغناء عنها « (١٥) .

★

ولقد دار حوار بين أحد المبشرين وشاب نيجيري مسيحي مثقف ،
اشتغل بالتدريس لمبضع سنين في مدارس الإرساليات ، وكان في بلده واعظاً
مربوئياً له وشغل عادة منابر للوعظ ، وسافر إلى الولايات المتحدة للدراسة
الجامعية ، ثم عاد إلى نيجيريا . وكان السؤال الذي طرحه المبشر هو : ماذا
ترى مستقبل المسيحية كالتزام ديني لنخبة أفريقيا الناهضة ؟

فكان جواب الشاب النيجيري : « في المستقبل القريب جداً سوف تخسر
المسيحية نهائياً في أفريقيا . إنها تخسر فعلاً . هل تظن أنني عائد إلى أفريقيا
لأظل مسيحياً ؟ كلا . . »

وحينما ضغط عليه المبشر « ليشرح لماذا يظن أن للمسيحية مثل هذا المستقبل
الضئيل في أفريقيا ، فإنه انتقد المبشرين وقادة الكنيسة الأفريقية قائلاً :

(١٥) المرجع ٣ : ص ٢٩ - ٣٠

«إن المبشرين البيض الذين جاءوا إلى أفريقيا للتبشير بالإنجيل ، لم ينصروا شعبهم بعد . يجب عليهم أن يروا الرمد الذى فى عيونهم قبل عيون جيرانهم . أنا لا أستطيع أن أفهم لماذا يجب أن تكون هناك تفرقة عنصرية فى الكنيسة .

إن الكنيسة مشروع تجارى ، وليس من المشجع رؤية المبشرين الأغنياء المتخمين ولاعقبي أحمديتهم القسيسين الأفريقيين وهم يجمعون المال من الفقراء» (١٦) .



وفى أمريكا الجنوبية تسجل وثائق التبشير على المبشرين الجيزويت الذين عملوا بين شعب براجواى - استغلهم وتفرقتهم العنصرية فى مجال الدين . فهم « لم يفعلوا إلا القليل جداً من أجل تطوير حاسة المبادأة وروح الاستقلال بين قطيعهم البشرى . لقد بدا أنهم يرغبون فى أن يظل الشعب (فى براجواى) حولهم أطفالاً يسهل انقيادهم بدلاً من تأهيلهم للحكم الذاتى .

لقد كانت بيد الجيزويت السلطة كاملة طيلة أكثر من قرن ، وخلال تلك الحقبة الطويلة فإنهم لم يؤهلوا أى مرشح للكهانة ، ولم ينشئوا أى جماعة للراهبات . لقد كان الجيزويت يعتقدون أن الوقت لم يحن بعد لتحقيق ذلك ..

لقد جاء الإنتقام الإلهى بسبب هذه السياسة عندما طرد الجيزويت ، ولم يكن لدى الهنود (فى براجواى) القدرة على القيادة الذاتية . .

وما أن جاءت نهاية القرن الثامن عشر حتى تقوض كل شىء ولم يبق ما يمكن ذكره . لقد استعادت الأدغال كل ما لها من الشعب الوثني» (١٧) .



(١٦) المرجع ٣ : ص ١٩٥ - ١٩٦

(١٧) المرجع ٢٥ : ص ٢٠٣

إن التفرقة العنصرية التي يمارسها التبشير المسيحي في المجال الديني حقيقة لم تعد تقبل المرء ، بعد أن اعترف بها المبشرون أنفسهم ، وإن كان هذا الاعتراف قد جاء متأخراً .

يقول ستيفن نيل : « في القرن التاسع عشر خضع المبشرون إلى العقدة الاستعمارية التي تقول بأن الرجل الغربي فقط هو الإنسان بكل ما تعنيه هذه الكلمة . لقد كان عاقلاً وطيباً ، على أنه يجوز للأجناس الأخرى (غير الأوروبية) أن تشارك في هذه الحكمة والطيبة بالقدر الذي تصطبغ به من نظم الحياة الغربية .

لكن الرجل الغربي كان هو القائد ، وسوف يبقى هكذا لزم من طويل ، وربما إلى الأبد .

وعندما ارتفعت الأصوات لتنتقد تلك الفكرة التي صارت مسلماً بها ، فإنها تعرضت للإسكات .. فحتى عام ١٩١٤ لم يكن لدى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية أى أسقف من أصل غير أوروبي سوى أربعة . .

وعندما أثار شاب بلجيكي هو القس فنسنت لب ، السؤال عما إذا كان الوقت لم يحن بعد لخلق أسقفية وطنية في الأقاليم الأخرى (غير الأوروبية) فإنه واجه معارضة شديدة لاحتمه في كل مكان ، وتقول إنه طالما كان الجنس الأبيض في استطاعته أن يقدم مورداً لا ينضب من الأساقفة ، فإنه لا يمكن أن يوجد رجل واحد من الأجناس الصفراء والحمراء والبنية والسوداء ، يستطيع حمل ثقل الأسقفية » (١٨) .

وهكذا ، وبلا حياء ، يمارس التبشير المسيحي التفرقة العنصرية في مجالات العقيدة الدينية ، التي يزعم أنه جاء ليهدى بها البشر .

(١٨) المرجع ٢٥ : ص ٢٥٩

التبشير والتجارة

يعتبر التبشير تجارة تدر على القائمين به من مؤسسات وأفراد ؛ أرباحاً طائلة . ولقد ارتبطت حركة التبشير بالأعمال التجارية والمالية منذ نشأتها . لذلك نجد أن شركة الهند الشرقية الهولندية التي تأسست عام ١٦٠٢ ، قد « أقامت مدرسة للاهوت في ليدن ، قامت بتدريب ١٢ قسيساً في الفترة من ١٦٢٢ - ١٦٣٣ للخدمة فيما كان يعرف باسم الممتلكات الهولندية في أندونيسيا وسيلان . .

وكان كل مبشر من هؤلاء يتقاضى عمولة نقدية عن كل شخص يعمده نصرانياً .

وقد ساعد على نجاح التبشير في تلك المستعمرات أن منحت امتيازات واسعة للمسيحيين ، كما لعب العامل السياسي دوراً كبيراً في تنصير الأهالي . . بعد ذلك لا نندهش كثيراً عندما نجد أن عدد المحولين إلى المسيحية كان كبيراً . ففي نهاية القرن السابع عشر ، أعلن الهولنديون عن تنصير ١٠٠٠٠٠ في جاوا ، و ٤٠٠٠٠ في أميون ، لكن اخلاص هؤلاء المنتصرين للمسيحية كان موضع شك « (١٩) .



وفي الهند اشتغلت بعثة بازل السويسرية التبشيرية بالأعمال التجارية البحتة ، فكان لها « مصانع بلاط ومصانع نسيج شهيرة في كل أنحاء جنوب الهند ، إلى أن قامت الحكومة أثناء الحرب العالمية الأولى بإنشاء مؤسسة شركات الكومنولث لإدارة المشروعات الصناعية والتجارية التي كانت في يد البعثات التبشيرية « (٢٠) .



(١٩) المرجع ٢٥ : ص ٢٢٣ - ٢٢٤

(٢٠) المرجع ٢٥ : ص ٢٧٨

وفي أفريقيا رأينا أن المستنيرين من الأفريقيين قد اكتشفوا أن الكنيسة التبشيرية « مشروع تجارى » وأن الأطفال الأفريقيين يؤخذون إلى مدارس التبشير ، لا من أجل التعليم بل للعمل في الضيعات ومزارع الإرساليات .



« وفي أمريكا الجنوبية ، كانت بعثة الجيزويت التبشيرية فى براجواى من أكثر المشاريع شهرة . . لقد كانت تبنى الكنيسة وسط المشروع ، وفى كثير من الحالات كان المبنى فخماً رائعاً ، وحول الكنيسة أسكن الأهالى فى منازل انتظمت فى صفوف . وتمتلك الكنيسة الجزء الأكبر من الأراضى المنزرعة حيث كان على الأهالى أن يعملوا بها عدداً مفروضاً من الساعات كل أسبوع . . ولقد كان النظام صارماً والمعاملة خشنة » (٢١) .



ولا عجب من ذلك كله ، فإن المراسيم البابوية التى صدرت فى القرون الوسطى ، كانت تمنح أراضى غير المسيحيين - باعتبارهم كفرة - فى كل أنحاء العالم ، ملكاً للكنيسة والمستكشفين والمستعمرين .

ذلك أن الكنيسة قد ربطت قوتها بثرائها ، فليجأت منذ عهد مبكر إلى استخدام سلطانها الروحى فى مد سلطانها المادى على الأراضى والممتلكات فى البلاد المسيحية أيضاً ، وذلك ببحث المواطنين على التبرع بالأراضى أو وقفها لخدمة الكنيسة . ولقد تسبب هذا فى حدوث منازعات كثيرة بين الملوك والإقطاعيين ورجال الكنيسة فى أوروبا لقرون عديدة .

يقول أرنست كيلت : « إن تاريخ إنجلترا وفرنسا وألمانيا ، وحتى إسبانيا البعيدة ، مليء بقصص عن مثل هذه المنازعات . . إن مثل تلك العطايا

(٢١) المرجع ٢٥ : ص ٢٠٢ - ٢٠٣

من الأرض كانت تتكرر كثيراً ، فقد كان ينظر إليها على أنها حجوزات في قصر السماء ، لدرجة أنه في بعض البلاد ، كانت الكنيسة تملك ما لا يقل عن ربيع أو ثلث المساحة الكلية للأراضي ، وكان تجنب المنازعات عند هذا الحد غير ممكن ، بسبب مفهوم حق الملكية في العصور الوسطى .

لقد كانت النظرية تقوم على أن البلد كله ملك للملك ، وأن أراضي اللوردات والمقاطعات والعقارات المؤجرة— كما نستطيع قوله— كانت مؤجرة منه باعتباره مالك الأرض . ولهذا فإن أراضي الكنيسة كان عليها ضرائب مثل تلك التي يدفعها أى مستأجر آخر . بيد أنه كانت هناك ضريبة واحدة هربوا منها ، وأعنى بها ضريبة التركات ، التي تدفع عندما يتوفى المستأجر ويخلفه وريثه . إن الكنيسة لم تمت أبداً ، ولم يكن لها ورثة ، وهو الوضع الذي توتب عليه وجود تحويلات مزورة من الأراضي إلى الكنيسة ، وذلك لكي يتجنب الملاك الحقيقيون ضريبة التركات .. لقد أصبح الشعور هو أن الكنيسة لديها الكثير ، وأن التاج يفقد الكثير .. وعادت المنازعات بين الكنيسة والملك عند النقطة التي تفرق فيها وظيفتيها ، فأحدهما (الملك) يكافح من أجل بقاء تلك الأراضي في اهتماماته ، بينما كان الآخر (الكنيسة) يريد أن تبقى فيما يسمى باهتمامات الدين . وقد استمر مثل هذا الصراع طويلاً ..

وفي حكم إدوارد الأول ، كان سريعاً وغازباً ، لأن الملك كان في مسيس الحاجة إلى المال ، بينما رفضت الكنيسة ذلك ، طبقاً للمنشور الذي أصدره البابا بونيفاس الثامن .. لقد هزم باستمرار أقوى الملوك واللوردات ، حتى جاء أسروتدمير بونيفاس على يد فيليب الفرنسي ، حيث علم البابوية الدرس ..

من أجل ذلك فإننا لا نندهش من أنه — في حالات كثيرة — كان أول هجوم على الكنيسة متعلقاً بثروة رجال الإكليروس . لقد اتخذت إجراءات عن طريق البرلمان ، ضد أعمال السلب والابتزاز التي كان يقوم بها البابا وسفراؤه ، وحدث عصيان وتمرد ، من حين لآخر ، ضد الطغاة الصغار في الأبرشيات . وقد شارك في ذلك أفضل من في رجال الإكليروس أنفسهم

لقد فحصوا (أسفار) العهد الجديد ، فوجدوا أن الرسل الأول للمسيح كانوا فقراء . لذلك كان هناك مطلب يتردد وهو أن تعود الكنيسة إلى حالة الفقر التي كان عليها الرسل . لكن مثل هذه الحركة لم تتوقف عند هذا الحد ، فقد امتدت من الهجوم على ثراء الإكليروس — والذي كان يعضده كثير من النبلاء — إلى هجوم على المعتقدات . وعلى سبيل المثال ، فان «ويكلف» قد عبر — قرب نهاية حياته — عن أكثر شكوك ساورته وهي التي تتعلق بتحول المادة ، أى القربان ، إلى لحم ودم المسيح . .

لقد تمسك آباء الكنيسة بشئ الأفكار التي تقوم على نظرية السر المقدس ، واختلف العلماء في تفسيراتهم الميتافيزيقية التي تحتال لها ، ولم تستقر هذه العقيدة نهائياً إلا بعد أن تأكدت في مجمع اللاتيران الذي عقد في عام ١٢١٥ .

من الواضح أن مثل هذه العقيدة تزيد من قوة رجال الإكليروس بدرجة كبيرة . فإذا اعتقدت أنك لا تستطيع دخول (مملكة) السماء بدون أكل جسد المسيح ، وإذا كان الشخص الوحيد الذي يستطيع عمل معجزة إعطائك هذا الجسد على شكل خبز ، هو القسيس ، فإنك تصير عندئذ تحت رحمة القسيس . فما عليه إلا أن يهددك برفض تقديم الطعام المتحول ، وما عليك إلا أن تستحيب لرغبته .

إن الهجوم على هذا المعتقد إنما يعنى الهجوم على نفس قلعة تسلط الإكليروس ، الذين أدركوا الخطر سريعاً . . لقد وصم «ويكلف» وشيعته من اللولارديين بالهرطقة . . ولم يكن أكثر تلاميذ «ويكلف» شهرة رجلاً إنجليزياً ، لكنه كان «جون هسنتز» من بوهيميا ، الذي عرف باسم «هس» ، رئيس جامعة براغ . . لقد اختير «هس» لفحص بعض المعجزات التي قيل إن دم المسيح عملها ، فلم يلبث أن نطق بالحكم وقرر أنها كانت عمليات غش واحتيال .

ولقد نشر بحثاً يحض الناس على الكف عن البحث عن الآيات والعجائب ، وعلمهم أن يبحثوا ، بدلا من ذلك ، في الكتب (المقدسة) . . لقد طلب هس

حرية الفكر، وكانت حرية الفكر تقود إلى نشر معتقدات «ويكلف» .. وفي عام ١٤١٠ صدر مرسوم بابوى يحظر تداول كتابات «ويكلف» ..

وأخيراً ، أحضر «هس» للمحاكمة ، واقتطعت قصاصات من كتاباته المتبرقة ، وقرئت ، وضاع دفاعه وسط صيحات الغضب . . لقد تقرر الحكم عليه من قبل ، فقد فصل من زهرة الإكليروس ، وحكم عليه بالموت .. وفي ٦ يولييه ١٤١٥ أحرق «هس» حياً في كونستانس . وفي خلال عام ، لقي صديقه «جيروم» من براغ نفس المصير . إن المؤكد تماماً أن «هس» لم يكن هرطيقاً . ومن المؤكد ، على أى حال ، أنه لم يمت بسبب الهرطقة . ولكن بسبب احتقاره للسلطة الكنسية ، ومن المؤكد كذلك أن موته كان إنتهاكاً للقانون « (٢٢) .

يبدو أن السادة المسئولين عن كل تلك المآسى والانغماس فى الدنياويات ، قد نسوا قول المسيح فى الإنجيل :

« لا تقدرون أن تخدموا الله والمال .. إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله - متى ٦ : ٢٤ ، ١٩ : ٢٤ » .

صراع المبشرين

يطول بنا الحديث عن صراع المبشرين عبر القرون والقارات ، ذلك أن اخوان العقيدة - أو هكذا يُفترض أن يكونوا - الذين يبشرون بالمسيح والإنجيل ، كانت تضطرم بينهم نار العداوة والبغضاء أينما حلوا وحيثما كانوا .

يقول ستيفن نيل : « فى القرن السادس عشر أخذ ملوك أسبانيا والبرتغال المبادأة فى فتح باب التبشير . . وفى ظلهم تتمع المبشرون بالحماية الملكية ولم يجدوا صعوبة فى السفر على السفن الأسبانية والبرتغالية . وفى كثير من الحالات

(٢٢) المرجع ٢١ : ص ٢٩٣ - ٢٩٨

كانت المساعدات كريمة إلا ما ندر . . ومن ناحية أخرى كانت هناك مأخذ خطيرة ، ذلك أن ارتباط التبشير بالسياسة كان يعنى أن المبشرين معروضون للانغماس كثيراً فى المطالب الدنيوية ، وحتى فى التجارة .

لقد كانت المنافسة بين الجماعات التبشيرية أبعد ما تكون عن التقى والعمل ارضاء لله ، لدرجة أنه فى اليابان ، وتحت ظل الصليب ، نجد أن الفرنسيين قد نقدوا الجزويت بمرارة ، وبالمثل سخر الأخيرون من الأولين . . .
لقد عين الجزويت مطراناً لفوناي عام ١٥٨٧ لكنه توفى فى الطريق .
وقد وصل خلفه بدرو مارتينز إلى نجازاكي فى ١٤ أغسطس ١٥٩٦ ، لكنه وجد إرسالية التبشير على مثل تلك الحال من الاضطراب بسبب المنافسة بين البرتغاليين والأسبان الذين وصلوا حديثاً من مانيلا ، مما جعله يقرر العودة إلى روما يلتمس التوجيه ، بيد أنه مات أثناء الرحلة . .

وتحت حكم إياسو وامتسو وصل اضطهاد المسيحيين إلى مستوى من الضراوة جعل المشكلة المسيحية تحل بموت أغلب المؤمنين بها أو ارتدادهم عنها . إن الأسباب الحقيقية لاضطهاد المسيحيين (فى اليابان) يصعب تفصيلها ، إلا أن جانباً منها يرجع إلى ضعف وضع الجزويت نتيجة لوصول الفرنسيين والدومنيكان من مانيلا ، وبسبب الضعف الشديد للوحدة بين المبشرين . وزاد الطين بلة وصول الهولنديين والبريطانيين الذين اغتبنوا كل فرصة ليحملوا معهم إلى اليابان الضعائى والأحقاد التى مزقت أهمهم فى أوروبا . .

وهناك من الأسباب ما يدعو إلى الاعتقاد بأن اللغة الهوجاء التى استخدمها الفرنسيين أوحى إلى شعب اليابان الحساس ، أن المبشرين كانوا هناك كمقدمة لجيش احتلال ، وأن التسلل المسيحى سوف يتبعه احتلال سياسى . .
لقد انقضى أكثر من قرنين قبل أن تفتح اليابان ثانية للعمل التبشيرى « (٢٣) .



(٢٣) المرجع ٢٥ : ص ١٥٩ - ١٦٢

وفي الهند « كان السوربان يكرهون الجزويت والبرتغاليين ، فقد اشتكوا مراراً من الميزات والاستثناءات التي تمتعوا بها بلا حدود، لذلك تجمهموا ساخطين في عام ١٦٥٣ وأقسموا على طرد الجزويت .

وعندما استولى الهولنديون على كوشين نهائياً ، فإنهم أمروا كل الكهنة والرهبان الأجانب بمغادرة الإقليم .

وقام المورافيون بمجهودات ضئيلة لتبشير الأفريقيين في جنوب أفريقيا ، وكان أول رائد بينهم هو جورج شميت الذي وصل عام ١٧٣٧ ، وقد طرده الهولنديون عام ١٧٤٤ وانفضت تلك البعثة التبشيرية حتى حتى عام ١٧٩٢ « (٢٤) .

★

وفي أمريكا « كان المبشرون شهوداً على مأساة الهنود الحمر . إن أياً من بريطانيا وفرنسا وهولندا ، لا يمكنها التنصل مما حدث . لقد كان الأسلوب اللاإنساني الذي أقحم به الرجل الأبيض ، ذلك الهندي الأحمر في صراعاته الخاصة ، مثيراً الهندي ضد الهندي ، والهندي ضد الأوروبي ، إنما يمثل مرحلة من أكثر فترات التاريخ الاستعماري خزيًا وعاراً .

وأسوأ من ذلك هو تطبيق مبدأ : اشرب الخمر ، ودع الشيطان يتكفل بالتالي .

فإن الهندي الأحمر لم يستطع مقاومة إغراء خمر الرجل الأبيض المتهبة ، وهنا كما في أي مكان آخر ، نجد أن تغذية الشعب البدائي بالكحول يعادل القتل مع سبق الإصرار « (٢٥) .

★

(٢٤) المرجع ٢٥ : ص ٢٦٩ - ٢٧٠ ، ٣١٠

(٢٥) المرجع ٢٥ : ص ٢٠٢

لقد كان الفساد في الجماعات التبشيرية والعداء بينها سبباً في قيام البابا بجل جماعة الجيزويت . « فبند البداية كان رجال الإكليروس والجماعات الدينية الأخرى معادية لهم . وكثرت الشكاوى من خطرهم ووسائلهم البديئة في التبشير ، وتدخّلهم في السياسة ، وتجميعهم لثروات ضخمة عن طريق المضاربات التجارية .

لقد انتظرت روما طويلاً ثم قررت في النهاية أن تضرب . ففي ٢١ يوليو ١٧٧٣ حل البابا كليمنت الرابع عشر جمعية يسوع هذه ، وصادر ممتلكاتها . وفي ذلك الوقت كان عدد أعضاء هذه الجماعة ٢٢٥٨٩ منهم ١١٢٩٣ كاهناً . ونتيجة لذلك فإن ٣٠٠٠ مبشراً على الأقل سحبوا من مجال عملهم . . وشحنت الأغلبية العظمى منهم على أسطح المراكب كالأجواف ، عائدتين إلى وطنهم الأصلي . وفي أماكن كثيرة ، كما حدث في باراجواي ، اكتملت الكارثة . لقد كان القرن الثامن عشر في كل الكنائس زمناً للتراخي والتفهم» (٢٦) .

★ ★

أما بعد ...

فلقد رأينا المبشرين يعملون « لخدمة الاستعمار والعبودية » - وهم جواسيس « يجمعون المعلومات لدولهم ، وتحميهم ملائمتهم الكهنوتية » ، ولذلك تعمد الدولة المسيحية التي تحل محل أنحت لها في مستعمراتها إلى طرد المبشرين من أراضيها الجديدة - وقد كانوا يعلمون البسطاء حب دولتهم الاستعمارية « لا حب الرب » - وقد خدعهم حين طلبوا منهم « أن يخلقوا أعينهم للتعبد والصلاة ، فلما فتحوها وجدوا الإنجيل في أيديهم أما أراضيهم فقد اغتصبت » .

(٢٦) المرجع ٢٥ : ص ٢٠٦

والمبشرون إقطاعيون يملكون الضياع والمزارع والمصانع والمتاجر ،
استولوا على أراضي الفقراء ، واستخدموهم في زراعتها ، وجنوا الأرباح
الطائلة من كل ذلك فبنوا القصور والكنائس والمدن .

وهم يساندون التفرقة العنصرية سياسياً ، ويمارسونها في كنائسهم
ومؤسساتهم دينياً . وهم انتمازيون نفعيون ، عندهم « الغاية تبرر الوسيلة »
فكانت سياساتهم الخبيثة مع البسطاء كالهنود الحمر « من أكثر فترات
التاريخ الاستعماري عنزياً وعماراً » ، وما فعلوه فيهم كان « يعادل القتل
مع سبق الإصرار » .

ولو كانوا مخلصين المسيحية حقاً ما اقتتلوا ذلك القتال الشرس الذي
عرضهم لنكسات في أعمالهم التبشيرية ، فلقد « كانت المنافسة بين الجماعات
التبشيرية أبعد ما تكون عن التمنى والعمل إرضاء لله » .

من أجل ذلك ، فإن المبتدئين في شعوب العالم الثالث أصبحوا يدركون
جيداً أن المبشرين ليسوا سوى « ذئاب في جلود نعاج » .

والآن لم يعد من الصعب الإجابة على السؤال الذي اتخذناه عنواناً لهذا
الفصل : عطاء التبشير لمن : لقيصر أم لله ؟

إن عطاء التبشير لقيصر ، مهما كابر المكابرون ، وجادل في ذلك
المراعون . وهو عطاء يبرأ منه المسيح أولاً وأخيراً ، إذ قال لأهل الخديعة
والنفاق الديني - وهو شر أنواع النفاق - حين واجههم :

« يا مراعون : حسنا تنبأ عنكم إشعيا قائلاً : يقرب إلى هذا الشعب
بفمه ويكرمني بشفتيه ، وأما قلبه فبتعد عني بعيداً . وباطلا يعبدونني وهم
يعلمون تعاليم هي وصايا الناس - مت ١٥ : ٧ - ٨ . »

الباب الرابع

التبشير فى العالم الاسلامى

- اهداف التبشير فى العالم الاسلامى
- وسائل التبشير فى العالم الاسلامى

الفصل التاسع

أهداف التبشير في العالم الإسلامي

الاعتراف سيد الأدلة ... ما في ذلك شك .

وهنا تسعفنا اعترافات أهل التبشير المسيحي - من مخططين ومنفذين - لتحديد أهداف عملهم في العالم الإسلامي . فلنعرض مقالاتهم ولنستمع إليهم ، وحسبنا ذلك في هذا الباب بالذات - التبشير في العالم الإسلامي - من أبواب هذا الكتاب .



يقول المؤرخ جان دي جوانفيل - الذي رافق الملك لويس التاسع ملك فرنسا في حملته الصليبية - سابعة الحملات - : « إن خلوته في معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئة ليفكر بعمق في السياسة التي كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين . وقد انتهى به التفكير إلى تلك الآراء والمآخذ التي أفضى بها لأعوانه المخاضين ، أثناء رحلته إلى عكا مقلعاً إليها من دمياط .»

وكان ما انتهى إليه لويس التاسع : إنه لم يعد في وسع الكنيسة أو فرنسا مواجهة الإسلام ، وإن هذا العبء لا بد أن تقوم به أوروبا كلها لتضيق الخناق على الإسلام ثم تقضى عليه ، ويتم لها التخلص من الحائل الذي يحول دون تملكها لآسيا وأفريقيا .

ويقول المؤرخ رينيه جروسيه : « إن الملك لويس التاسع كان بذلك في مقدمة كبار سياسة الغرب الذين وضعوا للغرب الخطوط الرئيسية لسياسة جديدة شملت مستقبل آسيا وأفريقيا بأسرها » .

وهكذا رسم لويس التاسع التخطيط المبدئي للسياسة التي رأى أنها
تمكته من مواجهة الإسلام والنيل من قوته . وكان من بينها :
« تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية ،
تستهدف الغرض نفسه ، لا فرق بين النوعين إلا من حيث نوع السلاح
المستخدم في المعركة . وتجنيد المبشرين الغربيين في هذه المعركة السلمية
لحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنوياً ، واعتبار
هؤلاء المبشرين في تلك المعارك جنوداً للغرب » (١) .



ويقول النس اليسوعى مبرز في معرض حديثه عن سياسة فرنسا الدينية
في الشرق :

« إن الحرب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر ،
لا تزال مستمرة إلى أيامنا هذه . . . ولقد احتفظت فرنسا طويلاً بروح
الحروب الصليبية ، وبالحنين إلى تلك الحروب حية في نفسها . . . وكان
من شغائنا الامتيازات الأجنبية دائماً أن تحتفظ (فرنسا) بالدور الذي
يلعبه رهبانها . وقد اعترف لقناصلنا وسفرائنا بالحاجة للنصارى . .
وكثيراً ما اختارت فرنسا قناصلها وسفراءها من رجال الدين » (٢) .

ويقول اليسوعيون في عرض نشاطهم التبشيري في الشام :

« ألم نكن نحن ورثة الصليبيين . . . أو لم نرجع تحت راية الصليب
لنستأنف التسرب التبشيري والتدين المسيحي ، ولنعيد في ظل العلم الفرنسى
وباسم الكنيسة مملكة المسيح » (٣) .



(١) المرجع ١٢ : ص ٩ - ١٠

(٢) المرجع ٩ : ص ١٢٧

(٣) المرجع ٩ : ص ١١٥

« وفي خريف عام ١٨١٨ تأسست في الولايات المتحدة جمعية تبشيرية للعمل في فلسطين تستند إلى الجهود الأمريكية . . لقد كان في المركز الجغرافي العسكري للشرق الأدنى والمنطقة البحر المتوسط عنصر إغراء كبير حمل الأمريكيين على إقامة جمعية للتبشير هناك . إن البحر المتوسط كان الطريق المؤدى إلى أقسام واسعة من العالم لم يكن التبشير قد بدأ فيها بعد ، كما كان باباً إلى آسيا وأفريقيا . .

وكان الهدف الرئيسي للتبشير في فلسطين هو تبديل عقائد شعوب الشرق الأدنى وتبديل أحماط حياتهم . وقد وضعت خطط مختلفة للوصول إلى نفوس النصارى ونفوس المسلمين ونفوس اليهود في هذه البقعة من الأرض . . ثم إن القاهرة والإسكندرية مكانان مهمان ، فإن المبشرين يستطيعون أن يستقروا في أى منهما شاءوا بأمان ، فيصنعوا ترجمة عربية صحيحة للكتاب المقدس . .

وبالإمكان أن تكون الكنيسة الأرمنية وسيلة مهمة لتبشير غربى آسيا . . وبالتقدم منها إلى إيران والعراق وسوريا وفلسطين وآسيا الصغرى . وهكذا تستطيع الكنيسة المسيحية : بلا حرب صليبية ، أن تسترد تلك المناطق التي خسرتها منذ أزمان طوال «(٤)» .



ويقول ستينن نيل : « بدأت الإرسالية الإنجمايكانية للعمل بين اليهود بالاستقرار في القدس في عام ١٨٢٠ ، ثم جعلت تقوم منذ عام ١٨٢٤ بشىء يسير من العناية الطبية . .

وفي عام ١٨٥١ شاركت جمعية الإرسالية التبشيرية في هذا العمل الذى أدى إلى أغرب الأحداث في تاريخ الكنيسة الحديث . لقد اتفقت السلطات

(٤) المرجع ٩ : ص ٢٦٠

البريطانية والبروسية على تأسيس أستقضية مشتركة فى مدينة القدس ، يشرف عليها أستقف مرسوم على المذهب الإنجليكانى ، ولكن تعيينه يجرى بالتناوب بين ملك إنجلترا وملك بروسيا .

لقد كان وراء هذا العمل عوامل سياسية ، كما كانت فيه عوامل دينية أيضاً «(٥)» .



وفى عام ١٩٢٠ أصدرت لجنة التبشير الأمريكى - التى تهتم بالاستفادة من الحروب فى أعمال التبشير - كتاباً جاء فى مقدمته : « من أبرز الأمور المتعلقة بدخول الولايات المتحدة فى الحرب العالمية (الأولى) أن الآراء والمبادئ التى كانت تهدف إليها الإرساليات التبشيرية ، قد تبنتها الآن الأمة (الأمريكية) ، ثم أعلنت أنها هى أهدافها الأخلاقية وغاياتها من خوض تلك الحرب . إن هذه المبادئ التبشيرية قد سميت الآن أسماء سياسية فقط » (٦) .



من الواضح - إذن - أن التبشير المسيحى فى العالم الإسلامى هو فى حقيقته حرب صليبية ، وهو امتداد لتلك الحروب الصليبية الصاخبة التى بدأها الغرب المسيحى منذ تسعة قرون . والتى فشلت فى تحقيق أهدافها ثم تعرضت للإدانة الشديدة من قبل الكثير من المسيحيين ؛ من مؤرخين ومبشرين وفلاسفة ومفكرين .

إن الحرب - فى أحد تعاريفها التقليدية - تعنى صراعاً مسلحاً بين قوتين أو أكثر ، يقاتل فيها كل طرف من أجل كسر شوكة عدوه وتخطيمه ،

(٥) المرجع ٢٥ : ص ٣٠٤

(٦) المرجع ٩ : ص ١٢٩

وبالتالى تحقيق السيطرة والسيادة للطرف المنتصر، بغية التحكم فى مقدرات الطرف المهزوم وإمكاناته .

ونتيجة لفشل تلك الحروب الصليبية الصاخبة فى تحقيق أهدافها - التى تتلخص فى السيطرة على العالم الإسلامى واستنزاف ثرواته - فقد استدار الاستعمار الغربى لتحقيق تلك الأغراض ، بعد تطويرها بما يناسب ظروف العصر ، وذلك باستحداث وسائل أخرى يأتى التبشير فى مقدمتها ، باعتباره غزواً صامتاً يستطيع التسلسل فى الظلام ، خلف الأقنعة والشعارات الزائفة .



ولما كانت خبرات الحياة - وخاصة فى مجال الحرب - تبين أن بعض الوسائل اللازمة لتحقيق الهدف النهائى لصراع ما ، قد تعتبر أهدافاً مبدئية يلزم تحقيقها فى المراحل الأولى من ذلك الصراع ، فقد عمد الاستعمار الى جعل هدفه المبدئى والعاجل هو : هدم الإسلام فى قلوب المسلمين ، وإضعاف تلك الصلة القوية المعروفة التى تربط المسلم بدينه . إن هذا هو ما أعلنه المبشرون جهاراً نهاراً ، فى تحد صارخ ومواجهة مستكبرة .

فإنذ نحو سبعين عاماً ، نشرت مجلة « العالم الإسلامى » الفرنسية عدداً خاصاً عن إرساليات التبشير البروتستانتية ونشاطاتها فى العالم الإسلامى ، وذلك تحت عنوان : الغارة على العالم الإسلامى . وفى تقديم لبحوث ذلك العدد ، كتب رئيس تحريرها المستشرق الفرنسى لوشاتليه يقول :

« كنا منذ أمد بعيد نود أن نحوض فى ذكر تفاصيل أعمال هذه الإرساليات (البروتستانتية) التى اشتهرت بخطتها ووفرة الوسائل التى أعدتها وتوسلت بها لمقاومة دين الإسلام .. إن إرساليات التبشير الدينية التى لديها أموال جسيمة ، وتدار أعمالها بتدبير وحكمة ، تأتى بالنفع الكثير فى البلاد الإسلامية من حيث إنها تبث الأفكار الأوروبية . إلا أن لإرساليات التبشير مطامع أخرى ، كما يتبين من الفقرة الآتية التى استخرجها من

رسالة أرسلها إلى من جزيرة البحرين في ٢ أغسطس سنة ١٩١١ حضرة
التأسيس المحترم صموئيل زويمر ، منشئ مجلة « العالم الإسلامى » الإنجليزية ،
وهو يبنى فيها صروح آمال شاحخة على أعمال المبشرين البروتستانت ، قال :

« إن لنتيجة إرساليات التبشير في البلاد الإسلامية مزيتين : مزبة
تشديد ، ومزبة هدم . أو بالحرى مزيتى : تحليل وتركيب . والأمر الذى
لامرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير - الذى أخذ يدخل على عقائد
الإسلام ومبادئه الخلقية في البلاد العثمانية والقطر المصرى وجهات أخرى -
هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه . ولا ينبغي لنا أن نعلمد
على إحصائيات في معرفة عدد الذين تنصروا رسمياً من المسلمين ، لأننا
هنا واقفون على مجرى الأمور ، ومتحققون من وجود مئات من الناس
انتزعوا الدين الإسلامى من قلوبهم واعتنقوا النصرانية من طرف خفى ؛

ولاشك في أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز
عن أن تزرع العقيدة الإسلامية من نفوس منتحلها ، ولا يتم لها ذلك
إلا ببت الأفكار التى تتسرب مع اللغات الأوروبية .. فيتحكك الإسلام
بصحف أوروبا ، وتتمهد السبل لتقدم إسلامى مادمى ، وتقضى إرساليات
التبشير لباتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التى لم تحفظ كيانها وقوتها
إلا بعزلتها وانفرادها .

أما مايقوله حضرة مكاتبنا (زويمر) عن وجود مئات من المسلمين
اعتنقوا النصرانية سراً وينتظرون فرصة للجهر بها ، فذلك أمر لا يمكننا
البت فيه ..

فلنعتمد إذن على القول بأن سير العالم الإسلامى تدرج نحو التحلل
أفكاره الدينية وزوالها ، وذلك أمر طبيعى ممكن التحقيق ..

ولكننا نعود فنقول : إنه مهما اختلفت الآراء في نتائج أعمال المبشرين
من حيث الشطر الثانى من خطتهم (وهو الهدم) ، فإن نزاع الاعتقادات

الإسلامية ملازم دائماً للمجهودات التي تبذل في سبيل التربية النصرانية . وإن التقسيم السياسي الذي طرأ على الإسلام سيمهد السبل لأعمال المدنية الأوروبية ، إذ من المحقق أن الإسلام يضمحل من الوجهة السياسية . وسوف لا يمضي غير زمن قصير ، حتى يكون الإسلام في حكم مدينة محاطة بالأسلاك الأوروبية ..

إن إرساليات التبشير البروتستانتية الإنجلوسكسونية تعلق أهمية كبرى على الحال الجديدة التي ظهر بها العالم الإسلامي . وقد رأينا أن نذكر معها إرساليات التبشير الألمانية لما عقد بينهما من الأواصر والروابط في مؤتمر سنة ١٩٠٦ وسنة ١٩١١ ، ولم يبق ارتباطها مقتصرأ ، كسابق عهده ، على تناوب كرسي الأسقفية البروتستانتية في القدس . وليس من المستغرب — ونحن (الكاثوليك) نبدى إعجابنا بأعمالها — أن نلح بمزاحمتها ومسابقتها ، خصوصاً وأن السيطرة على أهم الأسواق البشرية صارت متوقفة على هذه المزاحمة والمسابقة» (٧) .

★

ولقد تزعم المبشر الأمريكي صموئيل زويمر الدعوة لعقد مؤتمر عام يجمع إرساليات التبشير البروتستانتية ، للتفكير في أفضل الوسائل اللازمة لتنصير المسلمين . وقد استجابت الهيئات التبشيرية لدعوته ، فعقد مؤتمر القاهرة التبشيري سنة ١٩٠٦ ، الذي افتتح يوم ٤ أبريل في منزل عرابي باشا في باب اللوق ، وبلغ عدد مندوبي إرساليات التبشير ٦٢ بين رجال ونساء . وكان عدد مندوبي إرساليات التبشير الأمريكية وحدها ٢١ مندوباً .

وكانت موضوعات المؤتمر هي : ملخص إحصائي عن عدد المسلمين في العالم - الإسلام في أفريقيا - الإسلام في السلطنة العثمانية - الإسلام في الهند - الإسلام في فارس - الإسلام في الملايو - الإسلام في الصين - النشرات التي ينبغى إذاعتها بين المسلمين المتنورين ، والمسلمين العوام -

(٧) المرجع ١٠ : ص ٨ - ١٠

التنصر - الارتداد - وسائل إسعاف المتنصرين المضطهدين - شئون نسائية إسلامية - تربية المبشرين والعلاقات بينهم - كيفية التعليم في الإسلام .

ولقد جمعت هذه الموضوعات في كتاب كبير ، أصدره القس الأمريكى فلمنج ، تحت عنوان : «وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين» ، بعد أن كتب عليه عبارة : «نشرة خاصة ، ليتداول بين فئة خاصة من رجال التبشير . ثم صنف زويمر كتاباً آخر ، جمع فيه بعض التقارير عن التبشير ، وسماه : «العالم الإسلامى اليوم» .

وقد استمرت إرساليات التبشير - ولا تزال - تنخر في جسم العالم الإسلامى سنوات طوال ، إلى أن دعا زويمر إلى مؤتمر تبشيري آخر شهير عقد بالقدس عام ١٩٢٨ . وفي هذا المؤتمر جمع زويمر خلاصة أعمال المبشرين في العالم الإسلامى ؛ فقال مخاطباً الحاضرين : «أيها الأبطال والزملاء الذين كتب لهم الجهاد في بسيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام ... فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق للجيل المقدس ...

لقد أديتم الرسالة التي نيظت بكم أحسن أداء ، ووفقتم لها أسمى التوفيق ، وإن كان يخيل إلى أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه ، لم يفتن بعضكم إلى الغاية الأساسية فيه .

أنى أفرم على أن الذين دخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين . لقد كانوا أحد ثلاثة :

١ - إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ماهو الإسلام .

٢ - أو رجل مستخف بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوت يومه ، وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش .

٣ - وآخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية .

ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ، ليست إدخال المسلمين في المسيحية فإن هذا هداية لهم وتكريماً ،

وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها . وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية . وهذا ماقتم به خلال هذا الأعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا ما أهنتكم عليه ، وتهنتكم عليه المسيحية والمسيحيون جميعاً .

لقد سيطرنا منذ ثلث القرن التاسع عشر على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ، ونشرنا فيها مكامن التبشير ، والكنايس ، والجمعيات ، والمدارس المسيحية الكثيرة ، التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية .

ولقد أعددتكم في ديار الإسلام شباباً لا يعرف الصلاة بالله ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشء طبقاً لما أرادته الاستعمار... لايتهم للعظام ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يصرف همه في دنياه إلا للشهوات ...

إن مهمتكم قد تمت على أكمل الوجوه ، وانتهيتم إلى خير النتائج ، وباركتكم المسيحية ، ورضى عنكم الاستعمار ... فاستمروا ، فقد أصبحتكم بفضل جهادكم موضع بركات الرب «(٨)» !!

أى رب هذا الذى يتكلم عنه ذلك المخرب - زويمر - وأشياعه من المبشرين ، الذين جعلوا كل همهم قطع صلة المسلمين بالله ، وإفساد أخلاقهم ، وقتل شخصياتهم ، وهو أشد وأنكى من قتل شخصوهم ؟ !! هل هو الرب الذى تبرأ ممن تحدثوا باسمه وظنوا أنهم في خدمته ، وصنعوا أعاجيب ، ومع ذلك رفضهم لأن يخربون فاعلو آثارهم ؟

(٨) المرجع ١٢ : ص ٣٣

إن المسيح برىء من كل هذا التخريب الذى يحدث باسمه ، والذى يذكر له الإنجيل قوله : « ليس كل من يقول لى يارب يدخل ملكوت السموات ... كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم : يارب يارب ، أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة . فحينئذ أصرح لهم إني لم أعرفكم قط ، اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم - متى ٧ : ٢١-٢٣ » .

★ ★

أما الآن ... فقد استباننا الأهداف التى يعمل من أجلها التبشير فى العالم الإسلامى ، والتى يمكن تجميعها فى عنصرين رئيسيين :

١ - هدم الإسلام فى قلوب المسلمين ، وقطع صلتهم بالله ، وجعلهم مستخفاً لا تعرف عوامل الحياة القوية التى لا تقوم إلا على العقيدة القوية والأخلاق الفاضلة .

١ - إخضاع العالم الإسلامى لسيطرة الاستعمار والتحكم فى مقدراته وإمكاناته .

ومن أجل تحقيق هذين الهدفين المتكاملين ، يستخدم التبشير وسائل كثيرة ، يطورها بين الحين والحين لتناسب وروح العصر . وهو ما سوف نعرض له فى الفصل التالى .

★ ★ ★

الفصل العاشر

وسائل التبشير فى العالم الإسلامى

يمكن تقسيم الوسائل الكثيرة التى يستخدمها التبشير المسيحى فى غزوه الصامت للعالم الإسلامى إلى مجموعات تخدم ثلاث مجالات رئيسية هى :
المؤثرات الفكرية - والعلاج الطبى - والشئون الاجتماعية . وفيما يلى عرض مسلسل لتلك الوسائل المستخدمة فى هذه المجالات الثلاث ، مع تذكرة لآبد منها وهو أن مصادر معلوماتنا عن هذه الوسائل - ومن قبلها الأهداف التى ذكرت فى الفصل السابق - إنما هى وثائق التبشير وكتب المبشرين ونشراتهم .

★ ★

أولا - المؤثرات الفكرية

١ - تشويه صورة الإسلام .

فى يناير ١٩٤٠ نشرت مجلة « العالم الإسلامى » الإنجليزية خلاصة مقال كتبه إدوارد ميدايرل أستاذ التاريخ بجامعة كولومبيا بالولايات المتحدة ، لملحة « الشئون الخارجية » عنوانه : « الإرساليات الأمريكية فى الشرق الأدنى » ، جاء فيه :

« ماذا يمكن أن يقال الآن عن أعمال التبشير الأمريكى فى الشرق الأدنى بعد قرن كامل من الزمان ؟ يمكننا أن نحشد إحصاءات هائلة تتعلق بملايين الدولارات وبألوف الأنفس التى ضحيت فى هذا السبيل . ولكن هذه أيضاً ليست هبة كافية توازى النتائج التى تحققت على أيدى الإرساليات الأمريكية والمبشرين الأمريكين فى هذا المركز المهم من الشرق ..

إن الوقت لم يحن بعد للحكم على قيمة ما حققه المبشرون عموماً .
هناك وجه واحد من هذا الموضوع — يجب ألا يهمل بأي حال من الأحوال
هو أن الرأي العام الأمريكي — فيما يتعلق بالشرق — قد خلقه المبشرون
منذ قرن كامل .

فيذا كان الرأي العام الأمريكي قد طويت عنه بعض المعلومات ،
أو غلغلى بمعلومات سخاطئة ، أو دفع إلى موقف عدائي ، فإن المبشرين
هم الملمومون في أكثر ذلك . لأن النظر إلى التاريخ على أساس انتشار
النصرانية ، قد حمل هؤلاء المبشرين على أن يقدموا لنا في الولايات
المتحدة صورة ناقصة مشوهة ، أو ساخرة في بعض الأحيان ، للمسلمين والإسلام .
وبينما كان المبشرون يرمون في تبشيرهم إلى التسامح ، كانوا أحياناً ومن غير
أن يشعروا يزرعون بذور سوء التفاهم .

وكذلك حينما جاء المبشرون إلى تصوير أحوال الإمبراطورية العثمانية-
يوم كانت الإمبراطورية العثمانية — فإنهم عجزوا أن يشيروا إلى أن الآلام
التي تحماتها الأقليات المسيحية قد تحملها أيضاً المواطنون الأتراك (المسلمون) .
فيذا كان الفلاح الأرمني قد تعرض لغارة كردية ، فكذلك كان شأن الفلاح
التركي . وإذا أرهق الفلاح البلغاري بالضرائب ، فكذلك كانت حال
الفلاح التركي . وهذا ذلك فإن التركي وحده ظل إلى عام ١٩٠٩
مجبوراً على الخدمة العسكرية ، بينما كان المسيحي معفى منها لقاء ضريبة
ضئيلة يدفعها .

ولكن بما أن المبشر قد حذف كثيراً من الخصائص والحقائق من
الصورة التي رسمها للإمبراطورية العثمانية يومذاك ، فإن الشعب الأمريكي
لا يستطيع أن يميز — من النظر إلى هذه الصورة التي وصلت إليه — بين
الظالم والمظلوم .

إن الشعب الأمريكي لم يكن عالماً أن المسلمين والنصارى قد
تألوا — على السواء — في الحياة تحتم حكم إمبراطوري فاسد .

ولقد لجأ المبشرون - كما يستطيعوا أن يجمعوا الأموال - إلى استغلال حقائق ناقصة ، وكذلك أخذت تفعل (نفس الشيء) بعض جمعيات الإغاثة منذ زمن قريب . فنتج عن ذلك أن العقل الأمريكي قد حيل بينه وبين الحقيقة الواضحة وهي أن سكان الشرق الأدنى قد كانوا ضحايا كوارث واحدة ، بقطع النظر عن جنسياتهم وأديانهم » (١) .

★

٢ - تحريف فهم القرآن :

يقول جون تاكلى : « يجب أن نستخدم كتابهم (القرآن) وهو أمضى سلاح في الإسلام ، ضد الإسلام نفسه لتفضى عليه تماماً . يجب أن نرى هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً ، وأن الجديدي ليس صحيحاً » (٢) .

ويستخدم المبشرون تكريم القرآن الكريم للمسيح وأمه في إدخال المفاهيم المسيحية في عقول المسلمين . فإذا ما اصطدم المسلم بتعبير مسيحي مثل قولهم « ابن الله » فإن تطور وسائل التبشير يطالب من المبشر أن يتناول ذلك التعبير تأويلاً روحياً « حتى لا ينفرد منه أولئك الذين لا يؤمنون بهذا الإيمان ، فيستطيع أن يقاربهم حينئذ بما يرون أن يدعوهم إليه » . فالمبشرون - كما يقول تشارلز واطسون - « يجب أن يكونوا براءء كالحمام ، ولكن هذا لا يمنعهم أيضاً من أن يكونوا حكماء كالحيات » (٣) .

★

(١) المرجع ٩ : ص ٢٣ - ٢٤

(٢) المرجع ٩ : ص ٤٠

(٣) المرجع ٩ : ص ٥٢

٣ - التعليم الإرسالي أقوى الوسائل :

قال المبشر هنرى جسب : « إن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط ، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعباً مسيحية . ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه ، وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخيرة الجراحين والأطباء . فإننا لانتردد حينئذ في أن نقول إن رسالة مثل هذه قدخرجت عن المدى التبشيري المسيحي إلى مدى علماني محض ، إلى مدى علماني دنيوي . مثل هذا العمل يمكن أن تقوم به جامعات هايدلبرج وكمبرج وهارفارد وشيفيلد ، لاالجمعيات التبشيرية التي تسعى إلى أهداف روحية»(٤).

وقال بنروز رئيس الجامعة الأمريكية ببيروت (٤٨ - ١٩٥٤) :
« لقد برهن التعليم على أنه أئمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها في سعيهم لتنصير سورية ولبنان »(٥) .

ويهتم المبشرون بالمدارس ذات القسم الداخلي وخاصة للبنات ، كما يهتمون بإنشاء دور لإيواء الطالبات المغتربات ، حيث يؤدي ذلك إلى انتزاعهن من بيئتهن المسلمة ووقوعهن تحت سيطرة التبشير مباشرة .

وقد سبق أن قالت المبشرة آنا ميلجان : « يوجد في صفوف كلية البنات بالقاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات ، وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي ، وليس ثمة طريق إلى دحض الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة »(٦) .

(٤) المرجع ٩ : ص ٦٦

(٥) المرجع ٩ : ص ٤٦

(٦) المرجع ٩ : ص ٨٧

ويركز المبشرون على الطلبة المبعوثين في البلاد المسيحية الغربية ، فهم يرون أن أولئك المبعوثين « يمثلون طائفة منغلقة ومعزولة ، لكنها في النهاية سوف تنشتت وتؤثر تقريباً في كل المهن .. فإذا أمكن الوصول إليهم فإنهم يستطيعون حمل الإنجيل إلى أعماق حياة بلادهم .. إن الاجتماعات الطلابية التي ينظمها الطلبة ذاتياً في مباني الجامعة ، والتي ينصح لها أو يساعدها ، بطرق مختلفة ، هيئة متخصصة طول الوقت ، لتبادو أكثر فاعلية من إرسال القسوس إليهم ، أو تهيئة أماكن لضيافتهم بعيداً عن مباني الجامعة .

إن مباني الجامعة هي موطن الاقتراب الطبيعي للتجمعات البشرية ، حيث يتبنى الاتحاد العالمي للطلبة المسيحيين (S.C.M.) ، والزمالة الدولية للطلبة الإنجيليكانيين (I.V.F.) هذه الفكرة .

إن واحداً من أهم القطاعات الاستراتيجية للطلاب هم أولئك الذين يقفون على عتباتنا ، ذلك أن أعداداً كبيرة من كل بلاد العالم تدرس الآن في أوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا . وإن الانطباع الذي يأخذه معهم هؤلاء الرجال والنساء إلى أوطانهم - وكثيرون منهم سوف يتولون وظائف هامة- ليتوقف إلى حد كبير على الترحيب والحب والصدقة التي يظهرها المسيحيون الذين يقابلونهم .. ويجب أن نتذكر جيداً أن الطالب الذي يعود ليعمل كمبشر بين شعبه، من المحتمل أن يكون أفضل بكثير من أي أجنبي آخر» (٧) .

✱

٤ - الصحافة والطبع والنشر :

يدرك المبشرون خطورة الإعلام وآثاره القوية في محاربة الأفكار والمعتقدات ، والترويج لأخرى يراد استبدالها بغيرها ، ولذلك ركزوا على الصحافة واهتموا بأعمال الطبع والنشر . وقد اعترفوا بأنهم « استغلوا

(٧) المرجع ٣٠ : ص ١٥٩ - ١٦٠

الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية ، أكثر مما استطاعوا
في أي بلد إسلامي آخر .

لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية ، إما مأجورة
في أكثر الأحيان ، أو بلا أجر في أحوال نادرة . على أن المبشرين أنشأوا
في العالم صحفاً يومية وأسبوعية خاصة بهم ، فهناك « بشائر السلام » و« الشرق
والغرب » في مصر . .

ولقد اعتمد المبشرون مدينتين كبيرتين لنشر كتبهم وصحفهم :
القاهرة وبيروت .

أما القاهرة فأتخذها البروتستانت مركزاً لتوزيع المنشورات في القطر
المصري وفي جميع العالم الإسلامي ، كما أنهم أقاموا المطبعة الأمريكية في
بيروت ، تلك المطبعة التي أصبحت أهم وسائل التبشير في الشرق كله . أما
اليسوعيون فقد ركزوا جميع جهودهم في المطبعة الكاثوليكية في بيروت
منذ عام ١٨٧١ » (٨)



٥ - مقاومة الأزهر وإضعاف تأثيره :

« يرى المبشرون أن يتوجهوا بالكتب إلى طبقتين من المسلمين على
الأخص : إلى طلبة الأزهر في مصر ، على اعتبار أن الأزهر معقل الإسلام ،
وأن الصابئ الأزهرى - إذا اتفق ذلك - يكون عوناً للمبشرين على زيادة
التغلغل في العالم الإسلامي . وعلى كل فالتبشير بين الأزهرين لا يزال تجربة
فقط ، وإن كان المبشرون ينتظرون أن يتسع وأن يقوم في الدرجة الأولى
على الجدل والوعظ .

أما الطبقة الثانية التي يجب المبشرون أن يصلوا إليها بكتبهم الدينية فهى
طبقة النساء » (٩) .

(٨) المرجع ٩ : ص ٢١٣ - ٢١٤

(٩) المرجع ٩ : ص ٢١٢

وقد تحدث الفصل الرابع من كتاب « وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين » الذى نشره المبشر الأمريكى فلمنج عن الأزهر ودوره ، وما اقترحه المبشرون من ضرورة « إنشاء مدرسة جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها ، وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية فى الدنيا على اختلاف مذاهبها ، لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة . وتتكفل هذه المدرسة للجامعة باتقان تعليم اللغة العربية . ثم قال : إن فى الإمكان مباشرة هذا العمل فى دائرة صغيرة وهى أن تختص أولاً بتعليم المسلمين المنتصرين وتربيتهم ليتمكن هؤلاء من القيام بخدمة جليلة (١١) فى تنصير المسلمين الآخرين .

وختم فلمنج كلامه قائلاً : ربما كانت العزة الإلهية قد دعوتنا إلى اختيار مصر مركز عمل لنا لتسرع بإنشاء هذا المعهد المسيحى لتنصير الممالك الإسلامية « (١٠) .

وقال جاردنر - السكرتير العام لجمعية الطلبة المسيحيين - بخصوص الأعمال التبشيرية فى أفريقيا الجنوبية : « إن من سداد رأى منع جامعة الأزهر أن تنشر الطلبة المتخرجين فيها فى جنوب أفريقيا ، اتباعاً لقرار مؤتمر التبشير العام ، لأن الإسلام ينمو بلا انقطاع فى كل أفريقيا » (١١) -



٦ - إذاعة الدعوات المشبوهة :

هناك كلمات تأتى بحكم أصلها اللغوى بين ألفاظ الخير ، لكن الإنسان - بظلمه المعهود - أساء استخدامها وطبع عليها من سلوكه ما جعل مدلولاتها فى واقع الحياة تخالف تماماً ما كان من أصولها اللغوية ، فانتقلت بذلك من

(١٠) المرجع ١٠ : ص ٢٤

(١١) المرجع ١٠ : ص ١٠٥

ألفاظ الخير إلى ألفاظ الشر . ومن أمثلة ذلك كلمة « الاستعمار » التي تعنى لغوياً تحويل الحرب إلى عامر ، لكن السلوك العدواني لكثير من الدول جعل المفهوم الواقعي لتلك الكلمة يعنى : السطو على أراضي الغير بالقوة ونهبها واستعباد شعوبها ، وما إلى ذلك من مظالم ومفاسد . وهكذا فعل التبشير ...

فهو كثيراً ما يتحدث عن التسامح وعدم التعصب والمؤاخاة ؛ لكن سلوكه والخبرات المكتسبة من واقع التعامل معه ، بينت أن تلك الألفاظ المحببة إلى النفس قد حولها التبشير إلى كأس العسل الذي دس فيه قطرات السم . ولا يزال التبشير يذيع دعواته المشبوهة بين المسلمين ، ومنها :

الدعوة إلى التسامح المشبوه :

يقول المبشر رايد : « إن المشكلة في العمل بين المسلمين إنما هي في إيجاد الطريقة التي تساعد فعلاً على الاقتراب منهم . ثم إن ذلك الحاجز العظيم الذي يدعى عادة بالتعصب (١١) وهو ذلك الجدار الشاهق من الشك والاعتزاز بالذات ومن الكره ، قد بناه الإسلام حول أتباعه ليحميهم في داخله ، وليترك المبشر خارجه . إنه جدار طالما أثبت ، مع الأسف ، أن تسلقه أو اختراقه مستحيل . إن رجالاً من المبشرين قد عملوا سنين متوالية وفي مدينة واحدة ثم لم يستطيعوا أن يكتسبوا صديقاً أو صديقين » (١٢) .

وفي بعض المناطق من بلاد العرب استطاع المبشرون كسر ذلك الحاجز الذي يدعونه التعصب ، فكان ذلك موضع فرح وسرور جعلهم يقولون « إننا اقتطفنا ثمرات أعمالنا .. فالأوهام تبددت وحل محلها التسامح » . وفي كل سنة تباع ألوف من نسخ الكتاب المقدس وكميات وافرة من الكتب والمجلات » (١٣) .

(١٢) المرجع ٩ : ص ٤٧

(١٣) المرجع ١٠ : ص ٣٩

وفى مؤتمر ممثلى الأديان الذى عقد بجاكرتا عام ١٩٦٧ قال الدكتور محمد رشيد وزير الشؤون الدينية - السابق - بأندونيسيا :

« لما بدأت دعوة الإصلاح الدينى فى مطلع القرن الخامس عشر الميلادى صحبتها اضطرابات دينية عنيفة واندلجت بسببها فى أوروبا عشرات السنين ، حتى عقدت معاهدة وستفاليا سنة ١٦٤٨ . هنالك بدأ الناس يدعون إلى مبدأ التسامح ، بسبب ما عانوه من فظائع التعصب التى عاشوها ، وحتى لا يستمر النصرارى يقاتل بعضهم البعض .

ثم تطور الأمر عندما بدأت هجرة الأوروبين تتدفق على القارة الأمريكية سعياً وراء حياة أكثر رخاء وأكثر حرية . ووجدوا أنفسهم ينتمون إلى شيع وأحزاب ومذاهب متفرقة فى العقيدة ، مما يخشى أن تكون سبباً فى قيام اضطرابات أخرى ، فنادوا بمبدأ التسامح .

أما المجتمعات الإسلامية فلديها التعاليم الصريحة التى شرعت منذ أربعة عشر قرناً والتي تدعو المسلمين صراحة إلى التسامح واحترام الأديان الأخرى وخاصة الأديان السماوية منها وهى اليهودية والنصرانية . إن ممارسة الشعائر الدينية بالنسبة للطوائف غير الإسلامية مكفولة على الوجه الأكمل فى المجتمعات الإسلامية ، ضمن حدود التعايش المشترك ، دون أن تسبب إثارة أو استفزاز المجتمع الإسلامى . فقد نصت سورة العنكبوت - بالآية ٤٦ - على قوله تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم » .

أما التسامح الذى ينادى به المسيحيون الآن فهو دعوة المسلمين إلى التزام السكوت وهم يرون إخوانهم المسلمين مستهدفين لمحاولات التنصير ، وما يستخدم فى سبيله من مختلف وسائل الإغراء المشروعة وغير المشروعة . وهذا أمر لا يمكن السكوت عليه .

ولقد أفضيت بأبناء هذه المحاولات المبدولة لتنصير المسلمين إلى أستاذ جامعى أمريكى زار أندونيسيا ، فأشار على قائلا : « اعرض هذه المخازى على العالم ، لأن هذه المحاولات مذمومة الآن » .

وهناك شعار آخر ينادون به وهو شعار الحقوق الأساسية للإنسان ، هذا الشعار مهم وغامض أيضاً ، وقد نودى به أول مانودى عندما كانت الكنيسة تحتكر لنفسها كافة الحقوق وتفرض على أتباعها وصاية مجحفة . كما يهدفون أيضاً من وراء شعار الحقوق الأساسية للإنسان إلى منع تطبيق الشريعة الإسلامية على المسلمين » (١٤)

وقال لقمان هارون عضو البرلمان الأندونيسى فى جلسة ٢١ يوليه ١٩٦٧ كذكره تفسيرية للاستجواب الذى تقدم به مع ٢٥ عضواً بمناسبة الغارة التبشيرية التى تتعرض لها أندونيسيا وما جاء من إحصائيات وبيانات مذهلة نشرتها مجلة « كرسيتيان ساينس مونيتور » فى ١٥ أبريل ١٩٦٧ ، ومجلة « تايم » فى ١٦ يونيه ١٩٦٧ :

« إن التسامح الدينى — يا سيادة الرئيس — لا بد أن يكون من الطرفين معاً ، لا أن يقتصر التسامح على المسلمين وحدهم حتى عندما يتعرض المسلمون وأبنائهم للتصير .

وقد برهن المسلمون الأندونيسيون أنفسهم على تسامحهم تجاه الأديان الأخرى .

ويمكن القول إن ازدهار الكاثوليكية والبروتستانتية مدين بتسامح المسلمين . ولكن الظاهر فى هذه الأيام أن مواطنينا النصرارى لا يعلمون أن يبدأ واحدة لا تصفق — كما يقول المثل — ومن الأدلة على ذلك ما كتبه الدكتور سيجابات (وهو مبشر نصرانى) مما يكشف بوضوح أنه لا يوافق على التسامح النصرانى تجاه المسلمين فى أندونيسيا ، فهو يرى أن المسلمين لابد أن يكونوا هدفاً لإرساليات التبشير النصرانية » (١٥) .

★

(١٤) المرجع ١١ : ص ٤٩ - ٥٠

(١٥) المرجع ١١ : ص ٧٤ - ٧٥

الدعوة إلى الحوار المشبوه :

إن الحوار وسيلة أساسية من وسائل تبادل الأفكار بين البشر منذ ظهر الإنسان على هذه الأرض ، وهو وسيلة محببة إلى النفس وعلامة من علامات الجنوح إلى العقل والحكمة والبعد عن طباع البداوة والغلظة . لكن التبشير - كعادته - أبى إلا التسلسل إلى هذه الوسيلة الهامة في العلاقات الإنسانية ، وخطط بدهاء الحيات - كما يقول الإنجيل (١٦) - ليستخدم الحوار وسيلة للتبشير بالمسيحية ومفاهيمها بين الجماعات الإنسانية ، وخاصة بين المسلمين . ولقد تضمنت مجموعة الوثائق التي صدرت عن المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان (٦٢ - ١٩٦٥) تفصيلاً لهذا الحوار ، جاء فيها : « يجب إعداد رجال دين عندهم استعداد للحوار . رجال دين يعرفون كيف يصغون إلى الآخرين . رجال دين في طبيعتهم أن يوظفوا الاهتمام في النفس وأن يكونوا معلمين للإيمان (المسيحي) . رجال دين يستطيعون أن يفتحوا الفرص للعمل الإرسالي الرسولي (التبشيري) وأن يبعثوا فيه الحياة بين غير رجال الدين بروح كاثوليكية فعلاً ومن وجهة النظر العالمية .

ووفق ذلك يجب أن يعدوا (القائمين بالحوار مع غير النصارى) بطريقة موافقة لتفهمهم الوسائل الفنية التي لا بد منها حتى يستطيعوا أن يتسللوا بنشاط في الجماعات التي تتألف منها الجماعة الإنسانية وأن يبدأوا الحوار مع الآخرين . ثم إن الكنيسة تستطيع أن تقوم بهذا الحوار من غير أن تهجر طبيعتها الخاصة بالوحي الذي لها ، وهي التي بعثت « مبشرة » إلى جميع الناس . وفيما يتعلق بالتبشير للتنصير . فيجب إعداد غير رجال الدين إعداداً خاصاً للقيام بالحوار مع الآخرين ، من المؤمنين (الكاثوليك) ومن غير المؤمنين حتى يبينوا للجميع رسالة المسيح » (١٧)

(١٦) يقول الإنجيل على لسان المسيح : « كونوا حكما كالحيات ، وبسطاء كالخمام - متى ١٠ : ١٦ »
(١٧) المرجع ٩ : ص ٢٥٨ - ٢٥٩

إن ذلك هو الغاية من الحوار الذي تدعو إليه الكنيسة : تحيين الفرص للعمل التبشيري ، والتسلل بنشاط في الجماعات الإنسانية ...

إن كلمات مثل : « تحيين الفرص » و « التسلل » ، إنما تستخدم عند الحديث عن عمليات السطو والسرقة والاحتيال ، وما إلى ذلك
ويا له من حوار



٧ - الدعوة إلى الشعوبية والقومية :

من أجل تخريب العالم الإسلامي وتقطيع أوصاله ، فقد لفق المبشرون وأشياعهم لكل بلد إسلامي قومية محلية . فقد عملوا لبعث الفرعونية في مصر ، والفينيقية في ساحل الشام ، والآشورية في العراق ، والبربرية في المغرب . لقد أراد المبشر جسب « أن تولد فينيقية جديدة تكون فيها النصرانية أوسع انتشاراً » . ولقد أكد على أن المدارس التبشيرية والصحافة شبه التبشيرية والكنيسة ستتصافر كلها على تحقيق هذا الهدف « (١٨) » .

ولما أخفقت هذه الدعوات الإقليمية الضيقة ، كان البديل هو التمسح بشعار العروبة ورفع لوأها ، باعتبارها إنساناً عن الإسلام ، رغم ما في ذلك من مجافاة للحقائق المعروفة . فالإسلام هو الأعم والأشمل ، وهو القوة الكبرى التي تظل العروبة وتستطيع أن تحميها وتدرأ عنها الأخطار .

« لقد قال جي موليه - رئيس وزراء فرنسا السابق - : إن الحركة الإسلامية التي تتسع في أفريقيا هي التي تهدد الإمبراطورية الفرنسية في المغرب .

وقال الكاتبان الفرنسيان كوليت وفرانسيس جانسون : إن الحرب الحاضرة - آنذاك - في الجزائر ليست حرباً دينية أو جنسية أو حضارية ، ولكنها حرب مجموع مظلوم يريد أن يتحرر من ربة مجموع ظالم ،

(١٨) المرجع ٩ : ص ١٧٤

إلا أن الإسلام عنصر فعال في دفع الجزائريين إلى طلب هذا التحرر . لقد أيقن الجزائريون منذ الأيام الأولى للاحتلال أن هدف الفرنسيين كان القضاء على الإسلام ، من أجل ذلك أدركوا جميعاً أن عليهم أن يعتصموا بالإسلام حتى يقدروا على التحرر . والواقع أن الاحتلال الفرنسي (للجزائر) كان منذ البدء ، يحمل هذا المعنى من الحرب الصليبية » (١٩) .

لقد انتصر شعب الجزائر لأنه جاهد باسم الإسلام ، ومن قبل انتصرت شعوب باكستان واندونيسيا لأن الإسلام كان القوة المحركة لجهادها . لكن شعوباً إسلامية أخرى انتكست في نضالها ضد الاستعمار لأنها أغفلت الإسلام وتمسحت بأشياء أخرى ، هيات أن تفعل من أجلها شيئاً ذا قيمة ، فثلها « كباسط كفيه إلى الماء ليلبغ فاه وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال » (٢٠) .

★

٨ — تمزيق الوحدة الإسلامية :

إن المبشرين حرب على كل تجمع إسلامي ، صغر أو كبير ، ولقد كانت لهم اليد النشطة في العمل على انهيار الخلافة العثمانية ، بعد أن عرفوا كيف يستفيدون من حالة الفساد التي تردى إليها الحكم العثماني . فقد كانت تركيا ترتاب في حركات التبشير في إمبراطوريتها ومن ثم وقفت من المبشرين موقفاً حازماً ، فأصبح التبشير بين المسلمين شبه مستحيل . وبعد أن فتحت الجمعية التبشيرية بضع مدارس في لبنان لأطفال الدروز حوالى عام ١٨٧٥ اضطرت للتخلي عنها أمام حزم الحكومة العثمانية .

لقد صمم المبشرون على القضاء على الخلافة العثمانية ، فخططوا لذلك مبكراً ، وتجمعت كل القوى المعادية للإسلام لتعمل معاً من أجل تحقيق ذلك

(١٩) المرجع ٩ : ص ١٧٨

(٢٠) سورة الرعد : ١٤

الهدف الذى تمكنت منه فعلا . فى عام ١٩٠٠ قال رئيس إرساليات التبشير الألمانية فى تقرير له عن أعمالها : « إن نار الكفاح بين الصليب والحلال لا تتأجج فى البلاد النائية ولا فى مستعمراتنا فى آسيا وأفريقيا ، بل ستكون فى المراكز التى يستمد الإسلام منها قوته وينتشر ، سواء كان فى أفريقيا أم فى آسيا . وبما أن كل الشعوب الإسلامية تولى وجهها نحو الأستانة عاصمة الخلافة ، فإن كل المجهودات التى نبذلها لا تأتى بفائدة إذا لم نتوصل إلى قضاء لباتنا فيها . ويجب أن يكون جل ما تنوخواه بجمعية إرساليات التبشير الألمانية هو بناء مجهوداتها نحو هذه العاصمة وهى قلب العالم الإسلامى » (٢١) .

ولقد كان إعلان الحرية العثمانية عام ١٩٠٨ ، وإعلان الدستور فى الإمبراطورية حدثاً كبيراً ، رأى فيه المبشرون فرصتهم السانحة لنجاح حركة التبشير . قال جسب : « إن القضية التى تواجهنا بطبيعة الحال هى : ماذا يكون من أمر هذا الانقلاب العظيم على دين الإمبراطورية ؟ إن هذا سيساعد على طبع الكتب البروتستانتية ، وسيصبح المرء حراً فى أن يغير دينه » (٢٢) .



٩ — إثارة الفتن الداخلية :

يقول الكاتب المسيحى أنيس صايغ فى كتابه « لبنان الطائفى » :

« كانت فرنسا تعتبر نفسها حامية المسيحيين فى الشرق وخاصة المواردية فى لبنان . . ودعمت فرنسا هذه العلاقة السياسية المستترة بثوب دينى يتعهد العلاقات التجارية والإرساليات التبشيرية بين لبنان وفرنسا . فقد ضاعفت فرنسا عنايتها بأمر التجارة وأرسلت القناصل وأسست المكاتب والمراكز الثابتة لتسهيل أمورها . وكانت فرنسا منذ عام ١٥٢٠ قد حاولت ضم لبنان إليها بالقوة للحصول على ثروته وكنوزه ، حينما أرسلت أسطولا يتألف من

(٢١) المرجع : ١٠ ص ١٠٠

(٢٢) المرجع ٩ : ص ٥٢

خمسة عشرة سفينة إلى سواحل لبنان ، إلا أن مسلمي ودروز السواحل هاجموا الجنود الفرنسيين وطردهم . .

أما التبشير فكان الميدان الأوسع لإنماء العلاقات الطائفية . . وبدأت الإرساليات تفد إلى لبنان منذ القرن الثالث عشر . . ورعى ملك فرنسا بنفسه شئون التبشير في ذلك القرن واهتم ببناء الكنائس . . وبدأت فرنسا تستقبل رجال الدين اللبنانيين وتعلمهم في مدارسها الدينية على حسابها . وواصلت فرنسا رعايتها للإرساليات في الشرق بالرغم من اضطهادها لها في فرنسا نفسها .

وكان اهتمام فرنسا وتدخلها يزداد كلما لمست ازدياداً في اهتمام بريطانيا في الشرق . فقد كان لبريطانيا هي الأخرى مطامعها ومصالحها في هذا الجزء من العالم . ولما لم يكن لبريطانيا طائفة تشترك معها في المذهب (آنذاك) اضطرت بادئ الأمر إلى الاعتماد على التجارة والتدخلات الرسمية والخفية في بلاط الخليفة العثماني . . ثم ازداد الاهتمام الإنجليزي بسورية في القرن الثامن عشر ، عندما أصبحت الهند وشرق آسيا محورين رئيسيين للثروة البريطانية الاستعمارية . . وكانت بريطانيا قد سبقت هذه الدول في إرسال دعائها إلى لبنان لتجريض الشعب ضد إبراهيم باشا والأمير بشير فقدم إلى غزير ، في كسروان ، منذ ١٨٣٩ ، كاهن أيرلندي الأصل اسمه وود ، وادعى أنه جاء ليتعلم العربية هناك . لكنه كان إذ يتعلم العربية يلقي بنور الشقاق بين الأهالي . ووعد وود البطريرك حبيش بمساعدة بريطانيا لإعلان لبنان إمارة مارونية ، مقابل مساعدة الموارنة لها . وفي الوقت نفسه أكد وود للدروز صداقة بريطانيا لهم وعطفها عليهم . ومثل وود سعى كل من تشرشل واونفرا والليدي استنوب وغيرهم من البريطانيين الذين أقاموا في لبنان ، تحت ستار توزيع الهدايا ومصادقة الشعب ، إلى إثارة العصبية لفتح المجال أمام بريطانيا لكي تتدخل . . وكذلك انتشر عمال فرنسا في البلاد وتجولوا بين القرى المارونية ، طالبين إلى السكان

رفع الأعلام الفرنسية لنيل حظوة الجيوش الحليفة (التي جاءت لمحاربة إبراهيم باشا) « (٢٣) .

إن سياسة الاستعمار تقوم دائماً على قاعدة: «فرق..تسد» . وأيسر وسيلة للفرقة هي إثارة الفتن الدينية عن طريق عملائه من المبشرين والجواسيس . وما أن جاء عام ١٨٦٠ حتى نشبت بين الموارنة الذين تظلمهم فرنسا ، والدروز الذين تساعدهم بريطانيا ، فتنة طائفية غسلت لبنان بالدماء .

وقد طرب المبشرون لهذه الفتنة ، إذ يقول المبشر الأمريكي هنري جاسب : « لقد اضطربت لها أوروبا وأمريكا ، وأصبح لبنانها معروفاً في العالم الغربي ، فأمكن أن تجمع الإعانات باسمه ، والتبشير فيه » (٢٤) .



١٠ - بناء أكبر عدد من الكنائس والاهتمام بمظهرها :

يحرص التبشير على التأثير على عقلية شعوب العالم الثالث ، والشرقيين بوجه خاص ، الذين ينظر إليهم المبشرون نظرة تكبر واستعلاء . ومن وسائلهم لتحقيق هذا الهدف حرصهم الدائم على أن تكون « كنائس الإرساليات ومدارسها وأنديةها شاهقة غريبة المنظر ، حتى تؤثر في عقول الزائرين وفي عواطفهم وخيالاتهم .. فإن ذلك يقرب غير النصارى إلى النصرانية » (٢٥) .

وفي أندونيسيا قامت « كنائس ومعاهد وجامعات ودور أيتام وملاجيء ومستشفيات ومستوصفات (كلها مسيحية) في مختلف أنحاء العاصمة ومدن الأقاليم وعواصمها ، حتى في المناطق التي عرفت بنقاها الإسلامي من أتباع

(٢٣) المرجع ٩ : ص ١٥٣ - ١٥٤

(٢٤) المرجع ٩ : ص ١٤٢

(٢٥) المرجع ٩ : ص ٢٠٨

الأديان الأخرى . ومبانى هذه المؤسسات تعتبر نماذج فخمة لفن المعمار الحديث ، ومواقعها فى المدن والأقاليم توحى وكأن أندونيسيا بلد نصرانى ٠٠

وفى بعض الأحيان يتم بناء كنائس حتى فى الأماكن التى لا يعيش فيها أى مسيحي ، ويتم استيراد المسيحيين إليها من الخارج عند إقامة القداس الدينى ٠٠ وهم يشترون الأرض بأسعار مرتفعة (كى يجبروا المسلم على بيعها) فى قطعة أرض لها موقع استراتيجى لا تزيد قيمتها عن مائتين وخمسين ألف روبية ، دفع فيها الكاثوليك ٢ مليون روبية وبنوا عليها كنيسة « (٢٦) .

★ ★

ثانياً - العلاج الطبى

إن العلاج الطبى يعتبر واحداً من أخطر وسائل التبشير ، ونظراً لأهميته وخطورته فقد أفردت له موضوعاً مستقلاً ، حتى يمكن معرفة نظرة المبشرين إليه ، وأساليبهم فى استخدامه .

★

الطب وخطورته فى التبشير :

يقول المبشر موريسون : « نحن متفقون بلاريب على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجيين فى المستشفيات : أن ندخلهم أعضاء عاملين فى الكنيسة المسيحية الحية » (١) .

وتقول المبشرة إيرا هاريس وهى تنصح الطبيب الذاهب فى مهمة تبشيرية : « يجب أن تنهز الفرصة لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتكوز لهم بالإنجيل . إياك أن تضع التطبيب فى المستوصفات والمستشفيات فإنه آتمن تلك الفرص على الإطلاق .

(٢٦) المرجع ١١ : ص ٢٨

(١) المرجع ٩ : ص ٥٩

ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك : إن واجبك التطبيب فقط ،
لا التبشير . فلا تسمع منه «(٢)» .

وتحرص مؤتمرات التبشير على أن تكون توصياتها وقراراتها مؤكدة
لخطورة استخدام العلاج الطبي في التبشير ، فنقول : « يجب الإكثار من
الإرساليات الطبية لأن رجالها يمتكون دائما بالجمهور ويكون لهم تأثير على
المسلمين أكثر مما للمسلمين الآخرين .

ويجب على طبيب إرساليات التبشير ألا ينسى ولو للحظة واحدة ، أنه
مبشر قبل كل شيء ، ثم هو طبيب بعد ذلك .

إن المرضى يشدون الرحال من أصقاع بعيدة إلى مستشفيات المبشرين
.. وعندما يرحل الأطباء جاثمين البلاد ، ينثرون في النفوس بذورا يمكن
للمبشرين وبائعي الكتب أن يحصدها بعد ذلك وينمو أغراسها .

ويتقرب المبشرون إلى المسلمين بالمدارس والإرساليات الطبية ، وهذه
الإرساليات الطبية مثل الشوك في أجسام زعماء المسلمين الذين يسلون
أنفسهم قائلين إن الله أرسل هؤلاء الأطباء ليخدمونا !

وإن النساء المبشرات اللاتي يتعاطين الطب يلاقين مزيد الحفاوة ، لأن
المسلمين لا يهتمون بأعمال النساء المبشرات ، ولا يضمرون لهن سوءاً «(٣)» .
من أجل ذلك لا يرحب المبشرون بإنشاء مستشفيات وطنية في مناطق
عمالهم ، لأن ذلك يمنعهم من اقتناص الصيد الذي جاءوا من أجله .

يقول المبشر الطبيب بول هاريسون : « إن المبشر لا يرضى عن
إنشاء مستشفى .. لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها
تصارى «(٤)» .

وهكذا تنكشف أمام الناس الفضائح التي انطوت عليها نفوس المبشرين .



(٢) المرجع ٩ : ص ٦٢

(٣) المرجع ١٠ : ص ٢٥ ، ٤٢ ، ٧٦ ،

(٤) المرجع ٩ : ص ٥٩

أساليب التبشير الطبي :

في مستشفيات المدن : « يذكر الإنجيل للمرضى بأسلوب بسيط لا يدعو إلى التطرف في المناقشة » (٥) .

وفي الأدغال والفيافي « يعلنون عن مجيء الطبيب قبل أن يصل بوقت طويل . فيأتي الناس من كل صوب يحملون مرضاهم ، وينتظر الجميع قدوم الطبيب . في هذه الأثناء يقوم فيهم المبشرون » .

وفي جميع الأحوال فإنهم « لا يعالجون المريض إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح – أو قبل أن يركع المرضى ويسألوا المسيح أن يشفيهم » (٦) .

وتذهب الطبييات المبشرات إلى البيوت والقرى للاتصال مباشرة بالنساء ، واستخدام نفوذ المرأة في الوصول إلى أهدافهم ، حيث إن المريض في تلك الحالة يكون وسيلة لجمع عدد كبير من المسلمين حوله .



وهكذا حوّل المبشرون الطب – وهو واحدة من أكرم المهن الإنسانية – إلى وسيلة خداع ، وأداة رق ، لا تأسر البدن وإنما تسترق الروح ، فتفتن فقرا المسلمين في دينهم ، بعد أن وقعوا فريسة في أيدي « ذئاب في جلود نعاج » .



(٥) المرجع ١٠ : ص ٢٦

(٦) المرجع ٩ : ص ٦٢ ، ٦٤

ثالثاً - الشؤون الاجتماعية

(١) الأعمال الاجتماعية ستار للتبشير :

يقول المبشر صموئيل زويمر : «إن أكبر حجة كان المبشرون يدعمون بها أعمالهم التبشيرية منذ مائة سنة ، كانت لاهوتية دينية محضة ، أما الآن فقد أصبحت أعمالهم مشفوعة بأسباب اجتماعية .

وكان ينظر في سابق الأيام إلى المبشرين نظر قوم يشنون حرباً صليبية ترمى إلى التنصير فقط ؛ فتحولت الأفكار وصارت الأعمال التبشيرية تشف عن فكرة الإصلاح الاجتماعي وعن رفع شأن الشعوب غير المسيحية .. وإن الخطة الفاسدة الخطرة التي تقضى ببث مبادئ المدنية مباشرة ثم نشر المسيحية ثانياً ، عقيمة لا فائدة ترجى منها : لأن إدخال الحضارة والمدنية قبل إدخال المسيحية ، لا تحمد مغبته ، بل تنجم عنه مساوئ كثيرة تفوق المساوئ التي كانت قبلاً» (١) .

ويقول المبشرون في مؤتمراتهم التي تعقد من أجل مراجعة موقف التبشير والعمل من أجل إنجاحه بين المسلمين : «إن المسلمين يدعون أن في الإسلام ما يلبي كل حاجة اجتماعية في البشر ، فعلينا أن نقاوم الإسلام دينياً بالأسلحة الروحية . فالنشاط الاجتماعي يجب أن يرافق التعليم المباشر للإنجيل ويساعده ويتمه . فلنبداً بالصلوات اليومية ، تلك التي تتصل بالطفل وبالمراة ، ثم نتوسع في تلك الصلوات حتى تبلغ المبادئ الواسعة التي أقرتها عصبة الأمم . فأمام الكنيسة اليوم مناسبات ممتازة تتيح (للمبشر المسيحي) أن يتصل برجال ونساء في البيئة (الإسلامية) الراقية لم يكن بإمكانه من قبل أن يتصل بهم ..

من أجل ذلك نحن ننصح بالسير في الأعمال الاجتماعية على الأسس

التالية :

(١) المرجع ١٠ : ص ١٠٣ - ١٠٤

إيجاد بيوت للرجال والنساء وخصوصاً الطلبة منهم ومنهن - إيجاد
أندية الاعتناء بالتعليم الرياضي وأعمال الترفية - حشد المتطوعين لأعمال
هذه الأعمال . .

وعلى المبشرين أن يتعرفوا على أحوال المسلمين الاجتماعية والاقتصادية
حولهم ، ثم يسعوا إلى الإصلاح سعياً إلى التأثير على الرأي العام .

وما يجب أن يهتم به المبشرون : إصلاح الأحداث - الحيلولة دون
الزواج المبكر - الحيلولة دون تشغيل الأطفال - محاولة إصلاح الأحوال
العامة فيما يتعلق بساعات العمل والأجور والأمور الصحية - الرفق
بالحيوان «(٢)» .

وقد اضطرت حركة مقاومة التبشير التي انتهجها الشبان المتعلمون
المسلمون في مصر - في أوائل هذا القرن - إلى أن يعمل المبشرون من
أجل « إعادة ثقة الشباب المسلم فيهم ، فصار هؤلاء المبشرون يلقون محاضرات
في موضوعات اجتماعية وخلقية وتاريخية ، لا يستطردون فيها إلى مباحث
الدين ، رغبة في جلب قلوب المسلمين إليهم . وأنشأوا بعد ذلك في
القاهرة مجلة أسبوعية اسمها : الشرق والغرب ، افتتحوا فيها باباً غير
ديني ، يبحثون فيه الشؤون الاجتماعية والتاريخية ، وأسسوا مكتبة لبيع
الكتب بأثمان قليلة . والغرض من ذلك استجلاب الزبائن ومحاذتهم أثناء
البيع (وبعد ثلاث سنوات) تسنى للمبشرين أن يتوصلوا إلى النتائج الآتية :
الأولى : أنهم عرفوا أحوال البلاد وأفكار المسلمين وشعورهم
وعواطفهم وميولهم .

الثانية : أنهم حصلوا على ثقة عدد من المسلمين بهم .

(٢) المرجع ٩ : ص ١٩١ - ١٩٢

الثالثة : أن المبشرين تحققتوا أنهم بتظاهريهم في التودد إلى المسلمين وميلهم إلى ما تطلع إليه نفوسهم من الاستقلال السياسي والاجتماعي والنشأة القومية يمكنهم أن يدخلوا إليهم» (٣) .

وتحت ستار العمل الاجتماعي ، يقوم المبشرون بمشاريع تحمل صفة تنمية البيئة صناعياً وإنعاش القرى اجتماعياً ، وفيها « يجرى التبشير في المزارع ، حيث يعيش المبشرون مع الفلاحين عيشة فلاحية وزراعة من غير أن يتظاهروا بأنهم مبشرون.. كذلك يخالط المبشرون العمال ويعايشوهم حتى يسيطروا على الأوساط الصناعية بروح نصرانية . و (يحرص) المبشرون على أن يؤثروا في العمال غير النصارى بسلوكهم الشخصي فيمثلوا لهم بأقوالهم وأعمالهم أن التقدم مسيحي ، وأن الاختراعات والاكتشافات مسيحية ، وأن الطرق الحديثة في الصناعة مسيحية أيضاً » (٤) .

ولما كانت أندونيسيا تقوم بتنفيذ مشروع « التهجير الداخلي » الذي يعتبر واحداً من برامج الإنماء القومي ، والذي يعنى نقل السكان من جاوا المكتظة بالسكان إلى مناطق أخرى خارجها تتميز بقلّة الأيدي العاملة ووفرة الخصوبة - فقد استفادت إرساليات التبشير من المشاركة في هذا المشروع فائدة كبيرة ، وقد شجع مجلس الكنائس العالمي في مؤتمره الذي عقد بمدينة أوبسالا بالسويد عام ١٩٦٩ على توظيف أموال الكنائس الأوروبية والأمريكية في مشروعات البلاد النامية .

وتقوم هيئات التبشير بانتداب رجالها للانخراط وسط المهجرين بوصفهم « مرشدين اجتماعيين » للأفواج المهاجرة ، فيندمج هؤلاء المرشدون « مع المهجرين في مستوطناتهم الجديدة اندماجاً يتيح لهم بكل سهولة ممارسة نشاطهم الحقيقي بدون معتب أو رقيب أو منافس . وأنى للمسلمين أن يجاروا بل أن ينافسوا في هذا العمل الذي يتطلب الكثير من المال ، خاصة وأن كثيراً

(٣) المرجع ١٠ : ص ٢٢ - ٢٣

(٤) المرجع ٩ : ص ٢١٥ - ٢١٦

من المهجرين يرحلون إلى مستوطناتهم بالطائرة التي تستأجر خصيصاً لهذا الغرض . .

وقد وصلت تقارير عن ارتداد عدة أسر كانت مسلمة أول ما استوطنت مهاجرها في مالوكو وسيرام وكاليمنتان ، ثم تنصرت أخيراً (٥) .



٢ - استغلال حالات الفقر والحاجة :

إذا كان الاستعمار القديم قد تمثل وجوده في احتلال عسكري للبلاد المستعمرة ، فإن الاستعمار الجديد يتمثل حالياً في خلق التبعية الاقتصادية والغزو الفكري والربط عن طريق الأحلاف ، وهكذا طور الاستعمار شكله .

وكذلك التبشير - بعد أن طور نفسه على شاكلة الاستعمار القديم - إذا به يوجد نوعاً من العبودية والرق البشري ، ولكن في ثوب جديد . لقد كان الرق في صورته التقليدية القديمة يعنى التجارة في الآدمى واعتباره سلعة تباع وتشتري وتمتلك ، أما الرق الجديد الذى استحدثه التبشير ، فهو استعباد لروح الإنسان وفكره ، وهو أشرف أنواع الرق على الإطلاق .

مثال ذلك ما فعله البعثات التبشيرية في أفريقيا ، إذ تستغل حالة البؤس التى تعيشها الأسر الفقيرة المسلمة ، فتوقع معها عقوداً - كما حدث في السنغال - تقدم «موجبها تلك البعثات التبشيرية الى الأسر السنغالية مساعدات عينية من أرز مثلاً في كل شهر ، على أن يكون لها الحق في اختيار طفل من أطفال الأسرة تربيته على حسابها .

ويكون في العقد مادة تنص على أن الأسرة مجبرة على رد ثمن المساعدات وعلى دفع نفقات ابنها ونفقات تعليمه ، إذا همي خالفت شروط العقد (بطلب استرداد ابنها مثلاً) .

(٥) المرجع ١١ : ص ٩٣ - ٩٤

وتختار البعثة التبشيرية من أطفال تلك الأسرة صمياً دون الخامسة من العمر ثم ترسله الى مدرسة . وينقطع الصبي عن أهله وينشأ تنشئة مسيحية ثم يرسل الى فرنسا لإتمام تعليمه العالى . بعدئذ يعاد إلى السنغال ليستخدم في الأغراض التي توافق هوى فرنسا « (٦) » .

ويحرص المبشرون على أنه بجانب كل مدرسة يدفع طلابها النفقات المدرسية ، فيجب أن تقوم مدرسة صغيرة للفقراء مجانية ، لا لتعليمهم في الدرجة الأولى ، بل لحفظ المظهر التبشيري بادية للعيان . إن الفقراء أكثر انقياداً لقبول هذا المظهر من أئدادهم من أبناء الأغنياء « (٧) » .

ولقد حدث في أعقاب الانقلاب الشيوعي الفاشل في أندونيسيا عام ١٩٦٥ ، أن ألقى القبض على عشرات الألوف ممن ثبتت علاقاتهم بالانقلاب أو اشتبهوا بالمشاركة فيه ، وأودعوا المعتقلات رهن التحقيق . « ولقد سمحت الحكومة للهيئات الدينية أن تقدم خدماتها الإرشادية إلى المعتقلين رجاء إمكان إصلاحهم وإعادةهم إلى حظيرة الإيمان والعقيدة . فخرج المبشرون من مختلف الطوائف والنحل يباشرون نشاطهم مع هؤلاء ..

وكان المبشرون يريدون لهم استعدادهم لإعالة ذويهم وإعاشة أسرهم ، شرط أن يوقعوا على صك الاعتراف بانضمامهم إلى الكنيسة التي يبشرون بها . وهؤلاء البؤساء يعرفون جيداً تدرى الأوضاع الاقتصادية آنذاك ، وماذا يعنى ذلك بالنسبة لذويهم . لذلك سارعوا في الاستعداد للتوقيع على الاعتراف ؛ واثقين من أن في عملهم ذاك سلامة أسرهم من غوائل الجوع والمسغبة « (٨) » .

★

(٦) المرجع ٩ : ص ٣

(٧) المرجع ٩ : ص ٢٠٩

(٨) المرجع ١١ : ص ١١٩

٣ - استمالة المسلمين والتحريك بهم :

يقول القس هاريك : إنه اقتنع بأن لا فائدة ترحى لطريقة المناظرة والجدل مع المسلمين « ويجب على المبشر أن يظهر للمسلم أن النصرانية ليست عقيدة دينية ولا دستوراً سياسياً ، بل هي الحياة كلها ، وأنها تحب العدل والظهر وتمقت الظلم والباطل : نفتح للمسلم مدارسنا ، ونتلقاه في مستشفياتنا ، ونعرض عليه محاسن لغتنا ، ثم نقف أمامه منتظرين النتيجة بصبر وتعلق بأهداب الأمل . إذ المسلم هو الذى امتاز بين الشعوب الشرقية بالاستقامة والشعور بالحب ومعرفة الجميل . بهذه الطريقة يمكن للمبشر أن يدخل الى قلوب المسلمين . » (٩)

ومن الوسائل التى يراها المبشرون ناجحة فى استمالة المسلمين العوام : « العزف بالموسيقى . . وعرض مناظر الفانوس السحرى عليهم . . وأن يتعلم المبشرون لهجاتهم العامية واصطلاحاتها نظرياً وعملياً ، وأن يدرسوا القرآن ليقفوا على ما يحتويه ، وأن يخاطبوا العوام المسلمين على قدر عقولهم ومستوى علمهم ، ويجب أن تلقى الخطب عليهم بأصوات رخيمة وبفصاحة ، وأن يخاطب المبشر وهو جالس ليكون تأثيره أشد على السامعين ، وأن لا يتخلل خطابه كلمات أجنبية عنهم ، وأن يبذل عنايته فى اختيار الموضوعات . . ومن الضرورى أن يكون خبيراً بالنفس الشرقية وأن يستعمل التشبيه والتمثيل أكثر مما يستعمل القواعد المنطقية » (١٠) .



٤ - التركيز على المرأة المسلمة :

يدرك المبشرون خطورة أثر المرأة المسلمة - كأم حالياً أو مستقبلاً -

(٩) المرجع ١٠ : ص ٢٨ - ٢٩

(١٠) المرجع ١٠ : ص ٢٢

في الأسرة ، ولذلك يتولون : « بما أن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها — ذكوراً وإناثاً — حتى سن العاشرة من عمرهم بالغ الأهمية ، وبما أن النساء هم العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة ، فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية . » (١١)

وقد بلغ الهوس الديني بالعاملين في مجال التبشير أن صاحبت المبشرات في مؤتمر القاهرة التبشيري قائلات : « لا سبيل إلا بجلب النساء للمسيح ؛ إن عدد النساء المسلمات عظيم جداً . . فكل نشاط مجد للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما بذل إلى الآن . نحن لا نقترح إيجاد منظمات جديدة ، ولكننا نطالب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فرعها النسائي على العمل ، واضعة نصب عينها هدفاً جديداً هو الوصول إلى نساء العالم المسلمات كلهن في هذا الجيل » (١٢) .

وقد لخص مؤتمر قسطنطينية — بالجزائر — طرق التبشير بين النساء ، فقال :

« إن الحاجة الملحة المستعجلة إنما هي لإنشاء بيت أو بيوت للنساء المطلقات وللأرامل الصغار . ويجب ألا تكون هذه البيوت مؤسسات كبيرة ، بل أماكن ينجم عليها الجور العائلي ، ثم تفرق النساء فيها حسب أحوالهن وحاجاتهن . وكذلك مكث هؤلاء النسوة في تلك البيوت يجب أن يطول أو يقصر حسب مقتضيات الشخصية لكل واحدة منهن . ثم إن كل فتاة يجب أن تعلم من الصناعات المحلية ما يمكنها من العيش به بعد أن تغادر تلك البيوت ..

وأخيراً نرى أن أمثال هؤلاء النسوة يكن في أثناء مكثهن في هذه

(١١) المرجع ٩ : ص ٢٠٣

(١٢) المرجع ٩ : ص ٢٠٤

البيوت تحت تأثير الإنجيل ، ثم إننا نختار منهن أولئك اللواتي يرجى أن يمرن أكثر من سواهن ليكون بدورهن مبشرات بين قورمهن » (١٣) .



٥ - التماط أطفال المسلمين بمختلف السبل :

كتب أمار دو جلاس مقالا عنوانه : كيف نضم إلينا أطفال المسلمين في الجزائر ، « ذكر فيه أن ملاجيء قد أنشئت في عدد من مناطق الجزائر في شمال أفريقيا لإطعام الأطفال الفقراء وكسائهم وإيوائهم أحيانا . ثم قال : إن هذه السبل لا تجعل الأطفال نصارى ، لكنها لا تبيهم مسلمين كأبهم » (١٤) .

وقد مارس المبشرون نظام تبني الأطفال البائسين مثل « نظام تبني فوستر » ، وفيه يتم التنفيذ « باختيار الأطفال البائسين ، فيعرض على ذويهم السماح بتبنيهم من قبل محسنين في أوروبا وأمريكا وكندا وأستراليا . ولا يعنى هذا التبني إلا مجرد وجود من يكفل لأولئك الأطفال مهمة الإنفاق على أمور تعليمهم ومعاشهم مع بقائهم وسط أسرهم وأهلهم . وكل ما هناك شخص يمثل الآباء المتبنين يتعهد أبناءهم ويتصل بهم ويقدم لهم نفقاتهم ويتعهد أحوالهم . وسرعان ما تتبدل حياة هؤلاء الأطفال من الفاقة والخصاصة إلى السعة والبسطة في العيش . وتتغير سلوكهم وثباهم مما قد يثير لدى أندادهم من الأطفال ما يجعلهم يتلمظون لهفة على الخطوة بمثل ذلك .

ولكن هذا الأسلوب الذى يركز على أطفال المسلمين البائسين فى جاوا « باندونيسيا » لم يتحقق له النجاح المأمول . . لكن البرنامج مستمر لما يتميز به القوم « المبشرون » من إصرار وصمود .

(١٣) المرجع ٩ : ص ٢٠٥

(١٤) المرجع ٩ : ص ١٩٤

ولكن هناك أسلوباً آخر أشد خطراً ، ويحمل شعار : «أنقذوا الأطفال» فهو أسلوب برىء المظهر ، بارز التجرد لعمل البر والإحسان . «(١٥) وهو يغدق على الموظفين الذين يستخدمهم من المسلمين للعمل به أجوراً عالية تجعلهم ينزلقون في خدمة التبشير وقد أعتمهم الماديات عن حقيقة أعمالهم .



٦ — استندراج المسلمين إلى جمعية الشبان المسيحيين :

يقول ولبرت سميث في مقال بعنوان « جمعية الشبان المسيحيين في الشرق الأدنى » :

« إن جمعية الشبان المسيحيين قد جاءت إلى الشرق الأدنى لتعاون المؤسسات المسيحية . أما هدفها الرئيسي فهو تنشئة الشبان على أسس مسيحية . ولفروع هذه الجمعية منهاج دائم ولها اجتماعات تعرض فيها الدعوة بلا استحياء ولا تحوير . وهناك أيضاً سلسلة من الاجتماعات التبشيرية » (١٦) .

ويقول كورنيليوس باتون في كتابه « عمل الإرساليات » : « إن تقسيم العمل بين العاملين المسيحيين (في حقل التبشير) قد اقتضى بناء على الترتيب الحكيم ، أن يعهد إلى جمعية الشبان المسيحيين بالعمل في المدن ، وخصوصاً بين الطلاب والطبقات المثقفة في المدن .. إن هذه الجمعية تستطيع بواسطة نشاطها الجانبي في الحياة الاجتماعية والرياضية ، أن تجتذب رجالاً ليس بالإمكان أن يتقبلوا النصرانية بطريقة شخصية » (١٧) .

ويقول إديسون : « إن عوامل التعليم المسيحي في مصر ، تزيد قوة على قوتها بمؤسستي جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات . . إن لهاتين الجمعيتين مراكز نشيطة ، وخصوصاً في القاهرة والإسكندرية .

(١٥) المرجع ١١ : ص ٩٥ - ٩٦

(١٦) المرجع ٩ : ص ٢٠٢

(١٧) المرجع ٩ : ص ٢٠٢

هذه الفروع تقدم مناسبات مختلفة للألعاب الرياضية . . وتهىء في المجتمع ألواناً من النشاط تندر في الشرق.. وفي هذا اقتراب من المسلمين . « (١٨)

★

٧ - استخدام الرشوة :

عندما تحيب أساليب المبشرين في العمل بين المسلمين لتنصيرهم ، فإنهم يلجأون إلى الرشوة ليفسدوا بها ضمائر الذين يستميلونهم . « وحينما ظهر اليسوعيون للمرة الأولى في شرق الأردن ، رشوا نفرأ من النصارى الأرثوذكس للانضمام إلى الكنيسة الرومانية . على أن البروتستانت كانوا أشد إغلا في إفساد الضمائر ، فقد اتخذوا سماسرة يجلبون لهم الذين كانوا يرضون أن يبدلوا دينهم ، وكانوا يدفعون عن كل رأس عشرة قروش ذهباً » (١٩).

★ ★ ★

الخلاصة :

من المعلوم أن للتبشير وسائل كثيرة يستخدمها في مختلف المجالات التي يعمل فيها من أجل تنصير المسلمين ، أو على الأقل لإخراجهم من الإسلام . وقد اكتفيت هنا بعرض الوسائل الرئيسية التي يستخدمها التبشير ، وأغلبها يتكوّن من عدد من الوسائل الفرعية التي يطول الحديث فيها .

والآن ونحن نختتم هذا الفصل عن « وسائل التبشير في العالم الإسلامى » فمن الواجب أن نذكر بهذه الوسائل الرئيسية بعد جمعها معاً ، لتكون واضحة تحت بصر المسلم وسمعه - وهي كالاتى :

تشويه الإسلام - تحريف فهم القرآن .

اعتبار التعليم الإرسالى أقوى الوسائل - استخدام الصحافة والطبع على أوسع نطاق .

مقاومة الأزهر وإضعاف تأثيره .

إذاعة الدعوات المشبوهة مثل الدعوة إلى التسامح المشبوه ، والدعوة

إلى الحوار المشبوه - الدعوة إلى الشعبوية والقومية .

(١٨) المرجع ٩ : ص ٢٠١

(١٩) المرجع ٩ : ص ٥٠

- العمل المستمر من أجل تمزيق الوحدة الإسلامية .
- إثارة الفتن الداخلية .
- بناء أكبر عدد من الكنائس والاهتمام بمظهرها .
- استخدام العلاج الطبي كوسيلة فعالة .
- اتخاذ الأعمال الاجتماعية ستاراً للتبشير .
- استغلال حالات الفقر والحاجة .
- استمالة المساميين والتحكك بهم .
- التركيز على المرأة المسلمة .
- التقاط أطفال المسلمين بمختلف السبل .
- استدراج المسلمين إلى جمعية الشبان المسيحيين .
- استخدام الرشوة .

✱

والآن . . .

لا أظن أحداً من المسلمين الحريصين على دينهم في حاجة لأن يسأل :
وما العمل لمقاومة التبشير بين المسلمين ؟
فلقد تحددت إجابة هذا السؤال — وأمثاله — حين تحددت وسائل
التبشير في العالم الإسلامي . . .
وهي وسائل يستطيع المسلمون مقاومتها تماماً ، إذا أخلصوا يومهم لله ،
وقد منحهم — سبحانه — الكثير والكثير . . .
أما إذا قعدوا مستعجزين ، ينتظرون آية من السماء ، فليعوا القول المأثور :
« إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » . . .

وأخيراً ، يكفهم قول الله : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا
ينفقونها في سبيل الله ، فابشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عنها في نار جهنم ،
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا
ما كنتم تكنزون » (التوبة : ٣٤ ، ٣٥) .

★★

خاتمة

- التبشير بين الماضى والحاضر ◦
- المسلمون فى مواجهة الخطر التبشيري ◦

التفسير بين الماضي والحاضر

يستوقف النظر في دراسة التبشير في العالم الإسلامي ، عدد من الملاحظات .
إلا أن اثنتين منها جديرتان بالتدبر والاعتبار ، لما لها من دلالات وماتحملانه
من معاني ؛ ترتبط بسير الأحداث في العالم الإسلامي ، حاضره وماضيه .
وفيما يلي عرض موجز لكل من هاتين الملاحظتين .

★ ★

التبشير قوة محرّكة عالمية :

لقد لمعت أسماء في مجالات السياسة ، وفرضت أسماء في تاريخ
العلوم والاكتشافات ، ولكنها في الواقع كانت إما أسماء لمبشرين ؛ أو
لشخصيات تنبى الفكر التبشيري وتعمل من أجل تنفيذ سياساته . وإذا
كانت المشكلة الفلسطينية تعتبر الطعنة الثانية الخطيرة التي تلقاها العالم
الإسلامي في القرن العشرين - بعد الطعنة الأولى وهي هدم الخلافة الإسلامية -
فإن الفكر المحرك لتنفيذ هذه الطعنة كان - ولا يزال - فكراً تبشيراً .
فقد ذكرت بربارة تونجمان في كتابها « التوراة والسيف » عند
الحديث عن فكرة نقل فلسطين إلى المذهب الإنجيلي كاني (مذهب الدولة
في إنجلترا) ، فصلاً كاملاً عن اللورد شافنبري « الذي كان يمثل
فكرة تنصير فلسطين ورد اليهود منصرين إليها ، أو تنصيرهم بعد ردهم إليها ،
وإعلان الحماية (البريطانية) عليها . ولقد روج اللورد بالمرستون وزير
الخارجية البريطانية لهذه الدعوة برسالة وجهها إلى جريدة التايمز اللندنية ،
فنشرتها الجريدة في السابع عشر من أغسطس عام ١٨٤٠ .

ومن الشخصيات الإنجليزية التي عملت بما فكر به شافنبري وسعى
إليه بالمرستون ، وممن اشتهروا ودارت أسماؤهم في السياسة الشرقية

والعربية : رئيس الوزارة البريطانية جلادستون ، والقائد البريطاني الجنرال جوردون ، والمستكشف البريطاني لفنجستون ، والمرضة الشهيرة فلورانس نايتنجال « (١) .

أما دافيد لفنجستون (١٨١٣ - ١٨٧٣) رحالة بريطانيا الشهير ، فلم تكن رحلته المشهورة في تاريخ الاستكشافات الجغرافية إلا عملاً تبشيريًا . فقد قال رولاندر أوليفر في كتابه « العامل التبشيري في شرق شرق أفريقيا » : « لقد أعد لفنجستون نفسه منذ سنواته الأولى حينما كان يعمل في جمعية التبشير اللندنية ، للاضطلاع بمشاكل التبشير الخاصة بأفريقيا الاستوائية . .

وبما أنه كان أولاً وقبل كل شيء مبشراً مسيحياً ، فلقد اختار كعضو في هذه الحركة التبشيرية أن يبحث عن نهر تستطيع السفن أن تمخر فيه داخل البلاد « (٢) .

وحيث عقد مؤتمر أدنبرج التبشيري عام ١٩١٠ كان يضم « ١٢٠٠ مندوب بينهم ٥٠٢ من الإنجليز ، و ٥٠٥ من الأمريكان .

ومن مندوبي التبشير الأمريكيين المستر روزفلت - رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق - لكنه أرسل رساله اعتذار عن عدم تمكنه من الحضور . إلا أن المستر براين استطاع أن يحضر - وهو خطيب أمريكا المشهور وقد رشح نفسه لرئاسة جمهورية الولايات المتحدة مراراً « (٣)

وقد كان الغرض من ذلك المؤتمر هو « البحث في مسائل العالم الخارج عن النصرانية ، والاهتمام بإيجاد وحدة وتضامن بين المبشرين في أعمالهم » . وقد كوّن المؤتمر ثمان لجان ، كان من أهمها « اللجنة السابعة التي كان

(١) المرجع ٩ : ص ١٨٥

(٢) المرجع ٩ : ص ٥١

(٣) المرجع ١٠ : ص ٤٤

اللورد بلفور رئيس شرف لها . وقد نظرت هذه اللجنة في المستندات التي وردت إليها من المبشرين عن علاقاتهم بحكومات البلاد الموجودين فيها ، وعمّا إذا كان يوجد في سبيل التبشير ونحوه موانع وعقبات . وعلى هذا فاللجنة السابعة بحثت حالة التبشير في كل البلاد «(٤)» .

وهكذا ارتبطت بالتبشير تلك الأسماء اللامعة في مجالات السياسة والاستعمار مثل : بالمرستون - جلادستون - جوردون - روزفلت - بلفور

هذا ما كان من رجال العالم البروتستانتى ، الإنجلوسكسونى . وما من شك في أن لهم نظير في العالم الكاثوليكي . وخاصة : الفرنسى - الأسبانى - البرتغالى ، الذى صال وجمال كثيراً في مستعمراته التى أطلق عليها ما وراء البحار .

هل يستطيع أحد - بعد ذلك - أن ينكر دور التبشير في تحريك القوى العالمية التى تعمل - دائماً - ضد العالم الإسلامى ؟ !

★ ★

الاستعمار ومشاعر المسلمين ضد التبشير :

« في عام ١٨٩٩ جمع المبشرون البريطانيون والمبشرون الأمريكيون جهودهم في السودان ، واتخذوا مراكز لهم في الخرطوم وأم درمان ، غير أن التبشير بين المسلمين ظل ممنوعاً فإن اللورد كاتشر ، وكان يومذاك الحاكم العام في مصر والسودان باسم بريطانيا ، رفض أن يقوم المبشرون بأعمال في بلاد أهلها مسلمون ، بينما الحكومة البريطانية لا ترغب في عرقلة أعمالها السياسية في المناطق التى كانت قد بسطت عليها نفوذها أولم تستطع بعد أن تثبت هذا النفوذ . .

(٤) المرجع ١٠ : ص ٥١

ثم إن الحكومة الإنجليزية قسمت السودان قسمين : 'قسماً شمال
خط العرض ١٢ ، عدته قسماً إسلامياً لا يجوز السماح فيه للمبشرين بالقيام
بأعمالهم علناً . وكذلك أوجبت الحكومة الإنجليزية على المدارس التبشيرية
ألا تعلم الدين المسيحي لتلميذ اختار ولى أمره أن يدخله فيها إلا إذا
حصلت من الولى على إذن خطى بذلك .

أما جنوب خط العرض ١٢ فعده الحكومة الإنجليزية قسماً وثانياً
خالصاً ، ومنعت المسلمين من السفر إليه ، حتى تتيح للمبشرين المسيحيين
أن يعملوا فيه بحرية ، ثم كانت هي تقدم لهم جميع المساعدات فى
سبيل ذلك « (٥) .

وقد انتقدت اللجنة السابعة - التى انبثقت عن مؤتمر أدنبرج التبشيري
- انتقاداً شديداً « الخطة غير المسيحية التى تنتهجها بعض الدول الأوروبية
مثل إنجلترا فى النيجر والسودان ، وقالت إنها خطة من شأنها ترويح
الإسلام والتزام طرقة (٦) .

وفى مؤتمر التبشير فى لكونو بالهند - الذى عقد عام ١٩١١ -
تحدث المبشر السويسرى فرنر « عن المدرسة التى أسستها إنجلترا فى
سيراليون بغرب أفريقيا لتعليم أطفال القبائل الإسلامية والوثنية باللغة العربية .
وعدم تعليمهم الديانة النصرانية احتفاظاً بمبادئها فى إحياء الدينى .

ثم قال : ولو اتفق أن المسلمين غضبوا للصورة الموجودة فى كتب
دروس الأثنياء ، فلا تتأخر إدارة المستعمرات الإنجليزية عن استفتاء
علماء الإسلام فى الآستانة ومصر والهند ، استرضاء لآباء التلاميذ
وأقاربهم « (٧) .

(٥) المرجع ٩ : ص ٢٣٧ - ٢٣٨

(٦) المرجع ١٠ : ص ٤٩

(٧) المرجع ١٠ : ص ٦٨

كذلك هاجم إنجلترا - وغيرها من الدول - مبشرون آخرون في ذلك المؤتمر بدعوى أنها تعزقل أعمال التبشير، كما في السودان» حتى أن كلية جوردون التي أسستها الأمة البريطانية (١). أصبحت مدرسة إسلامية محضة. والحكومة الإنجليزية في نظر المبشرين ملومة على انتهاجها خطة الحياد وشدها أزر المدارس الإسلامية في سيراليون. كما أن ذوى الأمر من الإنجليز في نيجيريا لا يحسنون معاملة إرساليات التبشير المسيحية، ولا يسمحون لهم بفتح المدارس العصرية بكل حرية

وأما الحكومة الفرنسية فتسلك خطة الخدر التي تنطوى على الود والإخلاص نحو المبشرين . . . وإن تكن تسمح للمبشرين بارتداد الجزائر وتونس بدون تعصيد، ويخشى أن تحظر عليهم التجول في الصحراء والنيجر وأقاليم بحيرة تشاد وداى .

وقد لام المبشرون الحكومة الروسية لتباين أعمالها، فقد يتفق في بعض الأوقات أنها تروج أعمال المسلمين التي تضر بالمسيحيين التابعين للكنيسة الرسمية الروسية «(٨)» .

وقبل أكثر من سبعين عاماً «حاول المبشرون الهولنديون - أيام سيطرة هولندا على أندونيسيا - أن ينصروا الأندونيسيين المسلمين، ولكن الحكومة الاستعمارية الهولندية رفضت ذلك بشدة، فثارت نائرة المبشرين وهاجموا الحكومة الهولندية في البرلمان الهولندي واتهموها بأنها تحمى الإسلام في أندونيسيا. والحكومة لم تكن تحمى الإسلام، ولكنها تحمى مصالحها في أندونيسيا من أى استفزاز تقترفه حماقة التبشير مع المسلمين في أندونيسيا» (٩) .

★ ★

(٨) المرجع ١٠ : ص ٨١ - ٨٢

(٩) المرجع ١١ ص ٤٦

هذا - وبعد أن نقرر أن صراخ المبشرين ضد الدول الاستعمارية ، وادعاءاتهم بأن تلك الدول كانت تعرقل أعمال التبشير في مستعمراتها وتكاد تساعد الإسلام على التقدم والانتشار - كل ذلك لا يعدو أن يكون من باب المبالغات ، وأسلوباً من أساليب المزايدات الرخيصة التي يبيغون من ورأها إلى زيادة تدعيم الدول الاستعمارية لهم . وإذا كان بعض المبشرين المتهورين قد اقترح خططاً لتنصير العالم الإسلامي في مدة ٢٥ عاماً ، فإن سلوك دول الاستعمار إزاءهم يمكن مقارنته بسلوك الأب أمام ابن متهور ، يخشى من اندفاعاته التي قد تجلب الضرر للوالد وولده على السواء .

لكن شيئاً واحداً يجدر تسجيله ، وهو أن المسلمين منذ مطلع هذا القرن والقرون التي سبقتة ، كان يحسب لمشاعرهم كل حساب . لقد كان يحكمهم مستعمرون أجانب ، لكنهم فطنوا إلى أن الإسلام حين يغضب فهو أمر عظيم ، من أجل ذلك راعوا أحاسيس المسلمين ومشاعرهم الدينية ، وقيدوا - قدر ما كان متاحاً - أعمال التبشير المسيحي بينهم .

ولكن إذا نظرنا إلى حال المسلمين اليوم ، نجد عجباً . . .

فقد استقلوا بعد استعمار ، وصارت أمورهم بأيديهم ، وأصبح لهم بين القوى البشرية والعسكرية والاقتصادية مكان ، وزاد اتصاهم ببعضهم ، وانتظموا في مؤسسات إقليمية ودولية ، ويكفي أنهم يمثلون حوالي ٣٠٪ من مجموع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ، و...

ومع ذلك كله ، فإن التبشير المسيحي ينطلق بينهم اليوم بأضعاف قوته أيام كان الاستعمار يكتم أنفاس المسلمين جميعاً ، لإقالة قلبية كاليمن ونحوه . ما السبب - إذن - في تردى المسلمين إلى هذا الوضع الخطير؟

إنه سؤال يلاحق كل مسلم ، مهما اختلفت أوضاعه ومسئوليته ... ولعل بعض المسلمين يشاركني الرأي - الذي لا أدعي أنه أفضل الآراء - في أن الإجابة على هذا السؤال ، يمكن أن ترد إلى عاملين رئيسيين ، هما :

١ - هوان المسلمين على أنفسهم ، ومن ثم هانوا على غيرهم .
فقد صاروا غثاء كغثاء السيل ، لا يدرون من ماضيهم العظيم شيئاً ،
ويكتفون بعيش حاضرهم على أى صورة من الصور ، ولو كانت صورة
التابع للسيد المتبوع .

٢ - انعدام الوحدة بينهم ، والتمزق إلى كيانات هزيلة ، فى زمن
العالمة الكبار .

★

ومهما يكن من أمر ، فإن حال المسلمين تحكمه فى جميع الأحوال
والقرون ، هذه القاعدة القرآنية الحكيمة العادلة :

« إن الله لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم » (الرعد: ١١).

★★★

المسلمون في مواجهة الخطر التبشيري

ماذا يمكن أن يفعله المسلمون في مواجهتهم لأخطار التبشير ؟

نقول - بداعة - إن المسلمين قادرون ، بإذن الله ، على مواجهة هذا الغزو الصامت . وتقليم أظافره ، وتعريته أمام نفسه ، وأمام العالم . إن السبيل لتحقيق ذلك ممكن ، وإن كان هناك فرق بين الممكن والميسور .

إن العمل الإسلامي في مواجهة التبشير يحتاج إلى العناصر الرئيسية التي يتطلبها العمل في مثل هذه المجالات وهي : المشروع - والقوى البشرية - والتمويل . وجميعها عناصر موجودة بل ومتوافرة في العالم الإسلامي .

إن المسلمين بأيديهم كتاب واحد ، هو القرآن ، جاءهم به بي واحد ، هو محمد بن عبد الله .

ولقد أكمل الله لهم دينهم في حياة نبيهم بما أنزل عليه من الكتاب ، وما أوتيته من حكمة هي السنة الصحيحة ، فلم يتركهم إلا بعد أن استقر فيهم منهج الله ، فاستوعبوه نظرياً وتطبيقياً ، علمياً وعملياً . من أجل ذلك لم ينتكسوا في عقيدتهم - بعد رحيل نبيهم - كما انتكس الذين من قبلهم بعد رحيل أنبيائهم . وهم وإن كانوا قد تعرضوا لبعض النوازل والفتن ، فإنهم ما لبثوا أن تجاوزوها وطلعوا على العالم بحضارة حقه : تربط العالم بالدين ، والسياسة بالأخلاق ، والدنيا بالآخرة ، وتدعو الإنسان لتحقيق سعادته في الأولى وتأمينها في الآخرة بالسواك وفق منهج الله في كل حركاته ، وسكناته ، بل وخطبات نفسه .

إن الإسلام ليس حكراً على شعب مسلم دون آخر ، ولا على دولة مسلمة دون أخرى . كذلك فإنه ليس ملكاً للحكام المسلمين دون الحكوميين ، وليس قصرأ على المحكومين دون حكامهم ..

إن الإسلام دين الجميع ، ووطن الجميع ، والحياة الحققة للجميع . . .
ومن ثم فإن العمل الإسلامى فى كافة المجالات ، وخاصة فى مواجهة أخطار التبشير ، يحتاج إلى كافة الجهود وتنسيقها وتكاملها .

وإذا كانت لدينا شواهد كثيرة تبين - ما سبق ذكره - من أن التبشير اليوم فى العالم الإسلامى الذى يحكمه أبناؤه المسلمون ، قد صار أقوى عزيمة وأشد خطراً عما كان عليه الحال أيام كان الاستعمار يسيطر على عالم الإسلام لقرون عديدة ، ففرد ذلك إلى عدة عوامل منها أن التبشير قد تمكن - فى ظل الاستعمار - من توحيد جهوده وتنسيق خطته ، حتى إذا ما رحل الاستعمار ، استمرت خطط التبشير فى التنفيذ ، دون أن تتعرض للتعثر والاضطراب .

وإن نظرة على مراحل توحيد أنشطة التبشير لتعطينا الكثير من الدروس والعبر .

★ ★

كيف اتحدت هيئات التبشير :

لقد كانت بعثات التبشير الكاثوليكية تمارس أعمالها خلال تخطيط مركزى وقيادة صارمة ، تتمثل فى الكنيسة الرومانية ، أما العمل التبشيرى فى العالم البروتستانتى فقد قام به أفراد متحمسون ، ثم عدد من الجاعات الصغيرة التى بدأت تنظم نفسها فى هيئات تبشيرية ، تنطلق فى إرساليات لتعمل خارج أوطانها الأوروبية والأمريكية ، داخل إطار الطائفة المسيحية التى تنتمى إليها .

ولما كان لتلك الإرساليات - بطبيعة الحال - ولاء لأوطانها وطوائفها ،
ولما كانت تلك الطوائف والأوطان تختلف فيما بينها اختلافاً قد يصل بها إلى
الحروب الملتهبة ، فقد انعكس ذلك كله على إرساليات التبشير ، وتعرض
نتاج عملها - وهو تنصير غير المسيحيين - إلى التراجع أو عدم التقدم .
لهذا تنهت إرساليات التبشير إلى ضرورة توحيد جهودها ، من أجل
تحقيق هدفها النهائي وهو جعل العالم كله مسيحياً .

ولقد مرت عمليات تحقيق وحدة العمل التبشيري بثلاث مراحل هي :
عقد مؤتمرات التبشير - ثم إنشاء مجالس التبشير - ثم دمج إتحاد الكنائس
بإتحاد مجالس التبشير .

ومن المفيد حقاً أن نتعرف نحن المسلمون على العناصر الرئيسية في هذه
المراحل الثلاث ، أو بالأحرى تتبع الخطوط العامة لها .



المرحلة الأولى — عقد مؤتمرات التبشير : يمكن القول بأن فاتحة ذلك
كان في الهند : عام ١٨٥٥ ، حيث عقد بكلكتا « المؤتمر العام للمبشرين
البروتستانت في البنغال » — وقد حضره ٥٥ مبشراً من ٦ إرساليات ، بينهم
٣ قسس هنود . ثم مؤتمر البنجالور عام ١٨٧٩ ، وقد حضره ١١٨ مبشراً ،
نوقش فيه لأول مرة إمكانية تأسيس « كنيسة المسيح في الهند » .

ثم مؤتمر مدراس عام ١٩٠٠ ، وحضره ١٦٠ مبشراً اختيروا بعناية
من بين ٢٦ إرسالية .

وفي اليابان : عقد أول مؤتمر تبشيري عام ١٨٧٢ حضره ١٧ مبشراً ،
ثم عقد « المؤتمر العام للمبشرين البروتستانت » عام ١٨٨٣ بأوزاكا ، ثم
عقد نفس المؤتمر في المرة التالية عام ١٩٠٠ بطوكيو ، وقد حضره ٤٥٠
مبشراً من ٤٢ إرسالية .

وفي الصين : عقد مؤتمر المبشرين البروتستانت في شنغهاي
عام ١٨٧٧ ، حضره ١٢٦ مبشراً من ٢٠ إرسالية مع عضو صيني

دون أن يكون له حق التصويت . ثم كان المؤتمر الثاني عام ١٨٩٠ - ثم كان المؤتمر الثالث والكبير عام ١٩٠٧ ، وقد حضره أكثر من ١٠٠٠ مبشر من ٦٣ لإرسالية ، وكان هناك ٩ أعضاء صينيين ليس لهم حق التصويت . وبعد اسياتأتى أفريقياً ، حيث عقدت في دولة « إتحاد جنوب أفريقيا » ثلاث مؤتمرات في أعوام ١٩٠٠ ، ١٩٠٦ ، ١٩٠٩ .

كذلك عقد بالقاهرة مؤتمر تبشيري هام عام ١٩٠٦ ، وقد سبق الحديث عنه .

وفي أمريكا الجنوبية عقد في المكسيك مؤتمرين في عامي ١٨٨٨ ، ١٨٩٧ . ولقد أدت هذه المؤتمرات جميعها إلى تعميق مفهوم الوحدة بين المبشرين .



المرحلة الثانية - إنشاء مجالس التبشير : لقد بدأت الفكرة في مخيلة من وصف بأنه أعظم مخطط تبشيري ألماني ، وهو جوستاف فرانك الذي قدم عام ١٨٨٨ بحثاً قرىء في ذلك العام في مؤتمر لندن التبشيري ، دعا فيه لتخطيط عقد مؤتمر تبشيري كل ١٠ سنوات ، وإلى تشكيل لجنة مركزية ، تربط أعمال هذه المؤتمرات . وكان مما قاله :

« لكي يكون للجنة المركزية أساس قوى ، فيجب أن تعقد مؤتمرات تبشيرية في كل أمة بروتستانتية تضم كل الجمعيات البروتستانتية التبشيرية فيها وتنتخب مندوبين يمثلونها في اللجنة المركزية » (١) .

وفي عام ١٩١٠ ، عقد مؤتمر أدنبرج التبشيري - وقد سبق الحديث عنه - الذي تمخض عن تشكيل « اللجنة الدائمة للمؤتمر » ، والتي اعتبرت بداية عهد جديد للعمل التبشيري ، وكانت تحقيقاً مبدئياً لفكرة جوستاف فرانك .

(١) المرجع ٢٥ : ص ٥٤٣

ثم أوقفت الحرب العالمية الأولى أعمال المؤتمرات حتى عام ١٩٢١ ، حيث تكوّن « المجلس التبشيري الدولي I.M.C. » ، وقد تولى رئاسته الدكتور جون موت الذي اعتبر مهندساً للمؤتمرات التبشيرية ، إذ أنه كان قد قام برحلة في الشرق الأقصى استغرقت خمسة أشهر - من نوفمبر ١٩١٢ إلى أبريل ١٩١٣ - عقد فيها مالا يقبل عن ٢١ مؤتمراً ، تمخضت عن تشكيل ما يسمى « المجلس المسيحي الوطني - N.C.C. » في كل من اليابان ، والصين ، وكوريا ، والهند . لقد أثبتت فكرة تشكيل المجالس المسيحية الوطنية نجاحها في العمل التبشيري ، واعتبر مجلس كينيا من أنجح المجالس في شرق أفريقيا ..

ويعتبر مؤتمر مانيل عام ١٩٤٨ نقطة البدء في دفع الحركة التبشيرية وإحكام تنظيمها ، فقد ضم من يطلق عليهم « القادة » المسيحيون في شرق آسيا - من اليابان إلى باكستان - الذين التقوا لأول مرة معاً ، بعد أن كانت لقاءاتهم تتم قبل ذلك بالمبشرين من أوروبا وأمريكا . ولقد تمخض هذا اللقاء عن إنشاء « سكرتارية شرق آسيا » لتكون وحدة اتصال بين الكنائس والهيئات التبشيرية .

ونتيجة لنشاطها فقد عقد « المؤتمر المسيحي لشرق آسيا » عام ١٩٥٧ في سومطرة (إندونيسيا) ، ثم مؤتمر عام ١٩٥٩ في كوالالمبور (بماليزيا) ، فزاد ذلك في ربط الكنائس بالهيئات التبشيرية .

وبعد آسيا انتقل إلى أفريقيا ، حيث عقد « المؤتمر المسيحي لكل أفريقيا » عام ١٩٥٨ في نيجيريا ، وقد حضره مندوبون من كل البلاد الأفريقية ، عدا المستعمرات الأسبانية ، وتمخض عن تشكيل « لجنة دائمة » تعد للمؤتمر الثاني الذي عقد عام ١٩٦٣ في كينيا .

وفي أمريكا الجنوبية عقد مؤتمر عام ١٩٦١ في ليما عاصمة بيرو .



المرحلة الثالثة — اتحاد الكنائس مع مجالس التبشير : شهد عام ١٩٣٧ عقد مؤتمرين في كل أو كسفورد وأدنبرج ، قدمت فيهما اقتراحات بتشكيل مجلس عالمي للكنائس ، وقبلت من حيث المبدأ ، ثم أرسلت إلى « المجلس التبشيري الدولي » .

لقد شهدت الفترة ما بين ١٩٤٦-١٩٦١ تعاوناً بين الهيئتين الكبيرتين : الكنائس ، والإرساليات . فقد شهد عام ١٩٤٦ مولد « لجنة الكنائس للشؤون الدولية » ، تبعه تشكيل « لجنة اتصال » .

وفي نيودلهي عام ١٩٦١ ، اتحاد المجلسان : مجلس الكنائس والمجلس التبشيري في جهاز ضخم هو « مجلس الكنائس العالمي — W.C.C. » ولأول مرة في تاريخ العالم المسيحي ، تعلن الكنائس : الأرثوذكسية والرومانية الكاثوليكية ، والإنجيليكانية ، والبروتستنتينية ، أنها كنائس مسئولة عن تبشير العالم بالإنجيل .

إن رجال التبشير يعتبرون ما حدث في نيودلهي عام ١٩٦١ بمثابة ثورة كبيرة في الروح الدينية للكنائس الكبرى وفي تنظيم قواها البشرية ، وتوزيع مواردها المالية . وهو ما دفع ستيفن نيل لأن يقول : « إن أولئك الذين يعيشون ليروا مطلع القرن الحادي والعشرين قد ينظرون وراءهم ليسجلوا بكل شكر أن عام ١٩٦١ حدد البداية لقرن عظيم آخر في تاريخ الكنيسة » (٢) .

★ ★

والآن — نعيد طرح السؤال مرة أخرى فنقول — ماذا يمكن للمسلمين أن يفعلوه ؟

إن الحديث عن مقاومة التبشير ، يرتبط بداهة بالحديث عن الدعوة

(٢) المرجع ٢٥ : ص ٥٥٨

الإسلامية وفعاليتها ، فحين تجبور تلك الدعوة أو تضعف ، يتسرب التبشير من مختلف المنافذ إلى العالم الإسلامي ليتمكن منه ، كما هو حادث الآن :

إن مجهودات التبشير في سبيل توحيد هيئاته وتكامل مشروعاته - التي عرضنا شيئاً منها - لكفيلة بأن تفتح أعين المسلمين على أيسر السبيل لمقاومتها .

ولما كان « الكتاب » لا يصلح مكاناً مناسباً لعرض خطة متكاملة لمواجهة الخطر التبشيري ، فنكتفي الآن بعرض تصور مبدئي لإجراءات قد تكون أساساً صالحاً لبلوغ الهدف . ويتلخص ذلك في الآتي :

١- في كل دولة إسلامية أو شعب إسلامي ، توجد جماعات وهيئات إسلامية ، مختلفة الأنشطة ، متنوعة المجالات والاهتمامات . والمقترح أن تنتظم جميعها في إطار واحد ، ليكن اسمه « المجلس الإسلامي الوطني » لتلك الدولة أو هذا الشعب . فمثلاً بالنسبة لدولة نيجيريا المسلمة يسمى « المجلس الإسلامي النيجيري » ، وبالنسبة لمسلمي الفلبين يسمى « المجلس الإسلامي الفلبيني » وهكذا .

٢ - يعقد هذا « المجلس الإسلامي الوطني » مؤتمراً سنوياً ، ليكن في شهر شعبان من كل عام ، يدرس موضوعاً واحداً هو : الإسلام في مواجهة التبشير . ثم ينتخب مندوبيه في المستوى التنظيمي الأعلى .

٣ - يعقد مؤتمر سنوي على مستوى العالم الإسلامي ، ليكن في شهر ذى الحجة عقب فريضة الحج ، يضم ممثلين عن كل المجالس الإسلامية الوطنية ، وذلك تحت اسم « الاتحاد الدولي للمجالس الإسلامية » .

٤ - يدرس هذا الاتحاد الدولي في مؤتمره السنوي موضوعين اثنين :

(١) تدعيم وحدة المسلمين (ب) الإسلام في مواجهة التبشير

٥ - سوف يتمخض المؤتمر الأول للاتحاد الدولي للمجالس الإسلامية عن خطة متكاملة لمواجهة التبشير ، تقوم بتنفيذها الحكومات الإسلامية ،

وذلك في البنود التي تختص بها ، ثم الشعوب الإسلامية ممثلة في مجالسها الإسلامية الوطنية ، وذلك في بقية البنود .

ومن أجل إنجاح العمل الإسلامي في هذا المجال ، يجب :

١ - أن يقوم أساساً على الجهود الشعبية ، التي تعضدها بعد ذلك الجهود الحكومية .

٢ - أن يبتعد عن متاهات السياسة والاقتصاد ونظم الحكم ، وكل ما من شأنه أن يوجد الفرقة ويعثر الجهود ، ويمكن التبشير من الانطلاق في تنفيذ مشاريعه وخططه وهو تقرير العين .

★ ★

هذا - ولما كانت السنوات العشر الأخيرة قد شهدت عدداً من المؤتمرات الإسلامية الدولية ، من أجل تنشيط الدعوة الإسلامية ومواجهة التحديات والأخطار التي تهدد الإسلام ، ولما كانت القوى المعادية للإسلام ترصد هذه المؤتمرات وتدرس توصياتها بعناية فائقة أكثر مما يفعلها المسلمون أنفسهم ، صار لزاماً علينا أن نعرض بعض هذه التوصيات التي تدخل في إطار مواجهة الخطر التبشيري ، والتي يفترض أن حكومات الدول الإسلامية تقوم بتنفيذها الآن .

★

من توصيات المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإحياء الدعوة

عقد هذا المؤتمر بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في الفترة ٢٤-٢٩ صفر ١٣٩٧ هـ ، التي توافق ١٢ - ١٧ فبراير ١٩٧٧ م وقد حضره أكثر من مائتي عضو يمثلون المسلمين في أكثر من ٧٠ دولة ، إسلامية وغير إسلامية ، فجاء من هذه الدول غير الإسلامية مندوبون عن مسلمي : بريطانيا - فرنسا - ألمانيا الغربية - بلجيكا - هولندا - الدنمرك -

– إيطاليا – يوغوسلافيا – اليونان – أسبانيا – البرتغال – الولايات المتحدة – كندا – الأرجنتين – شيلي – اليابان – أستراليا ، وغيرهم .
وقد اتخذ المؤتمر عدداً كبيراً من التوصيات ، أعرض منها الآتي بشيء من الاختصار .

(أ) في مجال مناهج الدعوة الإسلامية وتطوير أداؤها :

- ١ – تنقية مناهج التربية والتعليم ، ووضعها على أسس إسلامية ، والعناية بإعادة كتابة التاريخ الإسلامى .
- ٢ – توجيه العناية الخاصة بالشباب المسلم ، وتوفير كافة الأنشطة الثقافية والرياضية والاجتماعية ، وإقامة المعسكرات التي تنميها داخل الإطار الإسلامى .
- ٣ – الاهتمام الخاص بالمرأة ، من حيث التربية الدينية والثقافة الإسلامية .
- ٤ – الاتصال بالجهات المعنية لإنشاء مساجد في كل الجامعات والمعاهد والمصانع وسائر المؤسسات .
- ٥ – العناية بالتوعية الدينية في القوات المسلحة .
- ٦ – تعبئة أشرطة علمية ، تختار بعناية ، لنشر العقيدة الصحيحة والتعاليم الإسلامية بين الشعوب خصوصاً في أفريقيا ، باللغات المحلية وبعض اللغات العالمية الشائعة .
- ٧ – تشجيع الجامعيين المتخصصين في الدعوة بالخصصات المأذية المناسبة .
- ٨ – حث الحكومات الإسلامية على تخصيص مبالغ في ميزانياتها لنشر الدعوة الإسلامية .

(ب) في مجال إعداد الدعاة :

- ١ – العناية بالإعداد العلمى والثقافى للداعية .
- ٢ – العناية بالجانب الخلقى للداعية .

- ٣ - إنشاء كليات للدعوة في جهات متعددة من العالم . .
- ٤ - التنسيق بين كليات الدعوة القائمة حالياً .
- ٥ - إدخال مادة الثقافة الإسلامية في جميع الكليات الجامعية في البلاد الإسلامية .
- ٦ - تنظيم دورات تدريبية لمجموعات من الدعاة .
- ٧ - تنظيم لقاءات إسلامية للدعاة ، للتعارف وتبادل الخبرات .
- ٨ - دعم المراكز والهيئات الإسلامية الموجودة حالياً ، مع إنشاء مراكز جديدة .
- ٩ - الاهتمام بإعداد الداعيات من النساء المسلمات .

(ج) في مجال وسائل الإعلام :

- ١ - أن تهتم أجهزة الإعلام المختلفة ، إلى جانب استقامتها من المعين الإسلامي ، برد الشبهات والدعوى الباطلة الموجهة ضد الإسلام .
- ٢ - أن تنشأ في البلاد الإسلامية كليات للإعلام الإسلامي .
- ٣ - دعم الصالح من الصحافة الإسلامية القائمة ، وكذلك وكالات الأنباء الإسلامية والإذاعات الإسلامية المتخصصة ، وإنشاء إذاعات عالمية إسلامية .
- ٤ - إصدار صحف دورية متخصصة في كل دولة إسلامية .
- ٥ - العمل على رعاية الإعلام الإسلامي المتخصص للناشئة ، نشرها وصحافتها ، إذاعياً وتلفزيونياً ، رعاية إسلامية كاملة .
- ٦ - إنشاء نادى « القلم الإسلامى » يضم حاملى الأقلام الإسلامية .
- ٧ - إنشاء اتحاد عام للصحافة الإسلامية .
- ٨ - مواجهة خطر الكنائس والمدارس التبشيرية .

٩ - نظراً للتعظيم الإعلامي على أخبار العالم الإسلامي ، فإن المؤتمر يرى أن تقوم « رابطة العالم الإسلامي » بإنشاء مركز إعلامي ، لرصد الأخبار والمعلومات وتوزيعها على المنظمات والجمعيات الإسلامية .

(د) في مجال الدعوات والاتجاهات المضادة للإسلام :

١ - الدعوة إلى تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي الذي جاء به الإسلام ، عملاً بشرعه ، وإغلاقاً للأبواب أمام الدعوات المادية المضادة للإسلام .

٢ - توعية المسلمين لإخراجهم من موقف الضعف والمدافعة إلى موقف القوة والمجاهة .

٣ - مناقشة الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي بجدة للاتصال بالدول الأعضاء في المؤتمر والأعضاء في هيئة الأمم المتحدة لكي يعملوا على تمكين المسلمين الذين يعيشون تحت ظل حكم شيوعي من ممارسة شعائر دينهم وإطلاق الحرية الدينية لهم تنفيذاً لما جاء في « إتفاقية هلسنكي » عام ١٩٧٦ . وكذلك العمل على تمكين المسلمين الذي يعيشون في ظل حكم غير إسلامي من ذلك .

٤ - تحذير المسلمين من الدعوة المشبوهة التي روجها أعداء الإسلام لتحديد النسل ، واستنكار ما تقوم به بعض الحكومات من إجبار المسلمين على تحديد نسلهم بطريق التعقيم الإجباري .

٥ - العناية باللغة العربية والعمل على نشرها على أوسع نطاق بين المسلمين ، والتحذير من الدعوات المشبوهة لترويج العمامية ، واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية .

٦ - يوصى المؤتمر الحكومة السعودية بتبني مشروع دائرة معارف إسلامية ، على الأساليب العلمية السليمة ، لتكون مرجعاً إسلامياً أصيلاً ، مع العناية ببيان أخطاء دائرة المعارف الإسلامية التي وضعها المستشرقون

والتي هي حافلة بالأغلاط والمغالطات العلمية ، وما فيها من افتراءات على الإسلام وتاريخه وحضارته .

٧ - توصية القائمين على المدارس الإسلامية في أفريقيا وغيرها ، بإنشاء أقسام مهنية ، يتدرب فيها الطلاب على بعض الحرف والصناعات التي تمكنهم من كسب رزقهم مع انشغالهم بالدعوة إلى الله بعد التخرج .

٨ - يذكر المؤتمر بما انتهى إليه المؤتمر الإسلامي المسيحي ، الذي دعا إليه مجلس الكنائس العالمي ، والذي عقد في جنيف في يونيو ١٩٧٦ ، والذي اعترف مبدئياً بأسفه الشديد لأن الإرساليات التبشيرية المسيحية في ديار المسلمين قد تسببت في إفساد الروابط بين المسلمين والمسيحيين ، كما اعترف بأن تلك الإرساليات كان طابع نشاطها في خدمة الدول الأوروبية المستعمرة ، وتستخدم التعليم وسيلة لإفساد عقائد المسلمين - والذي تعهد فيه الجانب المسيحي في المؤتمر بإيقاف جميع الخدمات التعليمية والصحية التي تستخدم لتنصير المسلمين .

ولهذا يوصي المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة إلى كافة الدول الإسلامية بالعمل على تنفيذ القرار الذي تعهد به المؤتمر الإسلامي المسيحي ، وذلك بحظر نشاط المؤسسات التبشيرية التعليمية والاجتماعية ، وإحلال الهيئات الإسلامية العاملة فيها محلها ، مع الحذر من السماح بإنشاء مؤسسات مشبوهة تحت أى ستار .

٩ - تحذير المسلمين من النشاطات المعادية للإسلام ، التي تتقنع في مؤتمرات بأسماء مختلفة ، مثل مؤتمر العلوم الإنسانية ، ونوادي الصداقة ، والمؤسسات الثقافية والنوادي الاجتماعية المشبوهة ، كالروتاري ، والسلامين .

١٠ - تشجيع الجمعيات الإسلامية التي تعنى بتربية ناشئة المسلمين ودعوتها إلى تنسيق جهودها لصد التيارات المعادية للإسلام .

١١ - مطالبة الحكومات الإسلامية بأن تسعى لدى الدول التي لم تعترف بالإسلام ديناً بأن تعترف به لتأمين حقوق المسلمين المقيمين بها .

وينوه المؤتمر بموقف بلجيكا في هذا الشأن .

١٢ - استنكار مايجرى في بعض الدول من تغيير أسماء المسلمين إجبارياً أو حملهم على ذلك بأساليب ملتوية .

١٣ - إنشاء إتحاد للهيئات الإسلامية في كل دولة ، ينظم جهودها ويخطط لها ، وإعانتته بالإمكانات المادية اللازمة ، تمهيداً لإقامة إتحاد إسلامي أوسع .

١٤ - التطبيق العملي لمبدأ التناصر بالإسلام ، وذلك :

(أ) بمعاونة المسلمين الخاضعين . على أن يتولوا مراكز التوجيه . .

(ب) وتجميع القوى الإسلامية المبعثرة وتوحيد اتجاهاتها .

١٥ - جث الجامعات الإسلامية على تنبع افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليهم .

(هـ) توصيات عامة :

١ - إطلاق حرية العجل للجماعات الإسلامية لسد الفراغ الملموس في بلاد العرب والمسلمين ، وهو فراغ تجمل على ملئه الحركات الهدامة ، المؤيدة من أعداء الإسلام .

٢ - ينوه المؤتمر بالجهود التي بذلت لتحقيق التضامن الإسلامي في ميادين العلم والتكنولوجيا ، ويوصى بمتابعة إقامة المؤتمرات للخبراء والمهندسين والفنيين المسلمين في كافة التخصصات ، لتبادل المعلومات والاستفادة من الخبرات .

٣ - التحرى عند تقديم المساعدات المالية والمنح ، والعمل على تنظيمها وتوفير الضمانات ليستفيد منها المسلمون المحتاجون إليها .

★ ★

من توصيات مؤتمر الإعلام الإسلامى العالمى الأول :

عقد هذا المؤتمر فى جاكرتا عاصمة أندونيسيا فى الفترة ١ - ٣ سبتمبر ١٩٨٠ ، وبلغ عدد الحاضرين نحو ٥٠٠ مندوب يمثلون مختلف الدول والشعوب الإسلامية . وقد اتخذ عدة توصيات منها :

١ - إنشاء مؤسسة إعلامية إسلامية غير حكومية ، تتمتع الدول والمنظمات الإسلامية باحترام حريتها واستقلالها .

٢ - إنشاء مؤسسة لإنتاج الوسائل والأدوات الإعلامية ، المقروءة والمسموعة والمرئية . .

٣ - التزام كل إذاعة إسلامية بشراء وإذاعة المسلسلات الإسلامية التى نذتجها غيرها من الإذاعات .

٤ - التعاون مع وسائل الإعلام الإسلامية الموجودة فى أوروبا وأمريكا ، لدفعها وتنشيطها فى الاتجاه الصحيح ، ودعم استمرارها فى خدمة مسلمى هذه البلاد .

٥ - إنتاج رسالة إخبارية أسبوعية عن العالم الإسلامى ، يمكن توزيعها بواسطة الأقمار الصناعية ، لتتمكن المحطات الإسلامية من استقبالها بشكل منتظم .

٦ - العناية ببرامج وكتب ووسائل الإعلام للأطفال .

٧ - إنشاء شركة مساهمة عالمية إسلامية مستقلة للتوزيع .

٨ - العمل على إنتاج ما يخدم الدين الإسلامى وقضاياها من الأفلام السينمائية والتليفزيون والأشرطة الإذاعية والنشرات وكتب الجيب ، التى تشرح وجهة النظر الإسلامية فى الموضوعات والقضايا الهامة بشتى اللغات .

أما بعد ...

فيكفينا هذا القدر الهائل من التوصيات والمقترحات ، التى لو دخلت مرحلة التنفيذ العملى ، لكانت كفيلة بمواجهة الخطر التبشيري وورده على أعقابها . إن طاقات المسلمين لتتسع لتنفيذ هذا العمل الإسلامى على خير وجه ،

وإن التاريخ خير شاهد على أن المسلم حين يستشعر الخطر في دينه ، فإنه يتحوّل إلى شيء عظيم ...

إن المسلمين يدركون تماماً قول الحق لهم :

« يا أيها الذين آمنوا : لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتداً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » (الصف : ٢ ، ٣) .

وهم يدركون تماماً تعليم رسول الله إليهم ، في جوامع كلمه :

« الإيمان : ما وقر في القلب ، وصداقه العمل » .

ولقد شهدت الأعوام الأخيرة كثيراً من الأوروبيين والأمريكيين يقبلون على الإسلام ويقبلونه ، بعد أن اقتنعت به عقولهم ، وشفقت به صدورهم ، واطمأنت به قلوبهم .

والظاهرة الغالبة في هؤلاء - الذين عاشوا غرباء عن الإسلام - أنهم بعد إسلامهم يتحوّلون إلى دعاة مخلصين من أجله ، أفضل منا نحن المسلمين بالوراثة مرات ومرات .

إن في القرآن بشير للإسلام ، ونذير للمسلمين المستضعفين ، كحالنا اليوم ... فقد جاءت آخر آية في سورة محمد ، تقول :

« وإن تتولوا ، يستبدل قوماً غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم » (محمد : ٢٨) .

فهل نتولى نحن المسلمون ، كما تولت أقوام من قبل حين بدلت نعمة الله كفراً ، فذهبت غير مأسوف عليها في الدنيا والآخرة . وكفى به هواناً أن تعز عليهم كلمة المؤاساة ، إذ ما كان من رسولهم إلا أن وقف ببقاياهم بعد أن أصبحوا حصيداً خامدين ، وقال :

« يا قوم ، لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فكيف آسى على قوم كافرين » . (الأعراف : ٩٣)

أم نرتفع نحن المسلمون إلى مستوى الأحداث والمخاطر التي تحيط بنا وتفرض علينا ، فنواجهها بما تتطلبه المواقف من عظيم الإيمان وصالح الأعمال ، وعندئذ نطمع أن يتحقق فينا قول الحق :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » . (النور : ٥٥)

وكلنا يعلم يقيناً أن الأمانى لن تجدى شيئاً ، ما لم يسبقها العمل ...
« وقل : اعملوا ، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة ، فينبئكم بما كنتم تعملون » (التوبة : ١٠٥) .

قائمة المراجع الرئيسية

- ١ - تاريخ الكنيسة : يوسابيوس القيصري - ترجمة القمص مرقس داود - مكتبة المحبة - القاهرة .
- ٢ - تاريخ الحروب الصليبية : ستيفن رنسيان - ترجمة الدكتور السيد العريني - دار الثقافة - بيروت .
- ٣ - الرب والله وجود (الأديان في أفريقيا المعاصرة) : جاك مندلسون - ترجمة إبراهيم أسعد - دار المعارف - القاهرة .
- ٤ - ديانة مصر القديمة : أدولف إيرمان - ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، والدكتور محمد شكري - مكتبة البابي الحلبي - القاهرة .
- ٥ - القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم : موريس بوكاي - دار المعارف - القاهرة .
- ٦ - المسيح (في مصادر العقائد المسيحية) : أحمد عبد الوهاب - مكتبة وهبة - القاهرة .
- ٧ - النبوة والأنبياء (في اليهودية والمسيحية والإسلام) : أحمد عبد الوهاب - مكتبة وهبة - القاهرة .
- ٨ - طائفة الموحدين (من المسيحيين عبر القرون) : أحمد عبد الوهاب - مكتبة وهبة - القاهرة .
- ٩ - التبشير والاستعمار : الدكتور مصطفى خالدي ، والدكتور عمر فروح - الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية - بيروت .
- ١٠ - الغارة على العالم الإسلامي : ل . شاتليه - ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد الياني - المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة .

١١ - غارة تبشيرية جديدة (على أندونيسيا) : أبو هلال الأندونيسي
- دار الشروق - جدة .

١٢ - حقائق عن التبشير : عماد شرف - المختار الإسلامى - القاهرة .

- 13 — F.C. Grant : THE GOSPELS, Faber and Faber, London, 1957.
- 14 — D.E. Nineham : SAINT MARK, Penguin Books, London, 1963.
- 15 — J.C. Fenton : SAINT MATTHEW, Penguin Books, London, 1963.
- 16 — E.M. Blaiklock : ACTS, Inter-Varsity Press, London, 1974.
- 17 — Adolf Harnack : HISTORY OF DOGMA, Constable and Company, London, 1961.
- 18 — A.M. Hunter : PAUL AND HIS PREDECESSORS, SCM Press, London, 1961.
- 19 — William Barclay : THE MIND OF ST. PAUL, Fontana Books, London, 1965.
- 20 — C.H. Dodd : THE MEANING OF PAUL FOR TODAY, Fontana Books, London, 1964.
- 21 — E. E. Kellet : A SHORT HISTORY OF RELIGIONS, Penguin Books, London, 1962.
- 22 — Michael Grant : THE WORLD OF ROME, The New American Library, New York, 1961.
- 23 — E. Gibbon : THE DECLINE AND FALL OF THE ROMAN EMPIRE, Penguin Books, London, 1960.
- 24 — H.A. Fisher : A HISTORY OF EUROPE, The Fontana Library, London, 1964.
- 25 — Stephen Neill : A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, Penguin Books, London, 1964.
- 26 — Leslie Lyall : MISSIONARY OPPORTUNITY TODAY, Inter-Varsity Fellowship, London, 1963.
- 27 — Lin Yutang : WISDOM OF CHINA, The New English Library, London, 1963.
- 28 — ENCYCLOPEDIA AMERICANA, 1959.
- 29 — ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA, 1960.
- 30 — Leslie Lyall : MISSIONARY OPPORTUNITY TODAY, Inter-Varsity Fellowship, London, 1963.

✱ ✱

محتويات الكتاب

الصفحة

٥ - ٣

مقدمة

الباب الأول : المسيحية والتبشير

(٧ - ٦١)

- ٩ الفصل الأول : التبشير المسيحي الحقيقي
- ١٥ - ٩ التبشير بالملكوت المقرب - حقيقة الملكوت
- ٢٤ - ١٥ دائرة التبشير : إنجيل مرقس - إنجيل متى - بعد رفع المسيح
- ٢٥ الفصل الثاني : التبشير المسيحي الصليبي
- ٣٦ - ٢٥ مجتمع التلاميذ - بولس يهودياً - بولس مسيحياً - بولس وبرنابا
- ٤٠ - ٣٦ شخصية بولس : بولس المبشر - بولس الفخور
- ٤١ الفصل الثالث : مسيحية بولس أم المسيح ؟ !
- ٦١ - ٤٣ بولس والمسيح - بولس وتوراة موسى - بولس وخطيئة آدم



الباب الثاني : كيف انتشرت المسيحية

(٦٣ - ١٠٩)

- ٦٨ - ٦٥ تمهيد
- ٦٩ الفصل الرابع : كيف انتشرت المسيحية في الإمبراطورية الرومانية
- العقائد الدينية في العالم الروماني : سيبيل وأتيس - أوزوريس
وإيزيس - سيرابيس - ميثرا
- ٧٤ - ٦٩

- الأصول المشتركة للعقائد الوثنية — مراحل انتشار العقائد الوثنية ٧٥ — ٧٨
عوامل انتشار المسيحية في الإمبراطورية الرومانية: التشابه بين
المسيحية الصليبية وديانات العالم الروماني — تسهيلات الإمبراطورية
الرومانية للمسيحية ٧٨ — ٨٦
حقيقة ما يقال عن اضطهاد الرومان للمسيحية ٨٦ — ٩٠
الفصل الخامس: كيف انتشرت المسيحية في أوروبا ٩١
فرنسا وألمانيا — النرويج — السويد — فنلندا ٩١ — ٩٥
بروسيا — روسيا — بولندا — المجر ٩٥ — ٩٩
الفصل السادس: المسيحية والسيوف — الحروب المسيحية ١٠١ — ١٠٩



الباب الثالث: حقيقة التبشير المسيحي

(١١١ — ١٥٠)

- الفصل السابع: المفاهيم التبشيرية الخاطئة ١١٣
المفهوم الأول: تبشير العالم فرض على المسيحيين ١١٣ — ١١٥
المفهوم الثاني: الدعوة إلى التثليث ١١٥ — ١٢٠
المفهوم الثالث: المسيحية دين المحبة الأوحده ١٢٠ — ١٢٦
الفصل الثامن: عطاء التبشير: لقيصر أم الله؟ ١٢٧
التبشير والاستعمار ١٢٧ — ١٣٤
التبشير والتفرقة العنصرية: في مجال السياسة — في مجال الدين ١٣٤ — ١٤١
التبشير والتجارة ١٤٢ — ١٤٦
صراع المبشرين ١٤٦ — ١٥٠



الباب الرابع : التبشير في العالم الاسلامي

(١٥١ - ١٩٢)

- ١٥٣ الفصل التاسع : أهداف التبشير في العالم الإسلامي
- ١٦٣ الفصل العاشر : وسائل التبشير في العالم الإسلامي
- أولاً - المؤثرات الفكرية : تشويه صورة الإسلام - تحريف فهم القرآن
١٦٥ - ١٦٣
- التعليم الإرسالي أقوى الوسائل - الصحافة والطبع والنشر -
مقاومة الأزهر وإضعاف تأثيره
١٦٩ - ١٦٦
- إذاعة الدعوات المشبوهة : الدعوة إلى التسامح المشبوه - الدعوة
إلى الحوار المشبوه
١٧٤ - ١٦٩
- الدعوة إلى الشعوبية والقومية - تمزيق الوحدة الإسلامية - إثارة
الفتن الداخلية
١٧٨ - ١٧٤
- بناء أكبر عدد من الكنائس والاهتمام بمظهرها
١٧٩ - ١٧٨
- ثانياً - العلاج الطبي : الطب وخطورته في التبشير - أساليب
التبشير الطبي
١٨١ - ١٧٩
- ثالثاً - الشؤون الاجتماعية : الأعمال الاجتماعية ستار للتبشير -
استغلال حالات الفقر والحاجة
١٨٦ - ١٨٢
- استمالة المسلمين والتحكك بهم - التركيز على المرأة المسلمة -
التقاط أطفال المسلمين بمختلف السبل - استدراج المسلمين
إلى جمعية الشبان المسيحيين - استخدام الرشوة
١٩١ - ١٨٧
- الخلاصة
١٩٢ - ١٩١

*

خاتمة

(١٩٣ - ٢١٧)

- التبشير بين الماضى والحاضر : التبشير قوة محرّكة عالمية -
١٩٥ - ٢٠١ الاستعمار ومشاعر المسلمين ضد التبشير
- ٢٠٢ - ٢٠٣ المسلمون فى مواجهة الخطر التبشيرى
- كيف اتحدت هيئات التبشير : المرحلة الأولى : عقد مؤتمرات
التبشير - المرحلة الثانية : إنشاء مجالس التبشير - المرحلة الثالثة :
٢٠٩ - ٢٠٣ اتحاد الكنائس مع مجالس التبشير
- ومن توصيات المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة وإعداد الدعوة :
فى مجال مناهج الدعوة الإسلامية وتطوير أدائها - فى مجال
إعداد الدعوة - فى مجال وسائل الإعلام - فى مجال الدعوات
الاتجاهات المضادة للإسلام - توصيات عامة
٢٠٩ - ٢١٤
- من توصيات مؤتمر الإعلام الإسلامى العالمى الأول
٢١٥ - ٢١٧
- *
- ٢١٩ - ٢٢٠ قائمة المراجع الرئيسية
- ٢٢١ محتويات الكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢٩٧٥ / ٨١
الترقيم الدولى ٢ - ٢٠ - ٧٣٣٥ - ٩٧٧

هذا الكتاب

- يحكى قصة التبشير المسيحى فى مدى قرابة ألفى عام بفصولها الرئيسية وتأثيراتها المختلفة ...
- وهى حديث عن « التبشير المسيحى الحقيقى » ودائرة عمله ثم تطوره بفعل بولس الى « التبشير المسيحى الصليبيى » مع بيان الفرق بين « مسيحية بولس - ومسيحية المسيح » *
- كذلك يعرض الكتاب « كيف انتشرت المسيحية فى العالم » وعلاقتها « بالمسيح » « رغم حجب هذه الحقيقة عن الملايين ...
- وهو حوار مع المبشرين « والمفاهيم التبشيرية الخاطئة » مثل الادعاء بان « تبشير العالم - بمسيحية التثليث - فرض على المسيحيين » ...
- ثم ماذا عن « حقيقة التبشير » وعلاقاته « بالاستعمار - والمتفرقة العنصرية - والتجارة » مع نبذة عن « صراع المبشرين » *
- وأخيرا يحدثنا الكتاب عن « التبشير فى العالم الاسلامى » واهدافه ووسائله - مع خاتمة عن « التبشير كقوة محركة عالمية » - وواجب المسلمين « فى مواجهة الخطر التبشيرى » *
- والمؤلف ليس غريبا على معالجة هذا الموضوع ... فقد أثرى المكتبة العربية بكتابه القيمة - التى أمتازت بالتوثيق ودقة المصادر ... وبيان المراجع ... بعيدا عن العواطف والانفعالات ، وهذا ما رأيناه فى كتبه السابقة ... مثل : « العلوم الذرية الحديثة فى التراث الإسلامى » ... وفى سلسلة دراسة فى الأديان ... التى صدر منها كتاب « المسيح فى مصادر العقائد المسيحية » ... و « الوحي والملائكة فى اليهودية والمسيحية والاسلام » ... و « النبوة والأنبياء فى اليهودية والمسيحية والاسلام » ... وكتابه « طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون » و « اعجاز النظام القرآنى » *
- ويسر « مكتبة وهبه » أن تقوم بنشر هذا الكتاب - ليكشف أساليب التبشير والمبشرين - أمام العالم - بوجه عام ، وأمام المسلمين - خاص - وبالله التوفيق ...

